الذخيرة
في
محاسن أهل الجزيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢)

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

القسم الرابع - المجلد الثاني

دار الثقافة

بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٤

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢)

القسم الرابع - المجلد الثاني

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

فأول من أبدأ به منهم من رسخت أصوله في تربة التقديس والتسبيح ، والتفَّتْ فروعه بأجنحة الملائكة والروح ، مَنْ عُبِدَ الرحمن في زمانه ، وخُلِعَتِ الأوثانُ بين صارمه وسنانه ، صلى الله عليه أتمَّ صلاةٍ وأزكاها ، وأقربَها من رضوان الله وأدناها ، وعلى أهلِ بيته أَوْلى الناسِ بِنُصْحِ جيوبنا ، وأحقِّهم بطاعة قلوبنا ، وأرجاهُمْ لحطِّ خطايانا وذنوبنا .

فصل في ذكر الشريف أبي القاسم المرتضى ذي المجدين علم الهدى [1]

واثبات جملة من شعره الذي شرف بقائله وطائله ، وعرف بجلالة ناظمه ، وأصالة مباديه وخواتمه .

كان هذا الشريفُ المرتضى إمامَ أئمةِ العراق ، بين الاختلافِ والاتفاق ، إليه فَزِعَ علماؤُهَا ، وعنه أَخَذَ عظماؤُها ؛ صاحبُ مدارسها ، وجماعُ شاردِهَا وآنسها ، ممن سارتْ أخباره ، وعُرِفَتْ به أشعاره ، وحُمِدَتْ في ذاتِ الله مآثره وآثاره ؛ الى تواليفه في الدين ، وتصانيفه في أحكامِ المسلمين ، بما يشهدُ أنَّه فرعُ تلك الأُصول ، ومن أهلِ

١) مولده سنة ٣٥٥ ووفاته سنة ٤٣٦ ، وقد تفرد في علوم كثيرة مثل علم الكلام والفقه وأصوله والأدب والنحو ومعاني الشعر واللغة وله عدد كبير من الكتب ، وديوانه يقع في ثلاثة مجلدات ؛ انظر ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٢٤٩ ومعجم الأدباء ١٣ : ١٤٦ وابن خلكان ٣ : ٣١٣ (وفيه نقل عن الذخيرة) ودمية القصر ١ : ٢٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٢ وتتمة اليتيمة ١ : ٥٣ والمنتظم وابن الاثير والذهبي (وفيات ٤٣٦) وتلخيص مجمع الآداب ٤/١ : ٦٠٠ ومرآة الجنان ٣ : ٥٥ ولسان الميزان ٤ : ٢٢٣ وبغية الوعاة : ٣٣٥ والشذرات ٣ : ٢٦٥ وعبر الذهبي ٣ : ١٨٦ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٩ وروضات الجنات : ٣٨٧ والدرجات الرفيعة : ٤٥٨ والذريعة ٢ : ٤٠١ وابن كثير ١٢ : ٥٣ وللدكتور عبد الرزاق محيي الدين دراسة عنه بعنوان « أدب المرتضى » (بغداد ١٩٥٧) ؛ ويعتمد ابن بسام هنا في الاكثر على كتاب « طيف الخيال » (القاهرة : ١٩٦٢)

ذلك البيت الجليل ؛ وقد أخرجتُ من شعره ما لا يمكنُ لحاقُهُ ، ولا يُنْكَرُ تبريزُهُ وسباقه .

جملة من شعره في أوصافٍ شتَّى

في وصفِ الطَّـيْفِ

[قـال] [1] :

ما زال يخدعنـي بأسبـابِ المـنى [2] ... حتّـى حسـبـتُ بأنّـه حقـاً معي
أحْبِـبْ إليَّ وقـد تغشّى ناظـري ... وَسَنُ الكرى بالطيفِ يطرقُ مضجعي [3]
ولقد عجبتُ على المسـافـةِ بيننـا ... كيف اهتـدى من غـير هادٍ موضعـي
أفضى إلى شُعْـثٍ لقـوا هاماتهم ... لما سُقُوا خمـرَ الـكـرى بالأذرع
هجعـوا قليلاً ثم ذَعْـذَعَ [4] نَوْمَهُمْ ... غبَّ السرُّى داعي الصباحِ المسمع

وقـال : [5]

وزورٍ تخطَّـى جنـوبَ المـلا ... فنـاديتُ أهـلاً بـذا الزائـرِ
أتانـي هدوّاً وعيـنُ الرقيـبِ ... مطـروفـةٌ بالـكـرى الغامـر
وأحببْ به [6] يُسْعِـفُ الهاجعيـن ... وَتُحْـرَمُـهُ مقلـةُ السـاهر
وعهـدي بتمـويه عيـنِ المحـبِّ ... ينـمُّ علـى قلبـهِ الطائـر
فلمـا التقينـا برغـمِ الرقادِ ... موَّه قلبـي علـى ناظـري

---

[1] طيف الخيال : ١٢٠ والديوان ٢ : ٢٢٢ (طيف الخيال = ل ، والديوان = ن)
[2] ل ن : الكرى
[3] هذا البيت مقدم في : ل ن .
[4] في الاصل : زعزع
[5] ل = ١٢١ ؛ ن ٢ : ٦٢ والشريشي ٢ : ٢٣٠ ـ ٢٣١
[6] ل ن : وأعجب به

قال الشريف المرتضى [1] : قلت هذه الأبيات في سنة أربع [2] وثمانين وثلاثمائة ، وتداول أهل الأدب إنشادها ، واستغربوا هذا المعنى ، وشهدوا أنه مخترع لم يسمع ، فلما تصفَّحتُ ديوان شعر أخي لاستخراج ما يتعلق بوصف الطيف في هذا الوقت وهو سنة اثنتين [3] وعشرين واربعمائة وجدت هذه البائية بخطّه على ظهر الجزء الثاني من شعره [4] :

إن طيفَ الخيالِ زارَ طُروقاً ... والمطايا بين القِنَانِ وَشِعْبِ
زارني واصلاً على غيرِ وعدٍ ... وانثنى هاجراً على غير ذنب
كان قلبي إليه رائدَ عيني ... فعلى العينِ مِنَّةٌ للقلب
كان عندي أنَّ الغرورَ لطرفي ... فاذا ذلك الغرورُ لقلبي

فلستُ أعرفُ كيف جَرَتِ الحالُ في خبرها ، وهل قصد رحمه الله إلى نظمها حتى لا يخلوَ شعرُهُ من هذا المعنى ، أو أُنْسِيَ سماعَهُ مني ، وقذفَ به خاطِرُهُ وجرى على هاجسه ، وكثيراً ما يلحقُ الشعراءَ ذلك فيتواردون في بعضِ المعاني المسبوقِ إليها ، وقد كانوا سمعوها فأُنسُوها ، فالخواطرُ مشتركة ، والمعاني معترضةٌ لكلِّ خاطر ، وكيف جرى الأمرُ فيها فان العنصرَ واحد ، وأيّنا سبقَ إلى معنىً فالآخرُ بالنَّجْرِ والسِّنْخِ إليه سابقٌ وبه عالق .

وقال المرتضى [5] :

أَمِنْكِ سرى طَيْفٌ وقد كان لا يسري ... ونحن جميعاً هاجعون على الغَمْرِ
تَعجَّبْتُ منه كيف أَمَّ ركابَنا ... وأَرْحُلَنا بين الرِّحالِ وما ندري

---

١ ل : ٩٤ ـ ٩٥
٢ ل : في سنة نيف
٣ ل : نيف .
٤ ديوان الرضي ١ : ١٧٢ والشريشي ٢ : ٢٣١
٥ ل : ١٢٢ ـ ١٢٤ ؛ ن ٢ : ٦٧

وكيف اهتدى والقاعُ بيني وبينه ولَمّاعةُ القطرين [1] منّاعةُ القطر
وأفضى إلى شُعْثِ الحقائبِ عرَّسوا على منزلٍ وَعْرٍ ودوِّيةٍ قفر
وقومٍ لقوا أعضادَ كلِّ طليحةٍ بهامٍ ملاهُنَّ النعاسُ من السُّكْرِ
سَرَوْا وسِماكُ الرمحِ فوقَ رؤوسهم فما هَوَّموا إلا على وقعةِ النَّسْرِ
وبات ضجيعاً لي ونحن من الكرى كأنَّا تروَّينا العتيقَ من الخمر
أضمُّ عليه ساعديَّ إلى الحشا وأفرشُهُ ما بين سَحْري إلى نحري

قال المرتضى : قلت : « منَّاعةُ القَطْرِ » ، وهي على الحقيقة ممنوعة ، لأُقابلَ بين لماعة ومنَّاعة ، والمعنى مع ذلك صحيح/[١٣١] وإنما قلتُ : سماك الرُّمحِ [2] لضيق الشعر . ومعنى : « لقوا أعضادَ كلِّ طليحةٍ » أيْ توسّدوا أذْرُعَ المطيِّ كلالاً وتصعلكاً .

قال ابن بسَّام [3] : ومثله قولُ ذي الرمَّةِ [4] :

رمى الإدلاجُ أيْسَرَ مِرْفَقَيْها بأشعثَ مثلِ أشلاءِ اللجامِ

يعني نفسه [و] أنه عرَّسَ على إحدى ذراعي ناقته ، وخصَّ اليسرى لتكون وجوههم ووجوهُ الإبلِ في ناحيةٍ واحدةٍ فيكتلئوا بأبصارها [5] [لأنها أبصر وأسهر] ولو توسدوا أيامنَ المطيِّ كانت وجوههم إلى أعجازها ؛ وفي الاكتلاءِ لعين المطية يقول الآخر [6] :

أنَختُ قَلُوصي واكتليتُ بِعَيْنِهَا وآمرتُ نفسي أيَّ أمريَّ أفعلُ

وقال ذو الرمة أيضاً [7] :

---

١ في الأصل : القرطين ؛ ولماعة القطرين : السحابة .
٢ يعني كان حقه أن يقول : السماك الرامح
٣ النصّ منقول عن شرح الأمالي : ٢٠٠
٤ ديوان ذي الرمة ٢ : ١٣٩٨
٥ في الأصل : فيكتلئون بأبصارهم ، وما بين معقفين زيادة من السمط .
٦ السمط : ٢٠٠
٧ ديوان ذي الرمة : ٢٩٠ (مكارتني)

جَنَحْـنَ على أردافِهِـنَّ وهوَّموا سُحَيراً على أعضـادِهِـنَّ المياسرِ

وقال أيضاً [1] :

رجيعـةِ أسـفـارٍ كـأنَّ زمامَهَا [شجاعٌ] لدى يُسرَى الذراعينِ مُطْرِقُ

كأنّ الزمامَ إنما يكونُ في الشقِّ الذي يضطجعُ عليه ، وقد بيَّن ذلك أبو حية بقوله :

[...] [2] أيمـنَ الكشـحـينِ منـه إلـى يُسْرَى يَدَيْ حَـرَجٍ أمونِ

وإنما يتوسَّدُ القومُ أيمانَهم لمكانِ السلاح من أياسِرِهِمْ ، وأنَّ مُعَرَّسَهم ليس بمكانِ طمأنينةٍ ولا وضعِ السلاحِ من أياسرهم .

وقوله : « فما هوّموا إلا على وَقْعَةِ النَّسْرِ » ، بين مسامتةِ السماكِ لقمّةِ الرأسِ من وقعهِ زمانٌ طويل . ومثله مما أنشده أبو علي البغـدادي [3] ، إلا أنّـه في ذكر الشعرى والنسر ، قولُ أيمنِ بن خُرَيْم :

أتانـي بهـا يحيى وقـد نمـتُ نومةً وقد غابتِ الشِّعْرى وقد جنحَ النَّسْرُ

وقد أنكر أبو عبيد البكري عليه هذه الرواية وقال [4] : الصحيح في المعنى : « وقد طَلَعَ النسرُ » ، لأنّ الشعرى العبورَ اذا كانت في أفقِ المغرب كان النسرُ الواقعُ طالعاً من أفـقِ المشرقِ على نحو سبع درجات ، وكان النسرُ الطائرُ لم يطلع ؛ واذا كانت الشعرى الغُمَيْصَاء في أفقِ المغرب ، كان النسرُ الواقعُ حينئذٍ غيرَ مكبِّدٍ ، فكيف أنْ يكونَ جانحاً ، وكان النسر الطائر حينئذٍ في أفقِ المشرقِ طالعاً على نحو سبع درجات أيضاً ؛ فرواية أبي عليّ لا تصحُّ ألبتّةَ ، فكأن النسرَ الواقع نظيرُ الشعرى العبور ؛ قال الشاعر :

وإنـي وعبدَ اللـه بعـد اجتماعنـا لكـالنَّسْـرِ والشعرى بشـرقٍ ومغـربِ

---

١ ديوان ذي الرمة : ٣٩٤ (مكارتني)
٢ الكلمة قد كشطت ولم يبق منها إلا الحرف الأول وهو التاء ؛ ولم يرد البيت في شعر أبي حية المجموع .
٣ أمالي القالي ١ : ٧٧
٤ انظر التنبيه : ٣٨ والسمط (شرح الأمالي) : ٢٦٢

يلوحُ اذا غابتْ من الشرقِ شخصُهُ   وان تَلُحِ الشعرى لـه يتغيَّب

وقال أبو نواس [١] :

وخمارةٍ نبَّهتُها بعدَ هجعةٍ   وقد لاحتِ الجوزاءُ وانغمص [٢] النسرُ
فقالتْ : مَنِ الطُرَّاقُ قلنا عصابةٌ   خِفافُ الأداوَى تُسْتَقَى لهم الخمر

قال ابن بسام : وأبو عبيد البكري هذا كان آخر علماء أفقنا بالأوان ، وأوَّلهم بالبراعةِ والاحسان ، حتى كأنَّ العربَ استخلفته على لسانها ، والأيامَ ولَّتهُ زمامَ حدثانها ، وقد ذكرت[له]في القسم الثاني من هذا التصنيف [٣] ، عدَّة من التواليف في شتى الفنون ، تشهدُ أنّه تلقَّى رايةَ المعارفِ باليمين .

وقال المرتضى من قصيدة أخرى [٤] :

ألا يا ابنةَ الحيَّينِ مالي ومالكِ   وماذا الذي ينتابُني من خيالكِ
هجرتِ وأنتِ الهمُّ إذ نحنُ جيرةٌ   وزرتِ وشَحْطٌ دارُنَا من ديارك
فما نلتقي إلاَّ على نشوةِ الكرَى   بكلِّ خُداريٍّ من الليلِ حالك
يفرِّقُ في ما بيننا وَضَحُ الضّحى   وتجمعنا زُهْرُ النجومِ الشوابك
وما كان هذا البذلُ منكِ سجيَّةً   ولا البذلُ [٥] يوماً خلةً من خلالك
فكيف التقينا والمسافةُ بيننا   وكيف خَطَرْنَا من بعيدٍ ببالك
ولما امتطيتِ الليل كنتِ حقيقةً   بغيرِ الهدى لولا ضياءُ جمالك

---

١ متابع للسمط . وانظر ديوان أبي نواس : ٢٧٣

٢ السمط : وانغمس ؛ الديوان : وانحدر

٣ موضع ترجمة أبي عبيد في القسم الثاني من الذخيرة : ٢٣٣ ولم يرد فيها ذكر لتصانيف أبي عبيد لأن النسخ المعتمدة قد أخلت بايرادها ، وهذه الاحالة هنا تثبت أن ابن بسام كان قد أدرج له ترجمة مستوفاة ، ولعله فعل ذلك في مرحلة متأخرة من إعداده للكتاب ؛ ويجدر القول أن للبكري عدة مؤلفات هامة ذكرت بعضها في حواشي ترجمته في القسم الثاني .

٤ ل : ١٢٤ ، ن : ٢ : ٣٧٠ وحماسة ابن الشجري : ١٨١

٥ ل : الوصل

وهذه أبيات غريبةُ الطَّرْحِ ، بدوية السِّنْخ .

وقال من أخرى [1] :

يا طيفُ زُرْتَنا إن نَشَطتَ لنا ... فالركبُ بالأبواءِ قد نزلا
عُدْ النهارَ مطيّةً لَغِبَتْ ... وخذِ الظلامَ مع السُّرى جملا
ودعِ التعلّلَ فالحبيبُ إذا ... ملَّ الوصالَ تطلَّبَ العللا
عَجِّلْ سُراكَ إلى مضاجعنا ... واذا خطرتَ [2] فلا تغبْ عَجِلا
من أينَ يعلمُ من نحاذِرُهُ ... قَطَعَ الخيالُ الحبلَ أمْ وصلا

وقال [3] :

يا طيفُ ألاّ زُرْتنا بسوادِ ... لما تضرَّعنا حيالَ الوادي
ما كان ضَرَّكَ والوشاةُ بمعزلٍ ... عنا جميعاً لو طَرَقْتَ وسادي
والريُّ فيك وقد صديتُ فقل لنا ... مَنّاً علينا كيف يَنْقَعُ صاد
ومن اَجلِ أنَّكِ تسعفينَ على الكرى ... أهوى الرقادَ ولاتَ حينَ رقاد
يا زورةً من باخلٍ بلقائِهِ [4] ... عَجِلَتْ عطيَّتُهُ على الميعاد
تركَ البياضَ لآمنٍ وأتى به ... فَرَقَ الوشايةِ في ثيابِ حداد

وقال [5] /[١٣٢]

ألا [يا] أيها الحادي ... قفِ العيسَ على الوادي
وأينَ الطيفُ من ظميا ... ءَ أمْسى وهو معتادي

---

١ ل : ١٢٦؛ ن ٣ : ٤٦
٢ ل ن : حضرت
٣ ل : ١٢٧ ، ن ١ : ١٦٠ والشهاب : ٦٦
٤ ل : برقاده
٥ ل : ١٣١ ، ن ١ : ٢٦٥

جفا صبحاً ووافاني صريعاً بين أعضاد [1]
تلاقينا بأرواحٍ وفارقنا بأجساد

قال المرتضى : الأرواحُ لا يصحُّ لها في الحقيقة التلاقي والتزاور ، لكنَّ الشعراءَ لما رأوا الأجساد في طيف الخيالِ لم تلتقِ ولا تدانت ، نسبوا التلاقيَ إلى الأرواح تعويلاً على مَنْ جَعَلَ النفسَ لها قيامٌ بنفسها ، وأنها غيرُ الجسد ، وأنَّ التصرُّفَ لها ، فجرينا على هذا الطريق ، وإنْ كانَ باطلاً بالتحقيق .

وقال [2] :

زارني والرقادُ منّي ومنهمْ داخلٌ في العيونِ من كلِّ بابِ
زَوْرَةٌ زوّرت عليَّ ولو كا نت يقيناً لما شَفَتْ بعضَ ما بي

وقال [3] :

قل لطيف الخيالِ ليلة هوَّمْـ ـنا بنجدٍ هلاَّ طرقتَ هزيعا
والمطايا من الكلالِ على رَمْـ ـلِ زَرُودٍ قد افترشْنَ الضلوعا
ما على من يحلُّ بالغَوْرِ لو با تَ لنا طيفُهُ بنجدٍ ضجيعا
خادعونا بالزَّوْرِ منكم عن الحـ ـقّ فما زال ذو الهوى مخدوعا
واطلبوا إن وجدتمُ كاتماً للسـ ـرِّ منكم فقد وجدنا المذيعا

وقال [4] :

وليلةَ بتنا بالأُبيرقِ جاءَني على نشوةِ الأحلامِ وَهْناً رسولها
خيالٌ يُريني أنها فوقَ مضجعي وقد شطَّ عني بالغُوَيْرِ مَقيلها

---

١ ل ن :
جفا صبحاً ووافاني صريعاً بين رقاد
وأعناق المطايا من كلالٍ بينَ أعضاد
٢ ل : ١٣٤ والشهاب : ٧١ ولم يردا في الديوان .
٣ ل : ١٣٦ ؛ ن ٢ : ٢٠٤
٤ ل : ١٣٨ ؛ ن ٣ : ٣٦ ـ ٣٧

فيا ليلـةً ما كـانَ أنعـمَ بثَّها　　تنـازحَ غـاويهـا ونـام عـذولها
ومـا ضرَّنـي منهـا وقـد بتُّ راضياً　　ببـاطلهـا أنْ بـان صبحـاً بُطُـولها
فلما تجلىَّ الليلُ بالصّبـح وامحّتْ　　دياجيـرُ مـرخـاةٌ عليهـا سـدولها
أفقـتُ فلـم يحصـلْ عليَّ من الذي　　خُـدِعْـتُ بـه إلاّ ظنـونٌ أُجيلها

قال المرتضى [1] : ولهـذه الأبياتِ ما تراه ، ممـا لا تقـدرُ على جَحْـدِهِ من الفصحاحة والطّلاوةِوالبـدوّيةِ التي يُوجَدُ طعمُها في فصيح الكلام ؛ وإنما جعلتُ الطيفَ رسولها لأنه مذكّرٌ بها ومترجمٌ عنها ، فجرى مَجْرى الرسول . وكان عندي أنني سابقٌ إلى وَصْفِ الطيفِ بالرسولِ حتى وجدتُ أشجعَ السلميّ يقول :

حـيِّ طيفـاً أتـاكَ بعـد المنامِ　　يتخـطّـى إليكَ هـولَ الظلامِ
شحـطَ الحـيُّ مـن سعـادَ ومنّـا　　رُسُـلٌ بيننـا مـن الأحـلام

وقال البحتريّ [2] :

إذا أرسلـتْ طيفـاً يذكّرنـي الهـوى　　رددتُ إليـهـا بالنجـاح رسولَها

وقال المرتضى [3] :

وزورٍ زارنـي والليـلُ داجٍ　　[وقـد مـلأ الـكرى منّـا العيونا]
يريني أتـه ثانـي وسادي　　مضـاجعـةً وَزُورٌ مـا يـرينـا
نعمتُ ببـاطـلٍ ويـودُّ قلبـي　　وداداً لـو يكـونُ لـنـا يقينا

وقـال [3] :

حللتِ بنـا والليـلُ مُـرْخٍ سُدُولَـهُ　　فـألاً وضوءُ الصبحِ في العينِ مُشْرِقُ

---

١ ل : ١٣٩ ـ ١٤٠
٢ ديوان البحتري : ١٧٩٧
٣ ل : ١٥٣ ؛ ن ٣ : ٣٠٥والشريشي ٢ : ٢٣٠
٤ ل : ١٦٢ ؛ ن ٢ : ٣٠٦

فأحبِبْ به من طارقٍ بعد هدأةٍ   على نشوةِ الأحلام لو كان يصدق
ولما تفرَّقنا ولم يكُ بيننا   هنالك لولا النومُ إلاَّ التفرّق
تطايرَ وصلٌ غزَّنا فكأنّه   رداءٌ سحيقٌ أو مُلاءٌ مُشَبْرَقُ

وقال [1] :

ألمَّ خيالٌ من أُمَيْمةَ طارقُ   ومن دونِ مَسْرَاهُ اللِّوى فالأبارقُ
ألمَّ بنا لم نَدْرِ كيف لمامُهُ   وقد طال ما عاقَتْهُ عنَّا العوائق
فللّه ما أَوْلىَ الكرى من دُجُنّةٍ   جَفَتْهَا الدراري طُلَّعاً والبوارق
نعمنا به حتى كأنَّ لقاءَنا   وما هو إلا غايةُ الزُّورِ، صادق
فما زارني في الليلِ إلاَّ وَصُبْحُنَا   تُسَلُّ علينا منهُ بيضٌ ذوالق
وكيف ارتضيتَ الليلَ والليلُ ملبسٌ   تضلُّ به عنا وعنكَ الحقائق
تُخَيِّلُ لي قُرْباً وأنتَ بنجوةٍ   وتوهمني وَصْلاً وأنتَ مُفَارِقُ

وقال [2] :

ضنَّ عني بالنَّزْرِ إذْ أنا يقظا   نُ وأعطى كثيرَهُ في منامي
والتقينا كما اشتهينا ولا عَيْـ   ـبَ سوى أنَّ ذاكَ في الأحلام
وإذا كانتِ الملاقاةُ ليلاً   فالليالي خيرٌ من الأيام

وقال [3] :

وسَّدني كفَّهُ وعانقني   ونحنُ في سَكْرةٍ من الوَسَنِ
وباتَ عندي إلى الصباح وما   شاعَ التقاءٌ لنا ولم يبن

---

١ ل : ١٧٠ ؛ ن ٢ : ٣٠٧
٢ ن ٣ : ٢٧٠ ؛ ل : ١٧٤ ـ ١٧٥ وابن خلكان ٢ : ٣١٤
٣ ن ٣ : ٣٤٢ ؛ ل : ١٧٥

خادعني ثم عدَّ خَدْعَتَهُ ... بمقلتي مِنَّةً من المنن
فان تكنْ زورةً مُهَوَّمَةً ... فقد أمِنَّا به من الظِّنَنِ
وإنْ يكنْ باطلاً فكم باطلٍ ... عاشَ به ميّتٌ من الحزن

[وقال] [1] :

يا خليليَّ من ذؤابةِ قيسٍ ... للتصابي رياضةُ الأخلاقِ /[١٣٣]
غنّياني بذكرهمْ تطرباني ... واسقياني دمعي بكأسٍ دِهَاق
وخذا النومَ من جفوني فاني ... قد خلعتُ الكرى على العشاق

فصل في ذكر الوزير أبي القاسم
الحسين بن علي المغربي
واجتلاب سابق أشعاره ، ورائق أخباره [2]

كان أبو القاسم نجماً مطالعُهُ الدُّوَلُ ، وبحراً عُبابه القولُ والعمل ، وروضةً تقوتُ القلوبَ نفحاتُها ، وتقيدُ الأبصارَ صفاتُها وموصوفاتُها ، أمّا العلماءُ فعيالٌ عليه ، وأمّا العظماءُ فَلُعَبٌ في يديه ، وأما الأقلامُ فبعضُ شِيَعِهِ وأنصارِهِ ، وأما الأقاليمُ فبينَ إيرادِهِ وإصداره ، وأما مكانُهُ من العلم الحديثِ والقديم ، وسَبْقُهُ إلى غايتي المنثورِ والمنظوم ، وإقدامُهُ على المهالِكِ ، وتلاعبُهُ بالأملاكِ والممالك ، فأشهر من الصباح ، وأسْيَرُ من الرّياح .

---

١ ن ٢ : ٣٤٢ وابن خلكان ٣ : ٣١٤

٢ وردت ترجمة الوزير المغربي (٣٧٠ ـ ٤١٨) في تتمة اليتيمة ١ : ٢٤ ودمية القصر ١ : ٩٤ والمنتظم ٨ : ٣٢ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٩ ومعجم الأدباء ١٠ : ٧٩ وتاريخ ابن الأثير ٩ : ٣٦٢ وابن خلكان ٢ : ١٧٢ ـ ١٧٧ وبغية الطلب ٥ : ١٤ ـ ٣٠ واعتاب الكتاب : ٢٠٦ ورجال النجاشي : ٥٥ والاشارة الى من نال الوزارة : ٤٧ ولسان الميزان ٢ : ٣٠١ ، وراجع في أخباره أيضا ذيل ابن القلانسي : ٦١ ـ ٦٤ وصفحات متفرقة من اتعاظ الحنفا (جـ :٢) والدرة المضية ٦ : ٣٠٩ ـ ٣١٢ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٦ ؛ وقد ذكره ابن القارح في رسالته وحكى شيئاً من أخباره معه (انظر رسالة الغفران : ٥١ ـ ٥٨) وقد علّق ابن العديم على ذلك بقوله : وكان بين أبي القاسم ابن المغربي وبين علي بن منصور (ابن القارح) ما يوجب ألا يقبل قوله فيه .. (بغية الطلب ٥ : ١٩)

ومن أوابدِ أخبارِهِ ، وخالدِ آثاره ، كتابُهُ المُتَرْجَمُ بِـ « المنخَّل » في اختصاره « إصلاح المنطق » لابن السكيت [1] ، فانه غايةٌ لا يتعاطاها إلا من بَهَر عِتْقُه ، واشتهر سَبْقُهُ ، وطريقةٌ لا يتوخَّاها إلا مَنْ رسخت في العلم قدمه ، وترامتْ به إلى معالي الأمورِ هممه ؛ ومما يعجب من أمره ، ويرفعُ الصوتَ بجلالة قدره[2]: « أنـه استظهر القرآن وعدةً منَ الكتبِ المجرَّدةِ في اللغة ، ونحوَ خمسةَ عشرَ ألف بيتٍ من مختار الشعر [القديم ، ونَظْم الشعرَ] وتصرَّف في النثر ، وبلغ من الخطّ إلى ما يقصّر [3] عنه نظراؤُهُ ، ومن علم الحسابِ وجميع الأَدواتِ [4] إلى ما يستقلُّ بدونه الكاتبُ ، وذلك كله قبل استكماله أربعَ عَشْرَةَ سنـةً ، واختصر ذلك الكتـابَ فتناهـى في اختصاره ، وأوفى على جميع فوائده ، حتى لم يَفُتْهُ شيءٌ من ألفاظه ، وغيَّرَ من أبوابه ما أوجبَ التدبيرُ تغييره للحاجة الى الاختصار ، وجمعَ كلَّ نوع [إلى] ما يليقُ به » .

ولما أوقع الحاكم بأبيه وأهل بيته ونَذَر دَمَهُ ، خرجَ من مصرَ معتقداً لعلوّ همَّته ، ناشداً لضائع ذِمّتِهِ ، فأتى مكةَ فحملَ أبا الفتوح [5] على القيام بها ، وقرَّب له ما كان يستبعدُ من طلبها ، وجسرَّه على أَخْذِ ما كان بها من محاريب الفضة والذهب ،

---

١ بعـث ابن المغربي بالمختصر إلى أبي العلاء المعري فكتب اليه الرسالة الاغريضية يثني على اختصاره وينبه على فضله، ومما قاله ، « ووقفت على مختصر إصلاح المنطق الذي كاد بسمات ألباب ، يغني عن سائر الكتاب ، فعجبت كل العجب من تقييد الاجمال ، بطلاء الاحمال ، ... شرفاً له تصنيفاً شفى الريب ، وكفى من ابن قُرَيْب ، ودلَّ على جوامع اللغة بالايماءِ ، كما دلَّ المضمر على ما طال من الأسماء...» (رسائل أبي العلاء : ١٨ وصبح الاعشى ١٤ : ١٨٢) ولأبي العلاء رسالة أخرى إلى ابن المغربي تعرف بالمنيح (انظر الرسائل ص : ٣)

٢ ما بين اقواس صغيرة يكاد ان يكون نصَّ ما كتبه والد الوزير المغربي في ابنه ، على ظهر مختصر اصلاح المنطق ، ونقله ابن العديم في بغية الطلب ٥ : ١٧ وما بين معقفين زيادة منه، وما جرى إصلاحه فانما تمَّ اعتماداً عليه ، وكذلك هو عند ابن خلكان .

٣ في الأصل : نقص

٤ ابن العديم : ومن حساب المولد والجبر والمقابلة وجميع الأدوات ..

٥ هو الحسن بن جعفر العلوي، وقد جوز له الوزير المغربي أخذ مال الكعبة وضربه دراهم، وتلقب بالراشد بالله ، وإلى بعض هذا يشير ابن القارح بقوله : « وبغضي له ـ شهد الله ـ حياً وميتاً اأوجبه أخذه محاريب الكعبة ، الذهب والفضة وضربها دنانير ودراهم وسماها الكعبية .. » (رسالة الغفران : ٥٨ ، وانظر بغية الطلب ٥ : ٢٤)

فضربها دنانير ، وفرَّقها على من تَبِعَهُ من ذُؤبانِ العرب ، ثم سار يدعو إليه ، وَيَسْفِرُ بينه وبين من عسى أن يأبَى عليه ، حتى دخل الرملةَ وصعدَ منبرها ، فتلا من غير استفتاحٍ لتحميد ولا صلاةٍ على النبيِّ عليه السلام قولَ الله تعالى : ﴿ إنَّ فرعونَ علا في الأرضِ وجَعَلَ أهْلَهَا شِيَعًا ﴾ وأومأ بيده إلى مصر ، يعني الحاكم ﴿ يَسْتَضْعِفُ طائفةً منهم يُذَبِّحُ أبناءَهُمْ وَيَسْتَحيي نِسَاءَهم إنَّهُ كانَ منَ المفسدين . ونريدُ أنْ نَمُنَّ على الذين اسْتُضْعِفُوا في الأرْضِ ﴾ (القصص :٤) ثم عاد إلى أبي الفتوحِ المذكور ، وهزَّه لذلك ، فألفى سَيْفَهُ كَهَاما ، وسحابَهُ جَهَاما ، فخرج إلى العراق ، ودخل الكوفةَ متقرباً لسلطانها، ثم خافه وزيرُ قرواش [١] فتقرَّبَ إليه بالمال ، وأشارَ عليه بالترحال ، فصار إلى ميّافارقين ، وأميرُهَا يومئذٍ نصرُ الدولة أحمد بن مروان الكرديّ ، فتقلّد وزارتَهُ بعدَ طولِ مقام ، وبُعْدِ مرام ، وخلع المرقّعةَ والصوف ، ولبس الممسَّكَ والشّفوفَ ، فهتك سِتْرَ الحياء ، وخلعَ رِبْقَةَ الرياء ، فصار كما قال في نفسه ، وقد ابتاع غلاماً تركياً كان يهواه ، قبل أن يبيعه منه مولاه [٢] :

تبدَّلَ من مُرَقَّعةٍ ونُسْكٍ بأنواع الممسَّكِ والشفوفِ
وعنّ له غزالٌ ليس يحوي هواه ولا رضاه بلبسِ صوف
فعاد أشَدَّ ما كان انهتاكاً كذاك الدهرُ مختلفُ الصروف

ثم روسل بعدُ بوزارةِ الموصل [٣] ، فسار إليها ، وتقلّد لحينهِ وزارةَ المستولي عليها ، فملكَ زِمامَها ، وصرَّفَ أيامَها ، ودوّخ معالمها وأعلامَها ، وأتى على ما كان بها من رَمَق ، وجرى من العَسْفِ بأعاظم أهلها من أبْعَدِ طَلَق ؛ ثم راسَلَتْهُ وزارةُ بغداد وأميرُهَا يومئذٍ أبو علي بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة بن عضد

١ هو المعروف بابن ابي الوزير الكافي ، وكان وزيراً ومديراً لدولة قرواش بن المقلد ، ويقول ابن العديم ان هذا الوزير قدم إلى ابن المغربي مالا كثيراً كي يرحل عن الموصل فسار عنها الى ديار بكر (بغية الطلب ٥ : ٢٦)
٢ الأبيات في بغية الطلب ٥ : ٢٦ واعتاب الكتاب : ٢٠٦ والشريشي ٥ : ٣٠٥ وتاريخ المسبحي : ٢٣٤ ب
٣ كان ذلك بعد وفاة ابن أبي الوزير الكافي .

الدولة بن ركن الدولة أبي عليّ ،فتبحبحَ ذروتها ، واقتعد لِوَقْتِهِ صَهْوَتها ، فانتظمتْ له الأيام ، وَحَمِدَ على يديه النقضُ والإبرام ، وبلغ الحالَ التي تَصْغُرُ عنها النِّعَمُ ، وتقصرُ دونَهَا الهمم . ثم إن أبا عليّ أوقع بمن كان يتهمه من الأتراك ، وكان قد نهاه الوزير ، وأشار عليه بما يقتضي التدبير ، فأبى إلاّ ركوباً لرأسه ، وإدلالاً بنفسه ، فاضطرب العسكرُ اضطراباً اضطرهما جميعاً الى الهرب ، وأفضى بهما إلى استجارة أمير العرب .

حدَّثَ نحريرُ غلامُهُ قال : عهدي بالوزير وهو خارجٌ ، وقد لبس ثياباً رثّةً ، وعلى وجههِ منديلُ قد لفَّه فيه لئلا يمتازَ/[١٣٤] من جملةِ العامّةِ ، وقد أقبل عليّ واستقبلني في الدهليز ينشدني لنفسه في الحال [١] :

تَمَرَّستْ منّي العلا بامرئٍ [٢] قد علقَ المجدُ بأمراسِهِ
يستنجد النجدةَ من رأيهِ ويستقلُ الكُثْرَ من باسه [٣]
أروعُ لا يرجع [٤] عن تيهِهِ والسيفُ مسلولٌ على راسه

وقد قيل إن إخراجَهُ المَلِكَ معه إنما كانتْ حاجةً في نفسه قضاها ، وخطةً من مكره أَلْزَمَهُ إيّاها ، إبقاءً على جلالةِ المقدار ، وأَنَفَةً من الانفرادِ بعيبِ الفرار ، ثم إن أبا عليّ ثاب سلطانُهُ ، وراسله شيَعُهُ بالحضرةِ وأعوانُهُ ، فعاد إليها ، وأقام أبو القاسم بالموصل وقد كثر أتباعه ، وملأ البلادَ [عيانه] وسماعه ، فأقام بها يسيراً ، واستشعرَ من صاحبه تقصيراً ، فاستأذنَهُ في الرجوع إلى ميافارقين ، فحلَّها ، وتلقَّاه نصرُ الدولةِ بالاصطناع ، وأَقْطَعَهُ صامتَ الأموالِ وفاشي الضياع ، ثم رُوسِلَ ثانيةً

---

١ الأبيات في دمية القصر ١ : ٩٦ ومعاهد التنصيص ٣ : ٣٣ وإعتاب الكتاب : ٢٠٧

٢ دمية : قارعت الأيام مني امرءاً

٣ روايته في دمية القصر :
يستنزل الرزق باقدامه ويستدر العزّ من باسه

٤ دمية : لا ينحط

من بغدادَ للوزارة ، واستأذن نصرَ الدولة ، فخلى بينه وبين مراده ، ولم يجدْ بُدّاً من إسعاده، ووفاءً بانجازِ ميعاده، فلما برزتْ قبابُهُ ، وكادتْ تستقلّ ركابه ، خُوِّفَ نصرُ الدولة عاقبةَ مكره ، وأُشيرَ عليه بالرأيِ في أمره ، فسقاهُ شربةً كانت آخرَ زاده ، ووفاءً بانجاز ميعاده ، وتقدَّم حين أحسَّ [بالموت] بحملِهِ الى الكوفةِ ليدفنَ في حجرةٍ أعدَّها هنالك بازاء قبرِ أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ، فَسِيرَ بتابوته مسيرةَ شهر ، بين أيدي الحتوف ، وتحت أظلال السيوفِ ، أكرومةٌ ختم بها مَجْدَهُ ، وأحدوثةٌ أبقاها في الناس خالدةً بعده .

وقد أجريتُ من نثره الرائقةِ فصوله ، ونظمهِ المتقنـةِ فروعُهُ وأصولُهُ ، ما يعطِّر الزهرَ شذاه ، ويروقُ النجومَ الزهرَ مرآه .

فصـل من رسـائله

لمـا دخل البطيحةَ وبها أبو القاسم هبةُ اللهِ بن عيسى [1] [وزيـر] مهذّبِ الدولة ، وكان من أفاضل أهلِ وقتِهِ ، فدخل الى ابنِ المغربيّ رجلٌ يُعْرَفُ بسليمانَ ابن الربيع ، وسلَّم اليه قصيدةً قد بُنِيَتْ على السؤالِ عن ألفاظٍ من اللغة على جهةِ الامتحانِ لمعرفته ، فلما وقف عليها امتعضَ في الحال ، وأحفظه ما لقيَ من التعدّي والسؤال ، ونَسَبَ ذلك إلى فعل أبي القاسم وزيرِ مهذّب الدولة البطيحيّ ، فكتب عَقِبَ الوقوف [2] على ذلك لوقته جواباً أثبتُّ بعضَ فصوله ، لطوله ، بعـدَ هذه الأبياتِ المذكورة :

يـــا أفضــــلَ الأدبـاء قـــو لاً لا تعــارضُــــهُ الشكــــوكْ
لا العلــــمُ نـــاءٍ مـــن حجـا ك إذا نطقــتَ ولا فَـــرُوكْ

[1] ذكر ابن الأثير (٩ : ٢٥٢) أنه توفي سنة ٤٠٦ وقال فيه : « كان من الكتاب المفلقين ، ومكاتباته مشهورة ، وكان ممدحاً ، وممن مدحه ابن الحجاج » .
[2] ص : عقب الدولة .

عرضتْ مسائلُ أنت للفـ ـتوى بمشكلها دَرُوكْ
ما الحيُّ والحيّوتُ أم ما جِلْبَحٌ نِضْوٌ بَرُوكْ
أمْ ما ترى في بِرْقِعٍ رقشاءَ مجهدها حبيك
أم ما الصَّرَنْقَحُ والزَّريرُ وما الململمّعةُ النّهوك
ولك الدرايةُ والبصيرةُ في مداحيها السّهوك
وأبنْ لنا ما خمططُ أبداً بأمْرِغةٍ معيك
أو ما اعتنانةُ فَوْهَدٍ فيه الملامةُ لا تحيك
أم ما ترفُّلُ [هَبْرَجٍ] يرتبّ مِرْسَنَهُ هلوك
ولربَّ ألفاظٍ أتتك وفي مطاويها حلوك
فارفقْ بنشرك طيَّها وانظر بذوقك ما تلوك
هذا وقد لَذِمَتْ فُؤادي خِرمِلٌ هِرْطٌ ضحوك
دعكنّةٌ نظرنّةٌ في خَيْسٍ غانظها شكوك
تغدو وخرفعها المذيّـ ـلُ في طوائفه سُدُوك
وأراكَ ما لك مشبهٌ في ما علمتَ ولا شريك
حقاً لقد حُزْتَ العلو مَ حيازةَ العلمِ الضريك

فأجابه ابنُ المغربيّ برقْعةٍ قال فيها : وقفتُ على ما ذكرتَ أنَّ بعضَ أهلِ الأدب كلّفَكَ المسألةَ عن شعرٍ وجدتَهُ ، لا أحبُّ أن أقولَ في صناعته شيئاً ، مشتملاً على ألفاظٍ من حوشيّ اللغةِ لا يَتَشَاغلُ بمثلها أهلُ التحصيل ، ولا يتوفَّرُ على تأمّلها إلاّ كلُّ ذي تأمُّلٍ عليل ، لخروجها عما ينفعُ في الأديان ، ويعترضُ في القرآن ، ولمباينتها ما يجري في المذاكرة ، وتُستخدم فيه المحاورة ، وزاد في عجبي منها صَدَرُهَا عن البطيحةِ وفيها الأستاذ [1] الفاضلُ هبةُ الله بحرُ الأدبِ الذي عَذُبَتْ مواردُهُ

[1] ص : من الأستاذ ، ولعلها « مثل الأستاذ »

ومصادرُهُ ، وريُّ العقول الظِماء ، وطبُّ الجهلِ المستغمر الداء [1] ، والبابُ الذي يفتحُ عن الدهر تجربةً وعلماً ، والمرآةُ التي تُتَصَفَّحُ بها أوجهُ الأيام/ [١٣٥] **إحاطةً وفهماً .**

وفي فصل : فان كانَ الغرضُ في هذه الأبياتِ الخرابِ ، المقفرةِ من الصواب ، طلبَ الفائدةِ ، فقد كان يجبُ أن يُناخَ عليه بمُقْفَلها ، وَيُقْصَدَ إليه بمُعْضلها ، فعندَهُ مفتاحُ كلِّ مسألةٍ مُقْفَلة ، ومصباحُ كلِّ داجيةٍ مُشْكِلَة ؛ بل لستُ أشُكّ أنَّ هذا السائلَ لو جاوره صامتاً عن استخباره ، وعكفَ على ذلك الجَنَابِ كأنَّما لجأ في طيِّ إضماره ، لأعداهُ رقةُ نسيمِ أرضه ، وهذَّب [2] خاطِرَهُ التقاطُ لفظه ، حتى يغنيَهُ الجوارُ عن الحِوار ، والاقترابُ عن رَجْع الجواب ؛ وان كان قصدَ الامتحانَ للمسؤول ، وتعرَّض لهذا الموقفِ الزَّحُول ، فذلك أعجبُ : كيف لم يتأدَّبْ بآدابه الصالحة ، ويَعْتشي إلى هدايتِهِ الواضحة .

وفي فصل : وكيف لم يعلمْ هذا العِرِّيضُ المكلَّف ـ بما أُعْطِيَ من سعادة مكاثَرَتِهِ ، وسيق [3] إليه من بَرَكة صحبته ـ أن هذا التعريض كما قال المخزوميّ لعبد الملك بن مروان وقد [4] لقيه في طريق الحجاز : بئستْ تحيةُ الغريبِ من القاطنين ، ولؤُمَتْ هديّةُ الوافدِ من المقيمين ، وقد كان حقُّ الغريب بينكم أن يكثَرَ قليلُهُ ، وَيُسَدَّ ذريعه ، وَيُعارَ من معالي الصفاتِ ما يُؤْنِسُ غُرْبَتَه ، ويصدِّقُ مخيَّلَتَهُ. وعلى أنّه لو كان قد احتبى للجدال ، وركبَ للنزال ، لما كان في عزوبِ [5] كلماتٍ من حوشيّ اللغةِ عن ذكره ، ما يدلُّ على قِصرَ باعه ، وقلَّةِ اطلاعه ، ويا عجبا للفراغ

١ ص : المستعمل اللاأ .
٢ ص : وهذبت .
٣ ص : وساق .
٤ ص : ولقد .
٥ ص : عسروب .

كيف يسوّغ لهذا المغترّ أن يجاريَ بخلوّ ذَرْعِهِ تَقَسُّمَ أفكاري ، وكيف أنساهُ اجتماعُ شمله بُعْدَ دياري ، وكيف أذهلَهُ حضورُ أحبّته عن مغيبِ أفلاذِ كبدي ، وكيف طرفت نواظرَهُ سكرةُ الحظِّ عن تصوّر ما يجُنُّ خلدي ، وكيف لم يدر ما لي من ألحاظٍ مُقَسَّمة ، وظنونٍ مُرَجَّمَة ، وقد تكلَّفتُ الإجابةَ لما تَضَمَّنَتْهُ الأبياتُ انقياداً لمرادك ، ومقتصرَ الرأي على إسعادك ، أجرُّ أقلامي جرّاً وهنَّ نواكل ، وأنبّهُ قرائحي وهنَّ في غَمَرات الهمومِ ذواهل :

قال السائل : « إن المسؤولَ دَرُوكٌ لتلك الفتوى ، ومستحقّ بها للرتبة العليا » وَدَرُوكٌ لا يجوز هنا لأنَّ فَعولاً لا يكونُ من أفعل ، ولو جاز ذلك لجاز « حَسُون » من « أحسن » و « جَمُول » من « أجمل » . وما نحبُّ استيفاءَ القولِ في هذا الزلل ، ولا نستفتحُ كلامنا بالمناقشة في السَّهْوِ والخَطَل ، ولعلَّ القائلَ أُوهم حَمْلاً على قراءةِ حَفْص ﴿ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ منَ النَّارِ ﴾ (النســاء : ١٤٥) فظن أن الدَّرْك بوزنِ فَعْل ، وأنّ فَعْلاً مصدرُ فَعَلَ يفعل ، ولم يجعله من الدَّرَك ، لأن الفتح عندهم لا يخفف ، لا يقولون في جَمَل « جَمْل » ، وذهب عنه أن يكون اسماً مبنياً مثله وان لم يكن مخففاً منه كما قالوا : « دِرَكَةٌ وَدِرْكَةٌ في حَلْقَةِ الوتر التـي تقـع في فُرْضَـة[١] القوسِ ، فخففوا وحرّكوا ، وعلى أنهما لو كانا مصدرين لجاز أنْ يبنيا على الشذوذ ولا يحمل عليهما ما يُبْنَى من الفعل ، لأن الشذوذَ ليس بأصْلٍ يقاس عليه . ولعله اغترَّ بقولهم : « درَّاك » ـ بالشدِّ ـ وهو شاذٌ لأنهم قد [بنـوا] أفعل من فعَّل ، وهـو قليل ، قالوا فطَّرته فأفطر ، وبشَّرته فأبْشرَ ، فجاز على هذا درّكتـه فأدْرَكَ ، قال سيبويه : وهذا النحو قليل في كلامهم . ولعله ذهب إلى قولهـم : « دَرَاكِ » مثـل « نَزَالِ » فظنَّ أنه يقال منه « دَرَكَ » كما يقال من « مَنَاع » و « نَزَال » : مَنَعَ ونَزَلَ . وذهب عنه [أنــه] قد جاء الرباعي في هذا الباب ، قالوا : قرقار وعرعار ، في

١ ص : فرض .

٢ ص : يفعـل

معنى قرقر وعرعر. فأما الفرق بين الرباعي والثلاثي ، فسيبويه يرى إجازة « فَعالِ » في موضعِ فعلِ الأمرِ الثلاثيّ كله ، ويمنعه في الرباعيّ إلا مسموعاً ، وقال غيره من النحويين : بل هما ممنوعان إلا مسموعين ، واعتمد سيبويه في الفرق على كثرةِ الثلاثيّ ، وقلّةِ ما جاء في الرباعي . أو لعله أصغى إلى قول الآخر [١] :

إن يكشِفِ اللـه قنـاعَ الشكِّ فهـو أحـقُّ منـزلٍ بِـدَرْكِ

فذهب إلى أن « دَرْكاً » مصدرٌ ، ولم يعتقدْ أنه كما قرأ حَفْصٌ بالاسكان . أو لعله عَلِقَ سمعه [قـول] العتبي :

اذا قلـت أوفى أدركتْـهُ دروكةٌ فيا موزِعَ الخـيراتِ بالعُـذْرِ أَقْصِرِ

وما أعرفُ له حجةً أقوى منه . أو لعله أراد بقوله : دروك من الدَّرْك مثل : لغوب ، وهي لغة تكلَّمتْ بها العرب .

ثم بدأ السائل فسأل عن « الحيّ » ، ولم أقِفْ على صحَّة سؤاله لأني وجدتُ الأبياتَ مكتوبةً بخطٍّ عليل ، وإن كان سأل عن « الحِيّ » ـ بكسر الحاء ـ فقد أنشدَ أهلُ العلم قولَ العجاج [٢] :

وقـد نرى إذ الحيـاةُ حِيٌّ واذ زمـانُ النـاسِ دَغْفَلِيُّ

فقال الحِيُّ من الحياة ، والحُيُّ/ [١٣٦] جمعُ حيّ . وأما كونُهُ على معنى الحياةِ فوزنه على فِعْل باختلاف .

١ ورد في اللسـان (درك) :

بظفـر من حاجتي ودرك فذا أحق منزل بتـرك

وفي التـاج :

إن يكشف الله قناع الشـك بظفر من حاجتـي ودرك

فـذا أحق منزل [بتـرك]

٢ ديوان العجاج : ٤٨٦ واللسـان والتاج (دغفل) ؛ والدغفلي من العيش : المخصب الواسع .

قال ابن بسام : ومدَّ أبو القاسم في هذا الجواب أطنابَ الإطناب ثم قال : « والحيّوت » الحية وَزْنُهُ فَعْلوت ، والتاءُ فيه زائدة ، وكثيراً ما تُزَادُ خامسةً مثل عفريت ، وإنما هو عفريّ .

و« الجلبَحُ » العجوزُ الكبيرةُ ، وأنشدوا : « إنّي لأَقلي الجِلْبَحَ العجوزا »

و« بِرْقِعُ » : السماءُ الدنيا ، قال أمية بن أبي الصلت [1] :

وكأنَّ بِرْقِعَ والملائكُ حولها سَدِرٌ تَوَاكَلَهُ قوائمُ أربعُ [2]

و« الصَّرَنْقَح » : الشديدُ الخالصُ ولا يكونُ فَعَنْلَل إلا وصفاً لا اسماً ، قال جران العود [3] :

ومنهنّ غلٌّ مُقْمِلٌ لا يفكُّهُ من القومِ إلا الشَّحْشَحَانُ الصَّرَنقحُ

و« الزِّريرُ » الذكيُّ والمتحدّر [4] ، وكان شيخنا أبو أسامة [5] يخالفُ جميعَ اللغويين فيه ويقول : هو الزِرّير ، ومنه اشتق اسم « زُرارَةَ » ، وقولُ أبي أسامة أصحّ .

و« الملمَّعة » الفلاةُ التي يَلْمَعُ فيها الآل ، وفي مَثَلٍ : « **أكْذَبُ من يَلْمَعَ** [6] » وهو السراب ، ومنه الألمعيُّ ، كأنه يلمعُ العواقب بدقة فطنته ، وأما

١ ديوان أمية : ٣٥٨ واللسان (سدر) ويجيء قافية البيت أحياناً « أجرد » و« أجرب » وقال ابن بري : صوابه « أجرد » والقصيدة دالية ، والجرد : الملاسة .

٢ السدر : البحر ، ولم يسمع به إلا في شعر أمية ، تواكلته : تركته ، والقوائم هنا : الرياح .

٣ ديوان جران العود : ٨

٤ في اللسان والتاج أن الزرير هو الذكي الخفيف .

٥ هو جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي (- ٣٩٩) كان مكثراً من حفظ اللغة ، أخذ عن الازهري وغيره ، وقتله الحاكم العبيدي (انظر ابن خلكان ١ : ٣٧٢ ومعجم الادباء ٧ : ٢٠٩ وبغية الوعاة ٢ : ٤٨٨)

٦ انظر المثل في الدرة الفاخرة : ٣٦٢ (وفيها تخريجه) .

اللوذعيّ فهو الذي يتلذّعُ من شدة ذكائه . ويقال ألمعتِ الوحشيّةُ وغيرها اذا بان لِضَرْعها سِقَالٌ وبريقٌ باللبن ، قال الأعشى [١] :

مُلْمِعٌ لاعَةُ الفؤادِ إلى جحشٍ فَلاَهُ عنها فبئسَ الفالي [٢]

ويقال إن « لاعةَ » فَعْلة ومذكرها لاعٌ ، وفي الحديث : هاعٌ لاعٌ ، وقيل بل لاعة بوزن فاعلة ، كان الأصل « لاعية » من اللعو ، وهو أشدُّ الحرص ، وبين الخليل وأهلِ النحو فيه خلاف يشقّ إحصاؤه .

و« النَّهوك » و« النَّهيك » و« النهاكة » معروفة .

و« البصيرةُ » الترسُ ، قال الأسعر الجعفي [٣] وليس بالأسعر [٣] المازنيّ :

راحوا بصائرُهُم على أكتافِهِمْ وبصيرتي يعدو بها عَتَدٌ وَأى [٤]

والبصيرة : الدم ؛ [والبصيرةُ : الدية] ومعنى البيتِ على هذا أنهم أخذوا الدياتِ ولم آخذْ ، فركبتُ يعدو بي فرسي لطلبِ الثأرِ ، ويكونُ هذا مشبهاً لقولهم :

ورحتُ أجرُّ ثوبَيْ أرجوانِ [٥] ....

---

١ بيت الأعشى في اللسان والتاج (لوع) وديوانه : ٨

٢ قال الأصمعي : الملمع التي قد استبان حملها في ضرعها فأشرق ضرعها باللبن ؛ وقال أبو عبيدة : ملمع : نتوج مقرب ، لاعة الفؤاد اراد لائعة الفؤاد أي مستخفة من الحزن ، ورجل هاع لاع وهائع لائع مشتاق إلى الشيء ، والفالي : الطارد .

٣ في ص : الأعسر ؛ والأسعر الجعفي ـ ضبطه الآمدي بالسين المهملة ـ هو مرثد بن أبي حمران ، وأورد له بيتين من قصيدته التي منها هذا البيت التالي وهي قصيدة اصمعية (الأصمعيات : ١٥٦) وانظر اللسان (عتد ، وأي) والمعاني الكبير : ١٠١٣ والوحشيات رقم : ٥٧

٤ العتد : الفرس الحاضر المعدّ للركوب ؛ الوأى : السريع المشدّد الخلق ؛ وقال ابن قتيبة في شرح البيت ، البصيرة ، الدفعة من الدم أي دماؤهم قد خرجت فصارت على اكتافهم وبصيرتي في جوفي يعدو بها فرسي ، يريد أنهم جرحوا ، ويقال بل أراد أن الذي طلبوه من الذحول على اكتافهم لم يدركوه بعد ، فهو ثقل عليهم ، وبصيرتي أي ذحلي قد أدركت به .

٥ لم أستطع قراءة هذا الشطر ، وصورته في ص : عدا دل داء لهن حجة .

كلانـــا اختـــار فانظـــرْ كيفَ تَبْقَى أحـــاديثُ الرجـــالِ على الزمانِ

والبصيرة في هذا الموضع : الحق .

و « المداحي » مُفاعِلُ من الدَّحْوِ وهو البَسْط ، والدَّحْوُ أيضاً النكاح .

و « السَّهوك » من السَّهْكِ وهو السَّحْقُ ، ويقال : ريح سَيْهوكٌ وسَيهْوجٌ ، اذا كانت شديدةَ المرورِ والهبوب .

و « الخمطط »[1] هو الِكُحْكُحُ ، وهو الشيخُ الكبير .

و « المَرْغُ » الريقُ ، يقال أحمق ما يجافي مَرْغَهُ ، أي ما يمسك ريقه ، والمرغ : التراب ، في غير هذا .

و « مَعِيك » فعيلٌ بمعنى مفعول من المَعْكِ ، وهو كالكنى .

وسأل عن الفَوْهَدِ ، والفَوْهَدُ والثَّوْهَدُ : الغلامُ الممتلىء شباباً ، وأنشدوا [2] :

تحبُّ منّـــا مُطْرَهِفّـــاً فَوْهَـــدا عِجْـــزَةَ شيخـــينِ غلامـــاً أمردا

ينشـــد بالثـــاء والفاء .

و « القِلْفِعُ »[3] الطينُ الذي يتقلَّعُ عن الكمأة ، وفيها خلاف .

و « الهَبْرَجُ » من صفة بقر الوحش .

و « يرتبُّ » يفتعل ، من ربَّ الأمرَ ، أصلحه .

و « المِرْسَن » موضع الرسن .

١ لم أجد هذه اللفظة وأقرب الصور اليها « لطلط » وهي بمعنى الكحكح .

٢ اللسان (طرهف . فهد) والمطرهف : الحسن التام ، والفوهد والثوهد والفلهد : الغلام السمين الذي قد راهق الحلم .

٣ لم ترد في الأبيات ، فلعل فيها سقطا .

و « الهَلوكُ » الفاجرةُ لأنها تتهالك في مشيتها أي تتمايلُ وتتهادى .

و « لَذِمَ » بالمكانِ وألذم ، مثل لزم وألزم .

و « الخِرْمِلُ » المرأةُ الفاجرة ، وقيل الحمقاء ، قال مزرّد [1] :

* إلى خِرْمِلٍ شـــــرُّ النســاءِ الخرامــلُ *

و « الهِرْطُ » النعجةُ المسنَّةُ و [اللحم المهزول] في غير هذا ، والهَرْدُ : الشقُّ

و « دعكنّة » أصله السّمَنُ والفتوة ، وهو ما لا يُسأل عنه ، لأن كلَّ ما زيدت فيه النون في هذا الموضع يدلُّ لفظه على اشتقاقِهِ كما تدل سمعنّة ونظرنّةٌ على السمع والنظر ، ودعكنّة من الجلادة ، كأنه من الدعاك [2]

و « الخِيسُ » الغابة ، وفي غير هذا الموضع اللحية .

و « الغانظُ » فاعلٌ منْ الغنظ وهو الكَرْبُ ؛ قال عمر بن عبد العزيز : في الموت غنظ ليس كالغنظ وكظّ ليس كالكظّ ، وهما الكربُ .

و « الخِرْفِعُ » [3] القليلُ من كل شيء .

و « المذيّل » المكمّل .

و « الطوائفُ » الأيدي والأرجل .

و « السَّدوك » لا أُومِنُ به لأنه يقال/ [١٣٧] سدك سَدَكاً وسَدْكاً ، فان جاء فيه سدوكاً فهو شاذّ قليل ، وهو اللزوم .

قال ابن المغربي : هذا ما حَضرنا من القولِ ، ولولا أنّنا لا نودّ أن نُنْهَى عن

---

١ روايته في ديوان مزرد : ٤٨

إلى صبيةٍ مثلِ المغالي وخرملٍ رواء ومن شر النساء الخرامل

٢ ص : الدعـــاء .

٣ الخرفع : القطن وقيل ثمر العشر .

خُلقٍ ونأتيَ مثله [1] لسألنا مستفيدين ، نثراً لما فيه من شفاءِ البيان ، لا نظماً لما فيه من التعاطي والطغيان ، فسألناه عن اللغة ان كان عُنِيَ بها : عن العُلاَفِقِ بالعين ، فهو بالغين معروف [2] ، وعن المِصمَّةِ بكسر الميم ، فهو بفتحها مشهور ، وعن هندٍ لا تضافُ الى الأحامسِ [3] فان ذلك معروف ، وسُكَّرَى بضم السين فهو بفتحها معروف . وعن الدّون بالواو فهو بالياء معروف ، وعن القَرْنِ بالفاء فهو بالعين مذكور ، وكم في الكلام أفعلة أسماء فهو في الصفات معروف ، وما النديمُ في الناسِ فانه في الجهاد معروف ، وما الشاهدُ على جوازِ أفلج بالجيم فانه بالحاء معروف .

هذا ان كانت اللغةُ عنده مهمّةً ، فان قال إنَّ النحو هو المهمُّ عنده قلنا : فما جمعٌ على أفْعِلَةٍ أغفَلَهُ سيبويه فلم يُلْحِقْهُ بكتابه أحدٌ من النحويين ، وهل ذلك الجمعُ إن كنت عارفاً به مطَّردٌ أو محمولٌ على مكانه في اللفظ ؟ وعلى أيّ شيء خفض ﴿ وقيله يا ربّ ﴾ في قراءة حَفْصٍ ، لا على ما أورده أبو علي الفارسي ، فانه لم يسلكْ مذهبه في التدقيق عليه ؟ ولمَ منعَ سيبويه من العطفِ على [عـا]ملين ، وهو في سورةِ الجاثية بنصب ﴿ آياتٍ ﴾ ، ورفعُهُ لا يتَّجِهُ إلا عطفاً على عاملين ، فان كان أخطأ الأخفشُ فمن أين زلَّ؟ وان كان أصاب فكيف تجوزُ له مخالفةُ الكتاب ؟ وهل قولُ سيبويه في النسبة إلى أُميَّةَ أمويّ - بفتح الهمزة - صوابٌ أو سهوٌ استمرَّ عليه وعلى جميع النحويين بعده ؟ ولم قيل معدي كرب ، ولم تحمل الياء في لغةٍ من أضاف ولا من جعلها اسماً واحداً إلا على ما أورده النحويون ، فلهم فيه أقاويل غير متجهة . وهل مذهبهم في أنَّ سُدَى وَهُدَى مصدران صحيحٌ أم لا ؟ وهل

---

١ فيه إشارة إلى قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

٢ ذكر ابن دريد في الجمهرة (٣ : ٣٩٦) الغلافق وقال انه اسم موضع ، ولم يذكر العلافق .

٣ يقال لقي هند الأحامس اذا مات أو وقع في الداهية ، وإضافتها إلى غير الأحامس مثل هند الهنود ، وهند بني سعد وما إلى ذلك ، ولكنني أعتقد ان ابن المغربي يشير الى ما هو أدق من ذلك .

بيض في قولهم : حمزة بن بِيض اسم أم جَمْعٌ ، وما معناه في اللغةِ ووزنه في النحو مسموعاً لا مقيساً على ما ذكرناه نحن في هذه الرسالة ؟ ولم اختاروا « أنْ » مع عسى وكرهوه مع كاد ؟

فان قال : لست أتشاغلُ بعلوم المؤدبين ، وإنما آخذُ بمذهب الحافظ ، إذ يقول : علمُ النسبِ والخبرِ علمُ الملوكِ ، قلنا له : فمن أبو خَلْدَة[1] فان أبا جِلْدَة[2] معروف ، ومن العاصُ وما اشتقاقه[3] فان العاصَ معروف ، ومن حَبْشِيَةُ ـ مفتوح الأول مخفف ـ فانه بالتشديد وضم أوله معروف[4] ؟ ومن عمرو بن معدي كرب غير صاحب : « أمِنْ ريحانةَ الداعي السميعُ »[5] فان هذا معروف ؟ وما اسم امرىء القيس على الصّحة لا على هذا الظاهر وعلى أن في اشتقاقه كلاماً طويلاً فان هذا معروف ؟ ومن الزُّبَيْرُ غير الأسدي واليهودي فكلاهما معروفان ؟ ومن الزَّبير بفتح الزاي فانه بضمها معروف[6] ؟ ومن القائل :

وقابلة لجلجتها فرَدَدْتُها لدى الفرشِ لو نَهْنهتها قَطَرَتْ دما

أرجلٌ أو امرأة ؟ وهل صفية الباهلية قلب ام مولاة ؟ وهل المستشهد بشعره في « غريب المصنّف » أبو كعب بالباء أو التاء ، وفي أيّ زمان كان ، وأيّهما كان اسمه

---

١ الخاء غير معجمة في ص ؛ وخلدة هي بنت طلق اليامي ، حدثت عن أبيها ، وخلدة بنت العرباض بن كلاب ، روت عن عمها (الاكمال ٣ : ١٨٢)

٢ أبو جلدة بكسر الجيم مسهر بن النعمان ، وشاعر يشكري وآخر عجلي (الاكمال ٣ : ١٨٢)

٣ العاض بن ثعلبة بن سليم الدوسي ، وقال الوزير المغربي هو بلا تشديد (تبصير المنتبه : ٨٩٠) وهو من عضا يعضو الجرح أي كان بصيراً بالجراح .

٤ هنالك حبشية بن كعب بن ثور من مزينة (تبصير : ٤٨٦) وحبشية بن سلول ، وهذا الثاني يقرأ أيضاً بفتح الحاء وتخفيف الياء (تبصير : ٤٠١)

٥ صدر بيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وعجزه : « يؤرقني واصحابي هجوع » (ديوانه : ١٣٦) ؛ وهناك رجل آخر بهذا الاسم وهو عمرو بن معد يكرب الزبيدي الاكبر جاهلي قديم (المؤتلف : ٢٣٣)

٦ الأسدي هو الزبير بن العوام ، واليهودي هو الزبير بن باطا من بني قريظة أسلم ابنه عبد الرحمن (الاكمال ٤ : ١٦٦) وهناك الزبير بن عبد الله الكلابي وقد عاش آخر خلافة عمر (الاستيعاب : ٥١٠) ؛ وأما الزبير ـ بفتح الزاي ـ فهو ابن عبد الله بن الزبير شاعر ابن شاعر (الاكمال ٤ : ١٦٥ ـ ١٦٦) .

ومن أي شيء اشتقاقه ؟ ومن النّطفُ الذي يُضْرَبُ به المثل فيقال : كنز النطف[1] ؟ ومن العكمّص ، لا أسأل عن تفسيره فانه في اللغةِ معروف[2] ؟ وكذلك ذو طلال[3] ، وما خَوْعَى فانَّ جَوْعَى معروف ، وهل أخطأ ابن دريد في هذه اللفظة أم أصاب[4] ؟ وما تقول في عدنان غير الذي ذكره محمد مولى بني هاشم فانه معروف[5] ؛ وهل يخالَفُ فيه أم لا ؟ وحبيب والد ابن حبيب العالم رجل او امرأة ، وهل هو لغيّةٍ أم لرشدة[6] ؟ ومن أجمد بالجيم فهو بالحاء كثير[7] ؟ ومن زَبْد بالباء فهو بالنون معروف[8] ؟ ومن روى عنه عليه السلام : « لا يمنع الجارُ جارَهُ أن يجعل خشَبَهُ في حائطه »[9] وقال « خشبة واحدة » وقالوا كلهم : خَشَبَهُ مضافاً ؟ ومن يكثر ذكر الحضرمي في شعره من العرب[10] ؟ والنبيذ المشروب : هل كان معروفَ الاسم أم لا

---

١ هو النطف بن خيبري أحد بني سليط بن الحارث (انظر قصة احتيازه الكنز في ثمار القلوب : ١٣٩ وسرح العيون : ٥٤ ـ ٥٥)

٢ العكمص : الحادر من كل شيء أو الكثير أو الشديد الغليظ وبه كني أبو العكمص التميمي (التاج : عكمص)

٣ ص : ذو أطلال ؛ ولم يبين ما يريده هنا ، وذو طلال : ماء قريب من الربذة وقيل هو واد لغطفان (معجم البكري : ٨٩٢)

٤ جوعي المعروف هو مؤنث جائع وقال ابن دريد في الجمهرة (٢ : ١٠٥) إن جوعى موضعٌ وأثبتها البكري عنه ، وذكر أنها خوعى بالخاء المعجمة في شعر امرىء القيس (معجم البكري : ٤٠٤)

٥ محمد مولى بني هاشم هو محمد بن حبيب نفسه وهو يذكر أن في الازد عدنان بن عبد الله بن الازد وقال غيره انه عدثان (الاكمال ٦ : ١٥٣ ـ ١٥٥)

٦ حبيب اسم أمه ويقال إن اباه غير معروف .

٧ أجمد بن عجيان شهد فتح مصر (تبصير ١ : ٣)

٨ زبد بن سنان بفتح الزاي ، وزند بن الجون ابو دلامة وزند في نسب عدنان (الاكمال ٤ : ١٦٨ ـ ١٦٩)

٩ ورد الحديث في البخاري (مظالم : ٢٠ وأشربة : ٢٤) ومسلم (مساقاة : ١٣٦) وسنن أبي داود (أقضية : ٣١) وابن ماجه (أحكام : ١٥) والموطأ (أقضية : ٣٢) ومسند أحمد ١ : ٣١٣ ، ٣ : ٤٨٠ ؛ قلت : خشبة (بالافراد) هي رواية أبي ذر ورواه غيره (خشبه » بالهاء ـ بصيغة الجمع ؛ وقال عبد الغني بن سعيد : كلّ الناس يقولونه بالجمع إلا الطحاوي (وانظر مزيداً من التفصيلات في ارشاد الساري ٤ : ٢٦٦)

١٠ الحضرمي : النعلُ المصنوعة بحضرموت ، وأراها ترد كثيراً في شعر كثير « الى مرهفات الحضرمي المعقرب » (ديوانه : ٢٦٥) ، و« بأقدامهم في الحضرمي الملسّن » (ديوانه : ٢٥٢) الخ ...

عند العرب[1] ؟ ومن روى عن ظئرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأنها قالت في شارفها : « وكانت لا تغذي أحداً » وما معناه[2] ؟ ومن تفرَّد من أهل العلم بنصر ذي الرمة وتغليط الأصمعي في قوله : إيه عن/[١٣٨] أمِّ سالم، لا على ما قاله النحويون من التعريف والتنكير ، فان ذلك معروف[3] ؟ ومن قال عن المتنبئة إنها سَجاحِ مثل قَطامِ ومن قال سجاح مثل غمام غيرُ مبني[4] ؟ ولم سمي خليد الشاعر : خليد عينين[5] ؟ ومن عُمَيّ التي تنسب اليها الصَكّة فيقال « صكّهُ صكّة عُمَيّ » ، وهل ذكر في شعر ومن ذكره[6] ؟ ومن هو الذي تنسب اليه العرب الصلال ومن ذكره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن كرب المنسوب اليه معدي كرب[7] ؟

١ التسمية معروفة ولكن الدلالة مختلفة ، إذ كانت اللفظة تدل على كل ما نبذ في الدباء والمزفت فاشتد ، ولكنه كان شيئاً غير الخمر ولهذا نجد القلمس يقول في الخمر :

أروي بها نفسي فتحيا بشربها ولا أشتهي شرب النبيذ من التمر

٢ ذلك هو حديث عبد الله بن جعفر عن حليمة السعدية وكانت قدمت المدينة تطلب ولداً ترضعه ومعها شارف ـ وهي ناقة مسنة ؛ فلما قدر لها أن تكون مرضعة للرسول درّ ثدياها ودرّت الشارف « وقام صاحبي إلى شارفي تلك فاذا بها حافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا » وذلك بعد أن قالت : « ما يجد في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا ما يغذيه » (أسد الغابة ٥ : ٤٢٧)

٣ قال ذو الرمة « وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم » ـ بكسر الهاء ـ قال الأصمعي : أخطأ ذو الرمة إنما كلام العرب إيهٍ (بالتنوين) وقال يعقوب بن السكيت أراد إيه (بالتنوين) فأجراه في الوصل مجراه في الوقف وكذلك قال ثعلب ، كما قال الزجاج انه ترك التنوين للضرورة ولكن أبا علي الفارسي انتصر لذي الرمة وقال : اما هذا فالأصمعي مخطىء فيه .. ديوان ذي الرمة : ٧٧٩ واللسان والتاج (إيه)

٤ يقول الازهري وابن دريد والجوهري وغيرهم من اللغويين انها « سجَاحِ » مثل قطام ؛ ولم أعثر على من أجاز أن تكون مثل « غمام » .

٥ قيل سمي بذلك لأنه كان يسكن أرضاً بالبحرين تعرف بعينين (الشعر والشعراء : ٣٧٣)

٦ الصكة : شدة الهاجرة ، يقال : لقيته صكة عمي وصكة اعمى وهو اشد الهاجرة حرّاً ، وقال بعضهم : عمي اسم رجل من العماليق أغار على قوم في وقت الظهيرة فاجتاحهم ، ويقال هو تصغير أعمى مرخماً . وأنشد ابن الأعرابي :

صكّ بها عين الظهيرة غائراً عمّي ولم ينعلن إلا ظلالها

٧ معد يكرب اسم يمني يرد في النقوش ، وهو سبأي محض ، ولا تنطبق عليه التفسيرات التي يوردها لغويو عرب الشمال .

وهل أصاب المبرد في نسبة الأبيات الجيمية :

لما دعا الدعوة الأولى فأسمعني أخذتُ بُرْدَيَّ واستمررتُ أدراجي

أم أخطأ[1] ؟

فان قال إنه صاحبُ سِيَرٍ وآثارٍ وأحكام ، قلنا : أرشدك الله ، وما معنى قوله عليه السلام : « من سعادة المرء خفة عارضيه » وهو عليه السلام لم يكن خفيفَ العارضين ، لا على ما فسرَّه المبْرد فانه لم يأتِ فيه بشيء[2] ؟ ومعنى قوله عليه السلام : « تسحَّروا فانَّ في السحور بَركة »[3] ونحن نرى [أنه] ربما أهاض وأتخم ، وأضرَّ وأبشم ؟ ومعنى قوله عليه السلام : « اتقوا النار ولو بشقّ تمرة »[4] ولو سرق سارق [كيلجة] تمر فتصدق بنصفها كان مستحقاً للنار عند أكثر المسلمين ؟ وما معنى قوله عليه السلام : « لا يزال الأنصار يقلّون ويكثر الناس »[5] ؛ ولو شئنا لعددنا أشخاصهم اكثر مما كان في البادية والحاضرة ؟ ومعنى قوله « ان امرأ القيس حاملُ لواءِ الشعراءِ الى النار »[6] وهل يثبت الخبر أم لا ؟ ولم قال : « ان من الشعر

---

١ نسب المبرد هذه الأبيات للراعي (الكامل ١ : ٢٨١) وفي ظنه انها للراعي النميري ، وبين الآمدي الأمر في المؤتلف : ١٧٧ إذ قال انها للراعي الكلبي واسمه خليفة بن بشير بن عمير بن الأحوص .

٢ اورد المبرد هذا الحديث في الكامل (٢ : ١٢٩) وقال : ليس هذا بناقض لما جاء في إعفاء اللحى وإحفاء الشاربين .

٣ ورد الحديث في النسائي (صيام : ١٨) وابن ماجه (صيام : ٢٢) والدارمي (صيام : ٩) ومواضع متعددة من مسند أحمد ، منها ٢ : ٣٧٧ ، ٤٧٧ ، ٣ : ٣٢ ، ٩٩ (انظر معجم الفاظ الحديث)

٤ ورد في البخاري (أدب : ٣٤ ، زكاة : ١٠ ، رقاق : ٥١ ، توحيد : ٣٦) ومسلم (زكاة : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٠) والترمذي (قيامة : ١ ، زهد : ٣٧) والنسائي (زكاة : ٦٣ ، ٦٤) وابن ماجه (مقدمة : ١٣ ، زكاة : ٢٨) والدارمي (زكاة : ٢٤) ومسند أحمد ١ : ٣٣٨ ، ٤٤٦ ، ٤ : ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٧٧ ، ٦ : ٧٩ ، ١٣٨ .

٥ الحديث في البخاري (الجمعة : ٢٩ ومناقب : ٢٥ ومناقب الانصار : ١١)

٦ ترده الكتب الأدبية ، انظر مثلاً الشعر والشعراء : ٦٧ وليس في الأحاديث المتعلقة بامرىء القيس ما هو قويّ مقبول منها .

لحكمة »[1] ، ثم قال عليه السلام : « أوتيت جوامع الكلم »[2] وهل تخرج الحكمة من جوامع الكلم ؟

فان قال : إنما أفنيت عمري في القرآن وعلومه ، وفي التأويل وفنونه قلنا : اذن يكون التوفيقُ دليلك ، والرشادُ سبيلك : صفْ لنا كيفَ وقعَ التحدّي بهذا المعجز ليتم بوقوعه الإعجاز ، وأخبِرْنا عن صفةِ التحدّي : هل كانت العربُ تعرفه أم لا ، أم كان شيئاً لم تجرِ عادتُها به فكان إقصارها عنه ، بل لأنه التماس ما لم تجرِ المعاملة بينهم بمثله ، ثم يُسألُ عن التحدّي هل لقي بمعارضة بان تقصيرها عنه أو لم تكن بمعارضة ، ولكن القوم عدلوا إلى السيف كما عدل المسلّمون مع تسليمهم ولم يعارضوه . ثم يسأل عن قوله تعالى ﴿لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء : ٨٢) وفيه من الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ما لا يكون أشدَّ اختلافاً منه[3] ؛ ويسأل عن قوله تعالى ﴿وغرابيب سود﴾ (فاطر : ٢٧) وما معنى الزيادة في الكلام ، والغرابيبُ السودُ هي الغرابيب ، فان قال تأكيداً فقد زلَّ ، لأنّ رجحانَ بلاغةِ القرآن إنما هو إبلاغ المعنى الجليّ المستوعَبِ إلى النفس باللفظ الوجيز ، وانما يكون الاسهابُ البليغ في كلامِ البشر الذين لا يتناولونَ تلك الرتبةَ العاليةَ من البلاغة ؛ على أنه لو قال تأكيداً لخرج عن مذهب العرب ، لأنَّ العربَ تقول : أسْوَدُ غِرْبيب ، وأسودُ حالكٌ وحُلكوكٌ، فتقدم السواد الأشهر ثم

١ ورد في البخاري (ادب : ٩٠) والترمذي (ادب : ٦٩) وابن ماجه (ادب : ٤١) والدارمي (استئذان : ٦٨) ومواضع كثيرة من مسند أحمد منها ١ : ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ... الخ .

٢ حديث أعطيت جوامع الكلم في مسلم (مساجد : ٥ ـ ٨ واشربة : ٧٢) والبخاري (تعبير : ١١) والترمذي (سير : ٥) ومسند احمد ٢ : ١٧٢ ، ٢١٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ... الخ وحديث « بعثت بجوامع الكلم » في البخاري (جهاد : ١٢٢ وتعبير : ٢٢ واعتصام : ١) والنسائي (جهاد : ١ وتطبيق : ١٠٠)

٣ يرى الزمخشري ان عدم الاختلاف هنا معناه عدم التناقض والتفاوت في مستوى النظم والبلاغة والمعاني ، وصدق الخبر .. (الكشاف ١ : ٥٤٦ ـ ٥٤٧).

تؤكده ، وهذه الآيةُ تخالفُ ذلك ، فاذاً بطل التأكيد في المعنى[1] ؛ وما معنى ﴿فَخَرَّ عليهم السَّقْفُ من فوقهم﴾ (النحل : ٢٦) وهل يكون سقف من تحتهم فيقع لبسٌ يحتاج إلى إيضاحه بذكر فوق وتحت[2] ؟ ونحوُ منه قوله تعالى ﴿يخافونَ رَبَّهُمْ من فوقهم﴾ (النحل : ٥٠) وهل لهم ربٌّ من تحتهم ؟ وما معنى فوق ها هنا ، وهل تدلُّ على اختصاص مكان[2] ؟ وما معنى قولـه ﴿كَلَمْـحِ البَصرِ أوْ هُوَ أقْـرَبُ﴾ (النحل : ٧٧) وما هذا الأقرب[2] ؟ وما معنى قوله ﴿فهي كالحجارة أو أشدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة : ٧٤) وهل شيء أشدُّ قسوةً من الحجارة[3] ؟ وما معنى قوله ﴿إلٰهين اثنين﴾ (النحل : ٥١) وهل بعد قوله (إلٰهين) إشكال بأنهم أربعة فيستفيد بقوله اثنين ثباتَ المعنى[2] ؟ وما معنى قوله ﴿أنْ تضلَّ إحداهما فَتُذَكِّرَ إحداهما الأخـرى﴾ (البقرة : ٢٨٢) هَلاَّ كان أوجز وأشبه بالمذهب الأشرفِ في العربية ؟ وما معنى قوله ﴿أو يأخذهم على تخوّفٍ فان ربّكُمْ لَرَءوفٌ رحيم﴾ (النحل : ٤٧) ومن أين تُناسِبُ الرأفةُ والرحمـةُ هذا الأخـذَ الشـديد على التخـوف الـذي يقتضي العفـوَ والغفران[2] ؟

---

١ قـال الزمخشري : فان قلت : الغربيب تأكيد للأسود ، يقال اسود غربيب وأسود حلكوك .. ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك قلت : وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر كقول النابغة « والمؤمن العائذات الطير » وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاضمار والاظهار جميعاً (الكشاف ٣ : ٣٠٧)

٢ الوجه في « فوق » هنا في قوله « وهو القاهر فوق عباده » أي أنهم يخافون ربهم عالياً قاهراً لهم (انظر الكشاف ٢ : ٤١٣) ؛ وقوله « كلمح البصر أو هو أقرب » أي كما تبالغون أنتم حين تستقربون شيئاً (نفسه : ٤٢١) ؛ وقوله « الهين اثنين » الوجه فيه : ان الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريد التأكيد على ان المقصود هو العدد شفع بما يؤكده فقيل الهين اثنين او رجل واحد .. الخ (نفسه : ٤١٣) ويأخذهم على تخوف أي وهم متوقعون وقيل هو أن يأخذهم على أن ينتقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم وبذلك تكون الرأفة والرحمة حيث يحلم عنهم ولا يعاجلهم مع استحقاقهم (نفسه : ٤١١) .

٣ ان قلت لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه إفعل التفضيل وفعل التعجب قلت : لكونه أبين وأدل على فرط القسوة ، ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة (الكشاف ١ : ٢٩٠) ولم يورد الزمخشري توجيها لتكرير كلمة « احداهما » في الآية ٢٨٢ من سورة البقرة ، وذهب أبو حيان الى أنه أبهم الفاعل في أن تضل بقوله « إحداهما » ولهذا أبهم الفاعل في=

وعلى أن هذا السائل لو علم لسأل عن الصناعة التي أنا بها مُرْتَسِمٌ ، وبشروطها مُلْتَزِمٌ ، لا في الترسّلِ / [١٣٩] فاني ما صَحِبْتُ به ملكاً ؛ ولكن في صناعة الخراج ، فكان يجبُ أن يقولَ : ما البابُ المسمَّى المجموع من الجماعة[١] وأين موضعُهُ منها ، وأيّ شيء قد يكون فيه ولا يحسن ذكرُهُ في غيره ؟ وأن يقول : ما الفائدة في إيراد المستخرج في الجماعة ومن كم وجه يتطرَّق الامتثال عليها بالغاية منها ؟ وأن يقول : ما الحكم في متعجَّلِ الضمان قبل دخولِ يدِ الضّامن ، وأي شيء يجبُ أن يوضعَ منه إذا أراد الكاتبُ الاحتسابَ به للضامن من النفقات ، وخاصةً من جاري العامل ، وفيه أقوالٌ تحتاجُ إلى بحثٍ ونظر ؟ وأن يقول : إنَّ عاملاً ضمنَ أن يرفعَ عملـه بارتفاع مالٍ إلاّ أنه لم يضمنْ استخراجَ جميعه ، وضمنَ استخراجَ ما يريدُ على ما استخرج منه خمسَ سنين إلى سنته بالقسط ، كيف يصحُّ اعتبارُ ذلك ، ففيه كمين يحتاجُ الى تقصّيه وتأمله ؟ وأن يقول : لِمَ يُقدَّمُ المبيعُ على المستخرج ، والمبيعُ إنّما هو من المستخرج ، وكيف يصحُّ ذلك ؟ وأن يقول : أيّ غلطٍ يلزمُ الكتاب وأيّ غلطٍ لا يلزمه ؟ وأن يقول : متى يجبُ الاستظهارُ للسلطانِ في صناعة الخراج ومتى لا يجوزُ الاستظهارُ له ؟ وأن يقول : متى يـكون النقصُ في مال السلطانِ أسدَّ في صناعةِ الكتابة من الزيادة ، ولست أعني نقصَ الارتفاع مع العدل ، وعـادلَ زيادةٍ مع الجور ، فذلك ما لا يُسْأَلُ عنه ، وأن يقول : ما بابٌ من الارتفاع إذا كَثُرَ دلَّ على قلّةِ الارتفاع ، وإذا قلَّ دلَّ على جمام الارتفاع ووفوره ؟ وأن يقول : متى تكونُ مشاهدةُ الغلطِ أحسنَ في صناعة الكتابة من عدمِه ؟ وأن يقولَ : كم نسبةُ جاري العمل من مبلغ الارتفاع وأوّل من قرَّره ورتَّبه ؟ وأن يقول : ما رتبتانِ من رُتَبِ الكتابة إذا اجتمعتا لكاتبٍ بطلت أكثرُ حججه في احتساباته ؟ وأنْ يقول : هل يطَّرِدُ في أحكام

= « فتذكر » فكرر إحداهما ، إذ كل من المرأتين يجوز عليها الضلال والاذكار فلم يرد باحداهما معينة (البحر المحيط ٢ : ٣٤٩)

١ الموافقة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل ، ولا يسمى موافقة ما لم يرفع باتفاق ما بين الرافع والمرفوع اليه ، فان انفرد به احدهما سمي محاسبة (مفاتيح العلوم : ٣٨) .

الكتابة حملها على مناصبة أحكام الفقه أم لا ؛ وهل يذهب [الى ذلك] أحدٌ من متقدّمي الكتاب ، وما الحجّةُ فيه ، وبالله التوفيق .

قال ابن بسام : وهذا المجموعُ إنما هو لسانُ منظومٍ ومنثور ، لا ميدانُ بيانٍ وتفسير ، أُوردُ الأخبارَ والأشعارَ لا أفكُّ معَّاها ، في شيءٍ من لفظها ولا معناها ، ولو ذهبتُ فيه إلى إيضاح مُبْهَم ، وإعرابِ مُسْتَعجم ، لكانت هذه الفصولُ أولى ما فتحتُ مُقْفَلَهُ ، وآكدَ ما أوضحتُ مُشْكِلَهُ . على أنّي قد ألمعتُ فيه ببعضِ تنبيه ، بين ذكرٍ أجريه ، ووجهِ عذرٍ أُريه .

فصـــولٌ من سائِر ترسيله

فصل له من رقعة : وقفتُ على كتابِكَ ولم أزلْ ألثُمُهُ ، كأنّي قد ظفرتُ باليد التي بَعَثَتْهُ ، وأضمُّـهُ كأنّي أضمُّ الجوانحَ التي نَفَثَتْه ، وكأنّي كلّما أدنيتُهُ إلى الكبدِ المعذّبةِ بِبُعْدِكَ ، وأمْرَرْتُهُ على العينِ المطروفـةِ بفَقْـدك ، سحبـتُ على النـار ذيلَ السحاب ، وَسقيتُ عَطِشَ الحبِّ كأسَ الرُّضَاب ، وأعَرْتُ أخا سبعينَ ظلَّ الشباب ، فأَرَّخْتُ يومَ قدومِهِ لأجعلَهُ موسماً للسرور ، وعيداً باقياً على الدهور ، أرتقبُ السَّعْدَ عنده كلَّ عام ، وأنتظرُ الفرجَ منه من كلِّ غرام ؛ واتّفَقَ ورودُهُ في أشْرَفِ فصولِ الدَّهْرِ حَسَباً ، وأكرَم مفاخرِ الأيام نَسَباً ، حين ابتدأ [1] الـربيعُ يزخـرفُ بُرودَه ، والروضُ ينظمُ عقوده ، وكنتُ أعرفُ هذا الفصـلَ باعتدالِ منهاجه ، وصحّةِ مزاجه ، وأنّه لو كان الزمنُ شخصاً لكان له مُقَبَّلا ، ولو أنّ الأيام غوانٍ لكان لها حُلِيّاً وَحُللاً ، لأنّ الشمسَ تخلصُ فيه من ظلماتِ حُوْتِ السماءِ ، خلاصَ يونسَ من ظلماتِ حوتِ الماءِ ، فاذا وَرَدَتِ الحملَ وافـتْ أحبَّ أوطانِها إليها ، وأعزَّ مساكنها عليها .

وفي فصل منها : فيا حُسْنَ تلك الصحيفةِ ومدادُهَا يُنْتَهَبُ بالأفواه ، ويزيدُ بالتقبيل لَعَساً في الشّفاه ، ويا عجبا كيفَ حَفِظَ مع بُعْدِ العهد نَشْرَ عَرْفِك ، وكيف

[1] ابتدا : مكررة في ص .

علقَ مع تراخي الأيامِ طيبَ كفّك ، وكيف جاءَ كأنَّكَ كتبتَهُ من أَمَم ، وأنفَذْتَهُ وبيننا خطوةُ قَدَم ، وكيفَ لم يغيرْه ما قطعَ من مهاولِ قفار ، وليلٍ ونهار ، وعدوٍّ كاشح ، ورقيبٍ لامح ، فأنْعِمْ به من ريحانةِ ألفاظٍ دامتْ لدونتها ، وباكورةِ وصالٍ سلمتْ غضوضَتها [١] ، ومسحةِ يدٍ بَقِيَ أثرُهَا أرِجَا ، وروضةٍ كلم دام على الصيف بهجتها [٢] .

وفي فصل منها : فامّا سُؤالُكَ عنّي فما يُشْبِهُ سيرتَكَ الحسنى ، ولا يليقُ بطريقتك المثلى ، كيف تسألني والإجابةُ معك ؟ وكيف تستخبرُني ومحلُّ الخَبَرِ والاستخبار عندك ؟/ [١٤٠] ومتى سمعتَ بجوابِ جَسَدٍ رهينة ؟ وأين رأيتَ طِماحَ عينٍ لواحظها مقيّدةٌ كليلة ؟ ألم أفارِقْكَ وقلبي عندك أعشار ، وأضلعي منه قفار ؟

وفي فصل : وردتُ الموصلَ التي خالف اسمُها معناها ، وكانتْ مَقْطَعاً بيننا لولا خُدَعُ الأماني ، وَفَصْلاً لولا المرجوُّ من عفو الليالي ، فوجدتُ هواءَهَا يعطِّلُ سوقَ بقراطَ اعتدالاً وطيبة ، وماءَها يُسْلي عن مُجاجِ النَّحلِ استمراءً وعذوبة ، وصقعها قد تَبَغْدَدَ رقةً ولطفاً ، وجوَّها قد تزندقٍ تنعّماً وظرفاً ، تكادُ تُثْقِلُهُ عقودُ الغانيات ، وَيُخْجِلِه تتابعُ اللحظات ، كلُّ شمألـه نسيم ، وكلُّ جَنُوبه حياً عميم ، ورأيتُ أرضَها أطيبَ الأرض خيما ، وأزْيَنَها أديما [٣] ، تُنْسَجُ بالسُّنْدسِ الأخضر ، وتفترُّ عن الأُقحوانِ الأحمر ، والفيتُ بنيانَهَا هو الذي حمده اللـهُ في تنزيله [٤] ، وأحبَّه لنا أن نكونَ مثلَهُ جهاداً في سبيله ، مَرْصُوصاً بِوَقَاحِ الجلمد ، ملاءَماً بينه بالشِّيد الممرَّد ، قد حُصِّنَ ظاهره على باطنه عن تداخل الإبر ، ومساكنِ الذرّ ، يزلُّ عنـه ظُفُـرُ الطائـر ، وتتدحرجُ عليه أحداق [٥] الناظر ، وتَغْنَى به العروسُ عن الماويِّ المنير [٦] ، وتستبينُ

---

١ ص : غضاضتها ، وهو عند بعض اللغويين جائز ، وأنكره عليّ بن حمزة ، والالتزام به هنا غير ذاهب مع السجع
٢ كذا وردت العبارة في ص ، ولعلها « دام على الصيف زهرها بهجاً » أو ما أشبه .
٣ ص : ديمـا .
٤ يعني أنه بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً (انظر الآية ٤ من سورة الصف) .
٥ ص : اكداه . ٦ الماويّ : حجر البلور أو المرآة .

به الجفونُ منابتَ الشكيرِ من أهدابها والغمير ، متلاقيةً أقطارُهَا على رجالٍ كأنهم أنْسِلاءُ عادٍ وَثَاقةَ أجسام ، وصلابةَ أحلام ، وَبُعْدَ مَرام ، لطفوا عن بدويةِ الشام وغلظته ، وجمدوا عن ذَوْبِ العراقِ وخلابته ، قد عُقِدَتْ ألسنَتُهُمْ بالصّدقِ فما ينتثرُ الباطلُ من عَذَباتها ،وصحَّتْ غرائسُهُمْ في المودّة فما يُجْتَنَى الغَدْرُ من ثمراتها ، إنْ سلماً فسلماً وإنْ حرباً فحرباً ، لا يعرفون تدليسَ الأخلاق ، ولا تمويهَ النفاق ، وشعراؤهم[١] ملء اليدين ، وكتّابهم أثرٌ بعد عَيْنٍ ، أدبهم [حســـن][٢] على قلة المِلوكيِّ فيه ، وعلمهم مُتْقَنٌ لمن تأمَّلَ أدقَّ مسربٍ[٣] في فِتَنِ معانيه ، قد محَّص تهذيبُ المحنِ شرارَهُمْ وأوْهَنَ خيارهم ، بَلَدُهُمْ أطلالٌ ، وأحوالهم آل ، قويُّهُمْ يئنّ ضعفاً ، وضعيفُهُمْ بباطلُ حَتْفاً ، بَقِيَتْ عليهم أسمالُ النعم وذهب الدهرُ باجسامها ، وانجلت عنهم ظُلَلُ المحنِ وهم يتأوهون من غيرِ آلامها ، إلا أنّ فيهم بقيّةً نقيّة ، وفيهم موضعُ تداركٍ إن رُزِقوا سيرةً مرضيّة ، فلولا ما أرْجُوهُ من مداواةِ أسقامهم ، وإعادةِ صالحِ أيامهم ، لفضاني الانتاء بمعايشتهم قبل معاناتهم ، وبملاحظتهم قبل مقاساتهم ، لكنّي أعلمُ أنَّ من يحيي العظامَ وهي رميم ، ويبعث[٤] الروضَ وهو هشيم ، وينشىء [...] بعد ما كانت قفارا ، ويجعلُ من الشجرِ الأخضرِ نارا ، قادرٌ على أنْ يجعلَ ثوابَ نيّتي فيهم معونتي على ما أنويه لهم ، وجزاءَ تأمّلي بهم بلوغ الغرضِ في تدارُكِ رَمَقِهِمْ .

وفي فصل : لو أطَقْتُ تفصيلَ المجمل ، وإيضاحَ المُشْكِلِ ، لجرتْ لك به يدي طَلَقَ الجموح ، ولأغْنَتْكَ أسمارُهُ عن الوترِ الصَّدوح ، إلا أن القلبَ عليل ، والخاطرَ كليل ، والزمانَ ببلوغِ الأملِ بخيل .

١ ص : وسفراؤهم .
٢ ليس في موضعها بياض في ص .
٣ ص : متقن من .... مسربا .
٤ وص : ويبلى (دون اعجام) .

وفي فصل من أخرى إلى ذي السعادتين [1] : للرياسةِ كُلَفٌ لا يستقلُّ بها إلا المهذَّبُ الكاملُ ، ولا يخطو تحتَ أثقالِهَا إلاّ الأوحدُ الفاضـل ، ولا يبلـغُ ذوائـبَ أعاليها ، إلاّ مَنْ شرِبَ الأُجاجَ من ماءِ واديها ، ولا يلذُّ بملكها إلا من أغلى المهرَ من كريم مساعيه، ولا يفضُّ ختامَها إلا من جعل منازلةَ الخطوب سلكاً لعقودِ أيّامِهِ ولياليه ، ولذلك قيلَ ما أُنْشدُهُ استبصاراً ، وأنا إلى إيراده أبينُ إصراراً :

لا تحسـبِ المجـدَ تمـراً أنـتَ آكلُهُ   لن تبلغَ المجدَ حتى تلعـقَ الصَّبِرَا [2]

* * *

وإنَّ سياســةَ الأقــوامِ فاعلمْ   لهــا صَعْــداءُ مَطْلَعُهَــا طويلُ [3]

* * *

ويظلمـوا فتـرى الألـوانَ مسفــرةً   لا خوفَ ذلٍّ ولـكن فضـلُ أحـلامِ

ويحتاجُ الرئيسُ إلى أعوانٍ يُظْهِرُ بهم كمينَ مكارمِهِ ، وَيُمْضي فيهم وبهم ماضي عزائمه ، فلولا الطالبُ لعاش الكريمُ مطوياً على حَسَرَاتِ أوطارِهِ ، ولولا الخاطىءُ لما وجد الحليمُ لذَّةَ حلمه ووقاره ، وكلّما كان التابعُ أبعدَ مذهباً في معناه ، كان المتبوعُ أشدَّ جَذَلاً بظهورِ مناقِبِهِ وعلاه .

وفي فصل : وقد كانت مني كبائرُ تكنَّفَتْها معاذيرُ لا أَشينُ وَجْهَ العفوِ بايرادها، ولا أنتقصُ جملةَ الصَّفْحِ والغفران بتعدادها ، في أنْ لم أفْتَتِحْ مناسكي بالسَّعْي إلى حَضرتِهِ، ولم أبدأ من مطالبِ شرْعي بالتـوفّـر على/ [١٤١] خِدْمَتِهِ ، وقد عَلِمَ الله

---

١ ذو السعادتين هو الحسن بن منصور أبو غالب وكان وزيراً للسلطان البويهي بهاء الدولة ثم وزر بعده لسلطان الدولة (٤٠٩) ثم ثالثة لمشرف الدولة (سنة ٤١٢ ؛ وتوفي في هذه السنة نفسها) .

٢ من أبيات تنسب لرجل من بني اسد (شرح المضنون : ٤٧٣)

٣ ورد البيت غير منسوب في اللسان والتاج (صعد) ؛ واكمة ذات صعداء : يشتد صعودها على الراقي .

أنَّ ذلك ليس من اعتلالٍ بصيرةٍ بشرفِ الانتماء إليه ، ولا انخفاضِ همّةٍ عن سعادةِ المثولِ بين يديه ، ولا إمعانٍ في البدويّةِ ـ وإن كنت من أهلها ـ حتى أذهلَ عن مطلعِ النّيرِ الأعظم من الأفقِ الذي سكنتُ ظلّه ، ومفيض الفراتِ الأعذبِ من البلد الذي استوطنتُ محلّه ، ولا أنَّ ذِكْرَهُ لم يكنْ في تلك الأوطانِ زينةَ الأعياد ، وحليةَ البلادِ ، وأُنسَ الحاضرِ والبادي ، وَبُلْغَةَ المسافرِ والحادي ، ولا أني لم أكنْ ذكيَّ الخاطر بتلاوةِ مآثِرِ آلائِهِ ، ومستشفياً بنسيم الريح من أرضِـهِ وسمائه ، ومُعْجَباً بما جمع الله فيه لِعُفَاةِ أهلِ الأدب ، بل السّراةِ أهلِ الرتبِ ، ومعنى قول القائل :

يأتيك عن فهـم الثنـاء عطـاؤهُ عَفْـواً وتلـك عطيةُ المستبصرِ
كرمٌ تكشَّـف عن حُلَى آدابِـهِ كالبحـرِ يكشفُ غَمْـرُهُ عن جوهر

وفي فصلٍ من أخرى : ولما أزعجتني الأقدارُ إلى هذا المقرِّ الجليل على اضطرارٍ باد ، بنبوِّ ذلك المهاد ، وردتُ مطروفَ الناظر ، كليلَ الخاطر ، فقصدتُ مع ذلك خدمتَهُ ـ في وروده الأولِ ـ باللقاء أو استطلاعِ الإذنِ بالمكاتبة ، فأعجلها مسيرُهُ الميمونُ ، فأحَلْتُ بذلك على الجَدّ الظَّنون ، والزَّمنِ الخؤونِ ، ثم كتبتُ مستبدهاً في هذه الرقعة بأمورٍ يشفُّ عنها الكتمانُ بصادقِ ظنّه ، وينمّ بها السرُّ والاختفاءُ إلى نجيِّ ذهنه ، فلم أُبَشر بقدومه حتى أُنْذِرْتُ بِصَدَرِهِ ، وقد كان من الحقِّ أن أسيرَ في أثَره ، وأنفذَ في تصيّد العزّ بملاحظة غُرَّته ، واستلامِ حضرته ، ولكنني أهديتُ من ضَعْفِ عذري وقوّةِ ذنبي زينة إلى حلمه ومسامحته ، ورجوتُ أنْ يُضيفَ إلى الإغضاءِ عن زلّتي ترثياً لي بما حُرِمْتُهُ طولَ هذه المدة من خدمته ، فان حقّقَ مخيلةَ الظنّ في الإغضاءِ فَبِفَضْلِهِ ، وان أعـرضَ عن كلِّ من تَغْـرُبُ عليه الشمس لِجُرْمي فَبِعَدْلِهِ ، وإنْ يكُ ظني صادِقي [1] فسينخدعُ لي انخـداعَ ذوي الإنعام ، ويتغابنُ في صمتي عن [2] إيجابه تغابنَ الكرام ، بأريحيّته اللدنةِ الأعطافِ ، .

١ ص : صادقني .
٢ ص : قيمتي من .

ورياستِهِ الموطَّأةِ الأكناف .

ومن جواب ذي السعادتين له : للسؤددِ محلٌّ يدعو إلى نفسه ، وَيُسْفِرُ عن شمسه ، ويأبَى أن يتقلقلَ به مهاد ، أو يتململَ بقرارِهِ وساد ، أو يكونَ إلا لمن وطَّأ له [كنفاً] ، وألانَ بحمله معطفاً ، واستقلَّ بأعباءِ تكاليفه ، وأغمضَ بدائعَ أفكاره في تضاعيفه ، ونصَّ [1] المذكّياتِ في مضماره ، واستبردَ المُصْطَلَى من أُواره ، وغدا لفاردِهِ عَشراً ، وشرح للعناء [2] فيه صَدْرا ، وكان كما قيل : إنْ رأى حسنةً قالَ ، أو رأى سيئة أقالَ ؛ فقد أحسنَ القائل :

إمّـا يَرِبْنـي مفصـل [3] فقطعته — فيوشـك أنْ يَدْوَى لذلكَ سائـرُهْ

وإنما نصصتُ على الموقِع الأنبهِ من حضرته ؛ ودللتُ عليه بنارِهِ وسِمته ، لياذاً بقوة الدواعي منه في تمثّل ما أجراه الاتفاقُ على ضدّ المراد ، وثناه القدرُ الغالبُ فيه عن غَرَضِ الاعتقاد ، وسَنَنِ الارتياد .

وفي فصل منه : حتى بدا مطلعُ الأملِ من حَيْث شِمْتُه ، وصدَّقَ اليقينُ بتلك الأوصاف اللائقةِ ، والفضائلِ الشائقةِ الرائقة ، ما تصوَّرْتُهُ وتحققته ، وذرَّ البدر [4] الكامل بالكتاب المعربِ عن جميع أدواتِ الفضلِ ومعـانيه ، وبـوارع الأدبِ [5] النبيل ومعاليه ، فأكرِمْ به من واصلٍ بالمعنى في مَوْضِعِ العَتْب ، ووافدٍ بالحسني على الأساءَة بالذنب ، وأَعْجِبْ بما حواه من رائع البلاغة وبارعِ العبـارة ، ومستـكرم المانّة ، ومستغنم الاطالة . ولقد أخبرَ من أنْبَاءِ السلامـة في النفس المحروسـةِ ما ضاعفَ المسرَّةَ ، وضاعفَ الغبطَةَ والحبرة ، وأشار فيما عداها إلى ما أسال العَبْرة ، وأشعرَ الحسرةَ ، وللّهِ تعـالى في مثـل ذلك ألطـافُ تُوضِـحُ عن حُسْـنِ عواقـبِ

---

١ ص : وتفصل .

٢ ص : للهاء .

٣ ص : ما بريني مفصل .

٤ ص : وذر البر .

٥ ص : وبوارع الأب .

التفويض ، وتقومُ باكرام الانابةِ والتعويض. وقد استرهن عندي بمبتدا التطوُّلِ بالمكاتبةِ يداً ، اقتضى اعتدادي بها وشكري لها بما يبرهنُ عن توافقنا في الصفاء ، وتشاكلنا في الإخاء ، وسيّدي يطيعُ في ذلك بواعثَ كرمه ، ونوازعَ شيمه .

فأجابه ابن المغربيّ برقعةٍ قال فيها : أُلقي إليَّ كتابٌ كريمٌ يكتفي شَرَفُ الهمةِ بخيال عنوانه ، ولا يُبْلَغُ بشقِّ النفس شكرُ ظاهره فضلاً عما في طيّ جَنانِهِ ، ففضضتُ عن الرَّوْضِ العازب ، والتقطتُ منه فرائدَ الكواعب ، ووجدتُ فيه نسيمَ الشباب ، وتَعلّلْتُ به في عَطْفِ الأيام/ [١٤٢] السالفةِ العذاب ، ووجدته قد احتوى من عقائلِ الفصاحةِ وكرائمِ البلاغةِ على ما يُعْدي المعجمَ العييَّ فينطقُ متخيرًا ، وَيُنْشَدُهُ الناطقُ البليغُ فَيُبْلِسُ متحيرّاً ، وظننتُ أنّ العشّاقَ لو أُعيروا من ألفاظِهِ مزاجاً للمراشف ، ووهبوا من أنفاسه عِطراً للسوالف ، لصالوا بِحُجَجٍ تجلُّ عن تَسْمِيَةِ المعاذير ، وتصبغ الخطأ بلمعِ الصواب المنير ، ولو أنهم جعلوه رميَّ سُهْمَةِ الفراق لكُفَّتْ عواديها ، وأُخْذَةً لأعينِ الرقباءِ لَطَفَرتْ [من] مآقيها ، ولو أن الحَمامَ أصغتْ إليه لعاد نَوْحها شَدْواً ، ولو أنَّ الليالي تتدثَّر[١] به لصارَ دُجَاهَا غَدْوَاً ، وعجبتُ مما حملَ على مُنَّتي الضعيفة من مِنَنٍ كنتُ قبلها نِضْوَ العزيمة فكيف [أنهض] بها ، ومن مبارٍّ يكادُ يمنعني فادحُ أثقالها أن أستارَ مرفَقَها ، فلو أنَّ ذلك الكتابَ الجليلَ صدرَ إليَّ من عدوّي لاهتززتُ ببدائع ما فيه ، ولو أنه تاه عن إنعامٍ عليَّ لغالطتني عذوبةُ لفظه عن مرارةِ معانيه ، فكيف وقد جاءني عن الأيام عُتْبَى ، وجعل قلبي لخواطِرِ الجَذَلِ نهباً ، ولستُ أُلمُّ بشكره عن هذه العاطفةِ الكريمةِ فأوهمُ أنها مما تتناوله أفكاري الكليلة ، ولا أتعرَّضْ لحمدها فأحبطُ أجريَ في الاعتراف بالتقصير عن مواهبها الجزيلة ، ولكن أوفّيها ، ما وَجَبَ من إظهارِ العجزِ فيها .

وفي فصل منهـــا :

١ ص : تتدهما ، وعليها علامة خطأ .

* وأيـنَ الثريّـا من يـدِ المتناولِ *

لو أُعِنْتُ بما تلاقى عليه [...] من خواطرَ ملتهبة المطالع ، وألسنةٍ معروفةِ المقاطع ، لما ازداد هذا الدَّيْنُ عليّ إلاّ توثّقاً ، ولا استجدَّ هذا الحقّ إلا تعلُّقاً ،

* دَعْ ذا وعــدِّ القــولَ في هـرم[1] *

أنا الآن من التشوّقِ إلى خدمته لو وجدتُ إليها سبيلاً ، وأعملتُ نحوها رحيلاً ، وقد كنتُ ارتحتُ للفقرة التي تضمنها كتابُهُ العالي من ذكر التفويضِ والتعويض ، ورأيتُ أنها لو صَدَرَتْ عن الحسنِ البصريّ لما زادتْ[2] على ما غشَّاها في عينيَّ من البهاءِ وجلالةِ الصدق ، ولقد انتفعتُ بها ورجوتُ يُمنَ نقيبتها [وَحُسْنَ] عاقبتها . وجملةُ ما أَقْتَرِحُهُ ان يتصوَّرَ فيّ ما يتصوّر في بعضِ الأقربين من خادمٍ يُصْطَنَعُ فَيُجْرَى من الحنوِّ عليه مُجْرَى خواصِّ الأهلِ وأداني الأصحاب ، فله الرأيُ العالي في إنزالي حيثُ أنزلتُ نفسي من الاختصاصِ بجهته ، فأما المكاتبةُ فقد تقدَّمَ القولُ في اقتناعي منها بمثلِ طيفِ الخيال ، أو رضائي أن يخطرَ ذكري بالبال ، إن شاء الله .

وطار للشريف أبي طاهر بازٍ كان يتصيد به ، فكتب إليه : بلغني خبرُ الغادِرِ المفارق ، والباشقِ الآبق[3] ، فشاركتُهُ في الاستيحاش [مِنْ فراقِهِ] لما كان يُبْدِعُ من مصايده ، ويقرّب عن مطارده ، ورأيتُهُ قد شابَ فضائلَهُ بهذا الغدر الذي يُسْلي عن تذكاره ، والإباقِ الذي يُنْسي محاسنَ آثاره ، والنُّكْثِ الذي ختم به عواقبَ عهده ، وبغَّضَ إلينا ، بل إلى سيدنا ، استخدامَ أمثالِهِ من بعده ، لأنّ أحقَّ الناس بكراهةِ الغدر من كان الوفاءُ رضيعَ لبانه ، والحفاظُ منبتَ أُصُولِهِ ومنشأَ أغصانه .

---

١ صدر بيت لزهير بن أبي سلمى ، وعجزه : « خير الكهول وسيد الحضر » (شرح ديوانه : ٨٨)

٢ ص : رددت .

٣ ص : الاريق .

وكأني بفقده وهو عند الدَّراج من أنعم الأعراس ، ومن الوحشةِ منه وهي بين سرابِ الطيور من ألذِّ الإيناس ، لأنها أُريحتْ بعدَهْ من حَتْفها العاجِل ، وَسَمِّها القاتل ، وأَجَلها القاصر ، وَوَجَلها الحاضر ، وَعُقْلَةِ قوادِمِهَا وخوافيهـا ، ودهشـةِ نواظرهـا ومآقيها ، والكوكبِ المنقضِّ[1] على مسارحها ، والسهمِ القاصِد الى مذابحها ، والآفة التي كانت حُرِمَتْ بها حُسْنَ الرياضِ المونقة ، وثكلـتْ بَرْدَ الغـدرانِ المغدقـة ، وتنغَّصت مشاهدةَ هذا الجوِّ الرقيقِ الشمائل ، اللازورديّ الغلائل ، حتى صارتْ لا تلتذُّ بوكرٍ تَبْنيهِ ، ولا بِفَرْخٍ تُغَذِّيه ، علماً بأنَّ لها منه مُفَرِّقَ العدد ، وفاجعَ الوالدِ بالولد ؛ ولو علمتْ هذه الأطيارُ الشامتةُ بنفاده ، السالكةُ سبيلَ الأَشَرِ بافتقاده ، بما يُعِدّهُ سيدنا لها من ذي ظُفُرٍ مظفّر ، ومِنْسرٍ للطير مُيَسّـر ، وخَلَفٍ صالح ، وجارحٍ جارح ، أشدَّ لها منه اصطلاماً ، وأسَدَّ إلى مقاتِلِها سهاماً ، لعلمـتْ أنَّ كثرتهـا استجماع[2] له ؛ وأن وفورها توفير عليه .

وفي فصل منها : وما ألومُ هذا المارقَ على مَلِله وانحياشه ، لأنه كان قد تعوَّد أن يصيدَ بمقدار قُوْتِهِ ومعاشِهِ ، فصار سيّدنا يستخدمه بهمّـةٍ تَطْلُبُ الغايةَ البعيدة ، وتستسهل/[١٤٣] المشقة الشديدة ، التي هَزْلُهَا جِدّ ، وَجَوْرُهَا قَصْدٌ ، ولعبُها ارتياض ، يتصيرُّ من لم ينقدْ إليها سريعا ، [ذا] ضراوة على اقتناص من لم ينتهِ إلى أوامرها مطيعاً ، فلم يُطِقْ على ذلك جَلَدا ، ولم يجدْ بهذا الأمرِ الفادِحِ يداً ، فما أشدَّ بَسْطي لعذره ، ومعرفتي بسببِ غَدْرِهِ ، وآملُ أن يتذكَّرَ ما كان له بفنائِهِ من نعيمٍ ، خَيالُهُ بين غينيه ، وطيبِ عيشٍ ، تذكّرُهُ أجْدى له من حماقيه ، فتدعوه عواطفُ التربية والإيثار ، وتزولُ عنه عوارضُ السَّهْوِ والاغترار ، فيعودُ إلى رسمه ، ويعوذُ من جُرْمِهِ ، ويرجعُ وقد أَدَّبَتْهُ النكبةُ ، وهذَّبَتْهُ الغربة .

١ ص : المناقض .

٢ ص : استجنام

وكان في ذلك الأوان بمدينة [تكريت ، رئيس][1] ممن يشار إليه ، ويعوِّلُ قومُهُ عليه ، فرأى في منامه[2] النبيَّ عليه السلام مع عليِّ بن أبي طالب ، وحضَّاه على الاسلام ، ووجد في الانجيل ما دَلَّهُ على البشارةِ بمحمّدٍ عليه السلام ، فاستدعيَ إلى الحضرةِ ببغداد ، وطيفَ به في سائر البلاد ، فكتب إليه ابنُ المغربيّ رقعةً قال فيها :

ويعلمُ الله ما ورد عليَّ وعلى كافّةِ مَنْ حضر من المسلمين من السرورِ بما أبانَ الله[3] من آيةٍ قَطَعَتْ عُذْرَ الجاحدين، و[حجة][4] استهلكتْ شُبَهَ العاندينَ الجاهلين، لا أنَّ هذا الدينَ ـ بحمد الله ـ مفتقرٌ من بعضِ حواشيه ، إلى بيّنةٍ تزيدُ فيه ، ولا أنَّ الاستدلالَ الصادقَ كان تَرَكَ شُبْهةً إلا فضحها ، ولا معجزةً إلا أوضحها ، وزائغاً إلا قوَّمَهُ ، وجاهلاً إلا علَّمه ، وركناً للباطلِ إلا خفضه ، وعقداً للشرك إلا نقضه ، إلاّ أنَّ المخالفين قد شغلتِ الدنيا أكثرَهُمْ عن التأمّل ، وحجبتِ العاداتُ خواطِرَهُمْ عن التأوُّلِ، فَبَعُدَ بالحججِ السالفةِ ذكرهم ، واشتدَّ إلى البراهين المستحدثة فَقْرُهُمْ ، فكان أبلغ [برهانٍ] إقبالُ مثلِهِ إلى المحجّةِ عن غيرِ رغبةٍ استفزَّته ، ولا رهبةٍ هَزَّته ، ولا محاسدةٍ أغْرَتْهُ ، ولا مناظرةٍ عزَّته ، بل أطلقَ عنانَ عَقْلِهِ ومدَّ به راشداً حتى وقفه على الصراط المستقيم ، واستتلاه قاصداً حتى أوردَهُ إلى المنهج السليم ، فوردتِ النعمةُ بتخيرِّهِ صافيةً غير مكدَّرة ، والمنحةُ في استئنافه وافيةً غيرَ مقصرة ، فهنأ الله الاسلامَ ما لا يزال يتولاَّهُ به من إيضاحِ مَنَارِهِ ، وتبلُّج أنواره ، وإدامةِ صبحه

---

١ بياض في ص، وزدته من تاريخ المسبحي : ٢٣٥ ب والرئيس المشار اليه هو أبو مسلم مشرف بن عبيد الله ، وكان يعرف بالمطران الكبير ، رئيس اليعاقبة ؛ ويذكر المسبحي ان أسلام الرجل تمَّ يوم الخميس السابع من جمادي الأولى سنة سبع [...] واربعمائة وان الوزير المغربي أرسل اليه هذه الرسالة من ميافارقين ؛ وقد أورد المسبحي جانباً من الرسالة لم يورده ابن بسام ، وانقطع فيها بضياع الأوراق ما أورده صاحب الذخيرة ما عدا سطرين منها .

٢ ص : مناها .

٣ المسبحي : سروراً بما آتى الله جلت قدرته .

٤ زيادة من المسبحي .

ضاحكاً تتصدَّعُ عنه دياجيرُ الشبهات ، وتنجلي منه ملابسُ الضلالات ، وهنأ الله الشيخَ ما رآه له أهلاً من هذا السناء الذي تقفُ دونَهُ هممُ المعالي ، وتضيءُ به ظُلَمُ الليالي ، وغرسَ عنده التوفيقَ الذي يسترهن لواءَ النعمة ، ويضمنُ بقاءَ العصمة .

وفي فصل من أخرى : ولولا أنّي إذا أردتُ المواصلةَ بنفسي ثَقَّلْتُ ثقلين بالزيارة ، وبالدالة[١] المستعارة ، لما استنبتُ واللهِ على لساني قلمي ، ولا استنطقتُ يدي قبلَ فمي ، ولكن الاضطرار يقود وأتّبعُ ، والزمانَ يقولُ فأستمع .

وله من رقعة [في] فتح : ولما تقاربتِ الفئتانِ إذا بِعَدُوِّنا في عُدَّةٍ قد اشتملتْ منهم على كلِّ سهمٍ في كنانتهم ؛ قد استكثروا من علوجٍ لا يَخُشُّون[٢] حَوْمَةَ اللقاء ، ولا يثبتونَ على مقارعةِ الأكفاءِ ، فلما اجتمع أعداءُ الله وقلوبُهُمْ بالذّعرِ متفرّقة ، وأقدموا وأقدامُهُمْ القهقراءَ راجعة ، وكانت لنا عيونٌ تجثـمُ على مدارجِ أنفاسهم ، وطلائعُ تقبضُ على مسارح ألحاظهم .

وفي فصل منها : وبادَرَتْهُمْ فتيان بني عامرٍ على الجُرْدِ الصلادم[٣] ، قد بَزُّوا الجُنَنَ تَعَجُّلاً للطِّراد،وتخفَّفوا من الرماح تقصيراً للبعاد،فوكزوهم بالرماح وكزاً ترك الدروعَ منهم غلائلَ ، وأمانيَّ الحياة فيهم قلائلَ،فلم يتركِ القتلُ منهم إلا أنفساً عافتها كرامُ السيوف،وآخرين عزين[٤] تكفكفُ عنهم الرحـمُ العَطوف،يتمسكون بأنفسهم حَوْزاً ، ويعتدون ذلَّ الفرار عزّاً ، وافترقوا إلى أوطانهم يرقبون الليلَ كما يُرْتَقَبُ الصباح ، ويدلجون بكلِّ ماشٍ من الخيل بجناح ، وكان أميرهم في بُلَهْنِيَةِ الاستهامة بهم ، وقلة الفكر فيهم ، قد بات يعملُ كاسَهُ ويلهي جُلاَّسه ، وغدا سكرانَ

١ غير واضحة تماما في ص .

٢ يخشون : يدخلون

٣ ص : الصوارم

٤ ص : عن

٥ ص : عرينة (دون اعجام)

على فَرَسٍ جموحٍ يبادرُ النهابَ وهي أنفسهم ، ويحاولُ الغنائمَ وهـي مُهَجُهُـمْ ، فرقَصَتْ به الفرسُ فصادف ذلك الأَجَلَ المكتوب له. فجزى اللـه هذا الحيَّ من آلِ عامر أهنأ الجزاءِ عاجلاً ، وأدومَهُ آجلاً ، وثنى ببني عمنـا الأقربين ، وعشيرتنـا المستخلصين ، خفاجةَ ، وكذلك الجيران ، وأهل البلدِ والأعيان [١٤٤] وألفاف [١] كانتْ أسماؤهم نكرةً ، فعرَّفَتْها المواقفُ الحميدة ، وطـوائف عاطلـة حَلَّتهـا الخطا البعيدة ، وخاملة نبَّه عليها شكرُ السيوف لأيدٍ منهم وَصَلتْ قصارَها ، وأَوْصَلَتْ في زحامِ الوردِ حوارها .

وفي فصل له : وكلّما هممتُ بمفاتحتِهِ اعترضتني خَجْلَةُ المتَارَكةِ ، واستوقفتني غفلةُ المجانبة ، وخانتْ يدي قلمي ، فلم تَشْفِهِ باظهارِ ضميره ، ولم تحسنِ النيابة عنه في الاعتذارِ من تقصيره .

وهذه أيضاً جملةٌ من شعره في أوصافٍ شتى

قال :

عجبـتْ هنـدُ مـن تَسرُّعِ شيبي ... قلـتُ هـذا عقبـي فطـامِ السرورِ
عوَّضتنـي يـدُ الثـلاثين مـن مسـ ... ـكِ عـذاري رشّـاً من الكافـور
كان لي في انتظـارِ شيبـي حساباً ... غالَطَتْنـي فـيهِ صـروفُ الدهور

والبيت الثاني منها كقول الوزير أبي محمد ابن عبدون :

يا دهـرُ ذنبـكَ عنـدي غـيرُ مكفورِ ... على مَ عوَّضـتَ مِنْ مسـكي بكافورِ

وقال [٢] :

١ ص : والفات

٢ منها أربعة أبيات في دمية القصر ١ : ٩٤ وثلاثة في الشريشي ٣ : ١٢٠ والأبيات ٩،٧،٦،٣،٥،٤،٢،١٠ في ريحانة الألباء ٢ : ٤٧٦

عُلِّمتُ منطقَ حاجِبَيْهِ والبينُ ينشرُ رايتَيْهِ
وعرفتُ آلاتِ النعيمِ بقبلةٍ في عارضيه
ولقد أراه في الخليجِ[1] يشقّه من جانبيه
والماءُ مثلُ السيفِ وهو فِرِنْدُهُ في صفحتيه
لا تشربوا من مائِهِ أبداً ولا تَرِدُوا عليه
قد ذاب فيه الحسنُ[من] حَرَكَاتِهِ أو مقلتيه
والسلم أسلمُ فاحذروا من فترةٍ في ناظريه
صبغتْ بياضَ النيل حمرةُ وردةٍ [في] وجنتَيْه

وقال :

تمنَّعَ أنْ رأى زغباً بعارضِهِ قد التهبا
وتاهَ عليَّ أنْ أبدتْ عقاربُ صُدْغِهِ ذنبا
وقدَّرَ أنه سببٌ يقطِّعُ بيننا النسبا
ولا واللهِ لا آلو لحقٍ عنده طلبا
ولا خَلَّيْتُ في كفَّيْهِ قلباً طال ما انتهبا
أما عيناهُ عيناهُ اللّتانِ أباحتا الرِّيَبا

وقال وقد كسفت الشمس :

لمثلِ ذا اليوم يا معذّبتي كانت ترجّيكِ أختُكِ الشمسُ
قومي اخلفيها في ذا الكسوفِ ففي وَجْهك عنها ان أوحشت [أُنس][2]
وغالطي حاسبَ النجومِ فانْ لجَّتْ وغابتْ أصابَهُ لَبْسُ

١ الشريشي والدمية : الغدير .
٢ موضع هذه اللفظة في ص : « خلف » .

وقـال:

يومُ الكسـوفِ جـلا علـى بصري   قمـراً أحـارَ الجـنَّ والإنسـا
قـامتْ فأرْخَتْ من ذوائِبِهَا   وتجلَّلَـتْ مـن شعـرهـا لبسـا
فسـألتُها لـمَ قد لبسـتِ دجىً   قالـتْ أُسَاعِدُ أختـيَ الشمسا

وقـال:

قـالـوا كسـوفُ الشـمسـسِ مقتربُ   قلت ادّخرتُ لـدفـعِ نائبهـا
ثِقَتـي بكاسِـفهـا وكـاشِفهـا   وبفضـل ماحيهـا وكـاسبهـا
مَنْ لو يشـاءُ أعـادَ مَشرِقَها   متبسّـمـاً لـك من مغاربهـا
هيَ شُعْلَـةٌ مـن نورِهِ فـاذا   ما شاء أظلمَ أو أضـاءَ بها

وقـال [1]:

أدِرْ كـأسَ المدام فان قلبي   أُتيـحَ له عـن التقـوى ارتحـالُ
حللـتُ ببـابـلٍ وأردتُ ألاّ   أهيـمَ بسحـرهـم ، هـذا محـال

وقـال [2]:

دنـفٌ بحمـصَ وبـالعـراقِ طبيبُهُ   يُضْـنيـه عنـه بعـادُهُ ويذيبُـهُ
ما نالـه إلا الـذي هو أهْلُهُ   إذ غاب عن بلدٍ وفيه حبيبه
لـزم السـهـادَ تحيّـراً وتلـدداً   وتـأسّفـاً إذ أوبقتـه ذنـوبه
زعـم الفـراقَ دعـا به فأجابه   ونعـمْ دعـاهُ فلـمْ أراد يجيبـه

١ تاريخ المسبحي : ٢٣٣/أ
٢ الشريشي ٣ : ١٢٠

وهذا كقول الآخر:

أتَـظْعَـنُ عن حبيبكَ ثم تبكي   عليه فمن دعاكَ إلى الفراقِ

وقال آخر:

كَذَبَتْكَ نفسُكَ لستَ من أهْلِ الهوى   تشكو الفراقَ وأنتَ عينُ الظالمِ

وقال ابن المغربي[1]:

ولما احتوى بدرَ الدجى صحنُ خدّه   تحير حتى ما درى أين يذهبُ
تبلبلَ لما أنْ توسَّطَ خدَّهُ   وما زال من بدر الدجى يتعجَّبُ
كأنَّ انعطافَ الصدغ لامُ أماها   أديبٌ يجيدُ الخطَّ أيّانَ يكتبُ

وهذا المعنى كقول الآخر، وأُنْشِدُ القطعة بكمالها، استيفاءً لجمالها:

تعلَّم العطفَ من صدغيه فانعطفا   وكان من شأنِهِ ألاَّ يفي فوفى
دبَّ العذارُ على ميدانِ صفحته   حتى إذا همَّ أن يسعى به وقفا
كأنه كاتبٌ عزَّ المدادُ به   أراد يكتبُ لاماً فابتدأ ألفا

وقال ابن المغربي:

حبيبٌ سرى يستقبلُ الليلَ وَحْدَهُ   ويسبقُ آرام الصريم وأُسْدَهُ
فلا الأُنسُ من أمثاله الأدمِ عاقَهُ   ولا الذعرُ من أعدائِهِ الغُلْبِ صدَّه
يخوضُ إليَّ الليلَ ما بلَّ عطفه   ويفرج غيلَ الدوح ما حلَّ عقده

المصراع الأول منه كقول المعرّي[2]:

---

١ الأول والثالث في الشريشي ٥ : ٢٢٣

٢ شروح السقط: ١٢٢٣

عجبتُ وقد جزتِ الصراةَ رِفَلَّةٌ وما خَضِلَتْ مما تَسَرْبَلْتِ أذيالُ[1]

[١٤٥]/ وقد طلعتْ في الرأس منّيَ رايةٌ ثكلتُ بها هزلَ النعيم وجدَّه

كلوحُ مشيبٍ لو يكون[2] تبسماً كما زعموا ما [إن] بكى القلب عنده

وما زَهَراتُ الشيبِ فيه ظوالمٌ كذا العشبُ يأتي يانعُ الزهرِ بعده

أخذتُ من الدهرِ التجاريبَ جملةً وقبلَ أشدّي ما بلغتُ أشده

قوله « كلوح مشيب » ينظر إلى قول ابن الرومي[3] :

لم يضحكِ الشيبُ من فَوْدَيْهِ بل كلحا سمِّ القبيحَ من الأسماءِ ما قَبُحا

ان كان ابنُ المغربيّ قد نَقَصَ معناه ، وطمسَ سناه ، فقد زاد فيه ما ذهبَ ببعض جنايته ، ومحا كثيراً من إساءته . وكان الناسُ قديماً وحديثاً يستعيرونَ لبياضِ المشيبِ التبسّمَ ، حتى جاء ابن الروميّ بحرُ الإبداع ، وعذبةُ لسانِ الاختراع ، فقال بيته المتقدم فأسكتَ به القائلين ، ودفع في صَدْرِ المتقدمين ، وبيّنَ أنه ربما كانَ الفضلُ للآخر ، وأبقى السالفُ للغابر . وأرى أوّلَ من نحا هذا المنحى ، وسلك بالشيب هذه المحجّة المثلى ، حيث استعار الضحكَ للشيب ، غير مبالٍ إلى ما في ذلك من العيب ، دعبل حيث يقول[4] :

لا تعجبي يا عبدَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسه فبكى

فاستعار الجناح ، وغدا على ألسنةِ الرواةِ وراح ، وتتابع فيه الشعراءُ فأبدأوا فيه وأعادوا ، ونقصوا وزادوا .

---

١ الرفلة : الطويلة الذيل ؛ الصراة : مجتمع دجلة والفرات ؛ خضلت : ابتلّت .

٢ ص : يكن .

٣ ديوان ابن الرومي : ٥٦٣

٤ ديوان دعبل : ١١٧ وروايته : لا تعجبي يا سلم (وفي الديوان تخريج مستفيض)

وقال ابن المغربي :

ولما دعوتُ الكأس تؤنسُ وحشتي ... لبعدكَ زادتني اشتياقاً إلى القربِ
ومالت بأعطافي لها أريحيةٌ ... فقربُكَ أحلى من جناها إلى القلب
فأنت مزاجُ العيشِ إن كان صافياً ... وأنت المعيرُ الصفوَ في كَدَرِ الشرب

وقال في غلام تركي وسيم ، كان به يهيم :

غزالٍ لم أُلابِسْ قبله التبريحَ والكمدَا
أظنُّ عِدَاهُ حانيةً ... لعشقي مذ كذا رصدا

وقال :

يا أهل مصرٍ قد عاد ناسِكُكُمْ ... بالكَرْخِ بعد التقى إلى الفَتْكِ
جَمَّشَ قلبي [مُقَرْ]طَقٌ غَنِجٌ ... بدا لقلبي فيه من النسك
رمى فؤادي بسهمِ مقلتِهِ ... وكيف يُخْطي مولَّدُ الترك

وذكرت بمعنى البيت الثاني من هذه قول كشاجم ، وان لم يكن به ، فيتعلّقُ بسببه[2] :

يقولون تُبْ والكأسُ في يد أغيدٍ ... وصوتُ المثاني والمثالث عالِ
[فقلت لهم لو كنتُ أزمعتُ توبةً ... وشاهدت هذا في المنام بدا لي]

وقال ابن المغربي[3] :

حبيبٌ مللتُ الصبرَ بعد فراقِهِ ... على أنّني عُلّقته وأِلفتُهُ
محا سنٌّ يأسي شَخْصَهُ من تفكّري ... فلو أنني لاقيتُهُ ما عرفتُهُ

---

١ الشريشي ٥ : ٣٠٥
٢ انظر زهر الآداب : ٦١١ والشريشي ٥ : ٣٠٥
٣ تاريخ المسبحي : ٢٣٤/أ

وقـال :

اللـه يعلـمُ ما إثـمٌ هممـتُ بـه إلا وَبَغَّضَـهُ خوفي من النار
وان نفسيَ ما هـامـتْ بمعصيـةٍ إلا وقلبـي عليهـا عاتـبٌ زارِ

ولـه في غلام نصراني :

رغبـتُ فـي ملّـةِ عيسى ومـا يخيـبُ من يـرغـبُ في ملّتِـهْ
رغّبنـي في دينـه شادنٌ رأيتُـهُ يخـطـرُ من بيعتـه
صنـعُ حكيـمٍ ما أرى أنّـهُ يسـلّـطُ النـارَ على حكمتـه
إنْ كان ذا من ساكنـي نـارِهِ فنـارُهُ أطيـبُ من جنتـه

ومن مرثية له في الشريف أبي الحسن ، صهره :

يا ناعيَ الـدين والـدنيا أشِـدْ بهما في حيث سالَ بآلِ اللـه واديْهِ
هذي معـالي قريشٍ غاضَ آخرها ومجـد هاشمَ زارَ التـربَ باقيه
قل يا أبـا حسـنٍ والقـولُ ذو سعةٍ[1] لولا حجـابٌ من الثّريـاءَ[2] يَثْنيهِ
أآخـرُ الدهـرِ أم تُخْنَـى عواطفُهُ وفيصـلُ البـينِ أم يُرْجَـى تلافيه
كلاً لقـد فاتَ منـك الوصـلُ آملَه مذ شَيَّدَ الجـدثَ المأهـولَ بانيه
هُنّيتَ ربعـاً برغـلم المجـدِ تسكنُهُ تلقـى أبـاك علياً في مغانيه
إنْ أخْـلُ بعـدكَ بالـدنيا أرَوّضها فقـد خلا بضميـرِ النبـع باريه
هل كنـتَ تعلـمُ إذ عوّدتنـي أبداً حُسْـنَ التصبّـرِ أنـي فيك أُفنيه

وهو القائل[3] :

---

١ ص : في سعة
٢ الثرياء : الأرض ، أو الثرى والندى
٣ الأبيات في ياقوت ١٠ : ٨٢ والمنتظم ٨ : ٣٣ وابن خلكان ٢ : ١٧٦

كنتُ في سَفْـرَةِ البطالـةِ والغـيِّ زمانـاً[1] فحــانَ منـــه قدومُ
تبتُ عن كلِّ مأثــم فعسى يُمحى بهذا الحديثِ ذاك القديـم
بعـد سبـعٍ[2] وأربعيـن لقـد ما طلـتُ إلاّ أنّ الغـريمَ كريم

انتهى ما أثبته لأبي القاسم من فصوص نثره ، وملح شعره ، وأختم ذكره بخبر يتعلق بكرمه ، ومحاسن شيمه[3]: كان يوماً بدارِهِ ببغداد في نوروز سنةِ ثماني عشرة وأربعمائة ، وهو اذ ذاك وزيرها ، وله تدبيرُها ، فدخل عليه وجوهُ أمراءِ الديلم والاسفهسلارية من الأتراك على طبقاتهم ، ووضعتِ الهدايا بين يديه على رَسْمِ الفرس ، فلما/[١٤٦] خفَّ المجلس وتعلىَّ النهار ، استؤذن عليه للديلمي مهيار ، فأذنَ له ودخل ، فلما مثل بين يديه وسلَّم قال : أيدك الله ، هذه البضاعةُ التي معنا كانت كاسدة ، وقد وجدنا لها نفاقا بحضرتك ، فقال : هات ما معك ، فأنشده قصيدتَهُ التي أولها[4] :

* عسى مُعْرِضٌ وجهُهُ مُقْبِلُ *

وهي قصيدةٌ نيَّفَ فيها على المائة ، وقد أثبتُّ ما أخرجتُ منها في موضعها من هذا القسم، فجعل ينشدها وابنُ المغربي يستعيد أبياتَهُ النادرةَ فيها ، ويكثر إعجابه بها ، ويجمع كفَّيه ويبسطهما ويقول : أحسنتَ والله ، أجدتَ والله ، إلى آخرها . فلما فرغ أشار له إلى دراهيم ودنانيرَ كانت بين يديه دونَ باقي الهدايا ، ففتح مهيارُ كمه الأيْسَرَ وجمع بيده اليمنى حتى ملأ كمه الأيسر ، ثم فتح كمه الأيمن وجمع بيده اليسرى إلى أن لم يبق في الموضـع دينار ولا درهم ، ونهض ؛ وسئل مهيار بعدُ عن

١ ياقوت : كنت في سفرة الغواية والجهل مقيماً
٢ ياقوت : بعد خمسٍ .
٣ بغية الطلب ٥ : ٢٩ ، ١٩
٤ ديوان مهيار ٣ : ١٢٤ وعجز البيت : فيوهب للآخر الأول .

زنةِ ما حصل له يومئذ فقال : كانت الدنانير ألفاً ومائةَ مثقالٍ وعشرين ، والفضة ثمانيةَ آلافِ درهم .

فصل في ذكر الفقيه الحافظ عبد الوهاب بن نصر المالكي البغدادي[1]

ناصر دين المالكية ، وإيراد قطعة من شعره الذي هو حلاوة الأمـان ، وبشر وجه الزمان

كان أبو محمد في وقتِهِ بقية الناس ، ولسانَ أصحابِ القياسِ ، وهو أحدُ مَنْ صرّف وجوه المذهب المالكيّ ، بين لسانِ الكنانيّ ، ونظرِ اليونانيّ ، فقدَّرَ أُصولَهُ ، وحرَّر فصوله ، وقرّر جُمَلَهُ[2] وتفاصيله ، ونهَجَ فيه سبيلاً كانت قبله طامسةَ المنار ، دارسـةَ الآثار ، وكان أكثرُ الفقهاءِ ممن لعلَّه كان أقرب سَنَداً ، وأرْحَبَ أَمَداً ، قليلَ مادة البيان ، كليلَ شَبَاةِ اللسان ، قلَّما فصَّلَ في كتبه غيرَ مسائلَ يلقفها ولا يثقفها ، ويبوِّبُها ولا يرتبهـا ، فهي متداخلةُ النظامِ ، غيرُ مستوفاةِ الأقسام ، وكلُّهُمْ قُلِّدَ أجْرَ ما اجتهد ، وجـزاء ما نوى واعتقد .

وقد وجدتُ له شعراً معانيه أجْلى من الصبح ، وألفاظُـهُ أحلى من الظَّفَـرِ بالنُّجْح ؛ ونَبَتْ به[3] بغداد ، كعادة البلاد ، بذوي فضلها ، وعلى حُكْمِ الأيامِ في مُحْسني أهلها ، فخلع أهلها ، وودّع ماءها وظلَّها . وقد حُدِّثت أنه شيَّعَهُ يوم فَصَلَ

---

١ ترجمة عبد الوهاب المالكي في طبقات الشيرازي : ١٦٨ وتاريخ بغداد ١١ : ٣١ والمنتظم ٨ : ٦١ وترتيب المدارك ٤ : ٦٩١ والديباج المذهب : ١٥٩ ومرآة الجنان ٣ : ٤١ وابن خلكان ٣ : ٢١٩ والمرقبة العليا : ٤٠ وابن كثير ١٢ : ٣٢ والشذرات ٣ : ٢٢٣ والفوات ٢ : ٤١٩ والزركشي ٢ : ٢٠٢ وتبيين كذب المفتري : ٢٤٩ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٧٦ وورد في دمية القصر (١ : ٢٩٥ ـ ٢٩٧) ترجمة أبي نصر عبد الله بن علي بن نصر المالكي، ولعل صوابه « عبد الوهاب بن علي » إذ نسب له الباخرزي أبياتاً نسبت لعبد الوهاب في اكثر المصادر .

٢ ص : حصله .

٣ ص : بعد

عنها ، من أكابرها ، وأصحابِ محابرها ، جملةٌ موفورة ، وطوائفُ كثيرة ، وأنّه قال لهم عندما وقفهم للتوديع ، وعزم عليهم في الرجوع : واللهِ يا أهلَ بغداد لو وجدتُ بين ظهرانيكم رغيفين كلَّ غداةٍ وعشيّةٍ ، ما عدلتُ ببلدكم بلوغَ أمنية ؛ والخبزُ عندهم يومئذٍ ثلاثمائة رطل بمثقال . وزعموا أنه ارتجل يومئذ هذه الأبيات[1] :

سلامٌ على بغدادَ في كلِّ موطنٍ ... وحقٌّ لها منّي السلامُ المضاعَفُ
لعَمركَ ما فارقتُها قالياً لها ... وإنّي بشطَّيْ جانبيها لعارف
ولكنها ضاقتْ عليَّ برحبها ... ولم تكنِ الأرزاقُ فيها تساعف
فكانت كخلٍّ كنتُ أهوى وصالَهُ ... وتنأى به أخلاقُهُ وتخالف[2]

وبلغني أنه اجتاز في وجهته تلك بمعرةِ النعمان ، وبها يومئذ أبو العلاءِ أحمدُ بن سليمان ، فضيّفه ، وكتب اليه بما أثبته في موضعه ، وفي ذلك يقول أبو العلاء[3] :

والمالكيُّ ابنُ نصرٍ زار في سَفَرٍ ... بلادنا فحمدنا النأيَ والسَّفَرا
إذا تفقّه أحيا مالكاً جدلاً ... وينشرُ الملكَ الضلّيلَ إن شعرا

واستقرَّ الفقيه أبو محمدٍ بمصر ، فحملَ لواءَها ، وملأ أرضها وسماءَها ، واستتبع سادتَها وكبراءها ، وتناهتْ إليه الغرائبُ ، وانثالتْ في يديه الرغائب ، فمات لأوّلِ ما وصلها ، من أكلةٍ اشتهاها فأكلها ؛ زعموا أنه قال وهو يُقلَّب ، وَنَفَسُهُ [قد] تصعَّدَ وتصوّب « لا إله إلا الله ، إذا عشنا متنا » . وكانت وفاته بها رحمه الله سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

وقد أخرجتُ من شعره ما يروقُ العيونَ ، ويفوقُ المنثور والموزون . ومن شعره

١ وردت في اكثر المصادر التي جاءت فيها ترجمته ؛ وقيل إن الأبيات ليست له ؛ وانظر الشريشي ٤ : ٣١٧
٢ ترتيب المدارك : وتجانف .
٣ شروح السقط : ١٧٤٠ وابن خلكان : ٢٢٠ والفوات : ٤٢٠ والشذرات : ٢٢٤

مما أنشده أبو المطّرف المالقيّ[١] :

لا تتعجَّلْ قطيعتي فكفى يوماً يدُ الدهر بيننا تَقْطَعْ
عمّا قليلٍ تحين[٢] فرقتنا ثمّتَ لا مُلْتَقَى ولا مُجْمَعْ

واستقضي بمدينة اسعرد[٣] ، فبلغه عن أحد أدبائها أنه قال عنه/ [١٤٧] كلاماً معناه : القاضي ـ أعزّه الله ـ مجيد ، في كلٍّ ما يريد ، إلا أنه ربما فَتَرَ قولُهُ إذا شعر ، فقال عبد الوهاب :

أبغي رضاكمْ جاهداً حتى إذا أمَّلْتُ حُسْنَى عاد لي منكمْ أذى
إني لأُصْبِحُ من تَجَنٍّ خائفاً وَبِسَلْمِكمْ من حربكم متعوِّذا
فالى مَ صبري للتعتّب منكمُ وإلى مَ إغضائي الجفونَ على القذى
لو شئتُ أمَّنني القريضُ مِنَ الذي أنا خائفٌ ولكان لي مستنقذا
فيظلُّ بي متململاً متنغصاً من كان قبل الشرِّ بي متلذذا
لكنّني أرعى الودادَ وإن غدا غيري به متشدّقاً[٤] متطرمذاً[٥]
وأظلُّ يملكني الحنوُّ عليكمُ وأكفُّ عائرَ أسهمي أن ينفذا
وأُجِلُّ قدري في المودّة أن أرى بعد الحفاظ لعهدهمْ ان ينبذا
أتظنّ بغداديَّ طبعٍ خالص يُلْفَى هزيمَ من اغتدى متبغددا
هيهات إنَّ من الظنون كواذباً والحزمُ أَوْلَى في الحجى أن يحتذى
إن تعتذر منها تجدني قابلاً أو رمتَ تجديدَ الودادِ فحبذا

١ السريشي ٢ : ١١٣ ـ ١١٤
٢ ص : تجر
٣ اسعرد (وتكتب أيضا : أسعرذ ، اسعرت ، سعرت) إلى الجنوب من ميافارقين (انظر تقويم البلدان : ٢٨٨ ـ ٢٨٩)
٤ ص : منسوفا .
٥ المطرمذ : الصلف المتكبر بما لم يفعل .

طبعـي التجـاوزُ عن صديقٍ إن هفا ... وبِغَفْـرِ زلاّت الأخـلاَّءِ اغتذى
فتجنَّبَـنْ عَتْبـي وَعُـدْ لمودتي ... لا تصـغيـنَّ لقـولِ واشٍ إن هذى
واعلـمْ بأنـي لسـتُ غافـرَ زلةٍ ... إن رابنـي ظَنٌّ بكـمٍ من بعـدِ ذا
ذو الحلـم إن سالَمْتَـهُ لك منصفٌ ... فاذا نضـا عنـه تَجِـدْهُ قد بـذا
يا شـاعـراً ألفاظُـهُ في نظمـه ... دُرَراً غَـدَتْ وزبـر جـداً وزمرّذا
خذهـا فقـد نظّمتهـا لك حكمةً ... فيهـا وقـلَّ لمثلهـا أن يؤخـذا
حتـى تظـلَّ تقـولُ من عَجَـبٍ بها ... مَنْ قال شعـراً فليقلْـهُ هكذا

وقـال [1] :

ونـائمـةٍ قَبَّلْتُهـا فتنبهـتْ ... وقالـت تعالَـوْا فاطلبـوا اللصَّ بالحدِّ
فقلـتُ لهـا إنّـي فديتـكِ غاصبٌ ... ومـا حكمـوا في غاصبٍ بسوى الردِّ
خذيهـا وحطـي[2] عن أثيمٍ ظلامةً ... وان أنـت لم تَرْضَيْ فألفُ عن العدّ
فقالـت قصـاصٌ يشهـدُ العقـل أنه ... على المذنـبِ الجانـي ألـذُّ من الشهد
وقالـتْ ألـم أُخْبَـرْ بأنـكَ زاهدٌ ... فقلـت بلى مـا زلـتُ أَزْهَـدُ في الزهد
فباتـتْ يمينـي رهـن[3] هميانِ خَصرْها ... وباتت يسـاري رهـن[3] واسطـةِ العقد

وقـال [4] :

ومحجوبـةٍ في الخـدر عن كلِّ ناظرٍ ... ولـو برزتْ بالليل ما ضلَّ مَنْ يسري
أقـولُ لهـا والعيسُ تُحْـدَجُ للنوى ... أعدّي لفقدي ما استطعت من الصبر

١ أوردها ابن خلكان والفوات والشذرات ومرآة الجنان وابن كثير .
٢ في رواية : وكفي
٣ في رواية : وهي ... وهي
٤ وردت ثلاثة أبيات منها في ياقوت ١٠ : ٨٨ وابن خلكان ٢ : ١٧٣ منسوبة للوزير المغربي ؛ وأربعة في الشريشي ١ : ٢٩٩ للقاضي عبد الوهاب .

سأُنْفِقُ ريعانَ الشبيبةِ آنفاً ... على طَلَبِ العلياءِ أو طَلَبِ الأجرِ
أليسَ من الخسرانِ أنَّ ليالياً ... تمرُّ بلا نفعٍ وَتُحْسَبُ من عمري
وإنّا لفي الدنيا كواكبُ لجّةٍ ... نُظَنُّ قعوداً والزمانُ بنا يجري

وقال [1] :

حمدتُ إلهي إذ بُليتُ بحبّها ... وبي حَوَلٌ يُغْني عن النَّظَرِ الشَّزْرِ
نظرتُ إليها والرقيبُ يخالني ... نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذرِ

وقال :

لا تتركِ الحزمَ في شيءٍ تحاذرُهُ ... فان سلمتَ فما في الحزم من باسِ
العجزُ ذلٌّ وما بالحزمِ من ضَرَرٍ ... وأحْزَمُ الحزم سوءُ الظنِّ بالناس

وقال :

لستُ وإن كنتُ معنّىً به ... مشتكياً منه أذى حُبِّهِ
بل راضياً ما كان منه وإنْ ... حُمِّلْتُ في الحبِّ على صعبه
مُرُّ الهوى أطيبُ من عَذْبِهِ ... وَجَدْبُهُ أنعمُ من خصبه
ما صدقَ الحبَّ امرؤ لم تَبِتْ ... نيرانه تُضْرَمُ في قلبه
يستعذبُ التعذيبَ فيه وإن ... آل به ذاك إلى نحبه
لا باغياً منه نوالاً ولا ... يشكو الذي يلقاه من كربه

وقال :

الله يعلمُ أني يومَ بينهمُ ... ندمتُ إذ ودَّعتني غايةَ الندمِ

١ انظر حاشية : ٢ في ابن خلكان : ٢٢١ ونسبها ابن خلكان نفسه في ٤ : ٣٨١ لأبي حفص الشطرنجي .

تزاحمتْ في فؤادي للنوى حُرَقٌ تزاحُمَ الدمعِ في أجفانِ منسجم
ثم انثنيتُ وفي قلبي لفرقتهمْ وقعُ الأسنَّةِ في أعقابِ منهزم

وكتب يخاطب المستنصر بالله صاحب مصر : حصَّنَ الله المؤمنين من الشيطانِ [بِجُنَنِ] الطاعة ، ودثّرهم من قرِّ وسواسه بسرابيل القناعة ، ووهَبَهُمْ من نِعَمِهِ مَدداً ومن توفيقه رَشَداً ، وصيرَّهُمْ إلى مَنْهَجِ الاسلام وسبيلهِ الأقْوم ، وجعلهم من الآمنين فيا هم عليه موقوفون ، وزيَّنَهُمْ بالتثّبتِ فيا هم عنه مسؤولون ﴿وما ربُّكَ بظلامٍ للعبيد﴾ (فصلت : ٤٦)

كتابي إليك من الجُبِّ بازاءِ مصرك ، وفناء برّك ، بعد أن كانت بغداد لي الوطنَ ، والألفةَ والسَّكَن ؛ ولما كنتُ على مذهبٍ صحيح ، ومتجرٍ ربيح ، كَثُرَتْ عليَّ الخوارج ، وشقَّ [على] الماءِ ارتقاءُ المناهج ، ﴿ولينصرَنَّ اللهُ مَنْ ينصره ، إن الله لقويٌّ عَزيزٌ﴾ (الحج : ٤٠) فأتيتُ مكّةَ -حرسها الله- لكي أقضي فرضَ الحج ، من عجّ وثجّ ، أسألُ الله تعالى القبولَ ، وكيف وإنما يتقبَّلُ الله من المتقين ؛ وقد كنتَ عندي ذا سُنَّةٍ ودين ، مُحِباً في الله تعالى وفي النبيّين ، وفي محمدٍ صلى الله عليه وسلم والمهديين ، فورد الناطقون ، وأتى المخبرون ، بخبرِ ما أنت عليه ، فذكروا أنَّكَ مُدْحِضٌ لمذهبِ مالك ، موعدٌ/[١٤٨] لصاحبه بأليمِ المهالك ، هيهات هيهات ﴿إنّكَ ميّتٌ وإنَّهُمْ مَيّتون . ثم إنَّكُمْ يومَ القيامةِ عند رَبِّكُمْ تختصمون﴾ (الزمر :٣٠-٣١) فأبيتُ القبولَ على أمرٍ لم يصحَّ بيانُهُ لكثرةِ الكذبِ في الدنيا ، وإذ لا يحلُّ لمسلمٍ أن يموتَ طوعاً ، فأردتُ الكشفَ عن ذلك بكتابٍ منك ، والسلامُ على من اتّبعَ الهدى .

جواب المستنصر بالله : حرس الله مهجتك ، وطوَّلَ مُدَّتَك ، وقدَّم أميرَ المؤمنين إلى المنية قبلك ، وخصَّه بها دونك ، ورد كتابُكَ المكرّم ، وأتى خطابُكَ المعظّم ، يُفْصِحُ البكم ، ويُنْزِلُ العُصْمَ ، هَبّتْ عليه رياحُ البلاغةِ فنمقته ، ووكَفَتْ

عليه سحائبُ البراعةِ فرقّقَتْهُ ، فيا له من خطٍّ بهيّ ، ولفظٍ شهيّ ، تذكر فيه حُسْنَ ظنونك بنا ، وتثبتُ مآثرنا ، فلما أن عرّست بازائها ورد من فَسخ عليك ، فَخُذْ بظاهِر ما كان عندك وَرِدْ ، وَدَعْ لربِّكَ عِلْمَ ذاتِ الصدورِ، والسلام .

ومن شعره أيضاً قوله[1]

أهيمُ بذكرِ الشّرقِ والغربِ دائماً ... وما بيَ شرقٌ للبلادِ ولا غربُ
ولكنَّ أوطاناً نأتْ وأحبّةً ... فَعُدْتُ متى أذكرْ عهودهُمُ أَصْبُ
إذا خطرتْ ذكراهُمُ في خواطري ... تناثَرَ من أجفانيَ اللؤلؤ الرطب
ولم أنْسَ من ودَّعتُ بالشّط سُحْرةً ... وقد غرَّد الحادون واستعجل الركب
أليفان هذا سائرٌ نحو غربةٍ ... وهذا مقيمٌ سار عن صَدْرِهِ القلب

وقال[2] :

ومحطوطةِ المتنين مهضومةِ الحشا ... مُنعَّمةِ الأطرافِ تَدْمىَ من اللمسِ
إذا ما دخانُ الندِّ من طيبها علا ... [على] وجهها أبصرْتَ غيماً على الشمس

وقال :

رحلتمْ فكم من أنّةٍ بعد زَفْرةٍ ... مبيِّنةٍ للناس شوقي إليكُمْ
فان كنتُ أعتقتُ الجفونَ من البكا ... فقد ردّها في الرقِّ حزني عليكم

وقال :

يأبى مقامي في مكانٍ واحدٍ ... دهرٌ بتفريق الأحبّةِ مولعُ
كفكفْ قِسيَّكَ يا فراقُ فانّه ... لم يبق في قلبي لسهمكَ موضع

١ الأبيات التالية عدا الثالث في ابن خلكان : ٢٢١ والمنازل والديار : ١١٩/أ ووردت في القسم الرابع من الذخيرة : ١٠١ منسوبة لأبي الفضل البغدادي .

٢ وردا في هذا القسم الرابع : ٩٦ منسوبين لأبي الفضل البغدادي .

وقال[1] :

تذكَّـرَ نجـداً والحمـى فبـكـى نجـدا	وقال سقـى الله الحمى وسقـى نجدا
وحيَّتْـهُ أنفَـاسُ الخـزامـى عشيّـةً	فهاجَـتْ إلى الوجـدِ القديم لـه وجدا
فأظهـر سلـوانـاً وأضـمـرَ لوعـةً	إذا طُفِئـت نيرانـهـا وقـدت وقدا
ولـو أنـه أعـطـى الصبـابـة حقّها	لأبدى الذي أخفى وأخفى الذي أبدى
ولـم أنسَـهُ والسـكـرُ يفتـلُ قـدَّه	إذا ما تثنَّـى كدتُ أعْـقِـدُهُ عقـدا

وقال :

بالكرخِ مـن جانـبِ الغربـيّ عـنَّ لنا	ظبـيٌ ينفِّـرهُ عـن وصلنـا نفَـر
ذؤابتـاه نـجـادا سيفِ مقلـتِـهِ	وجفنُـهُ جفنـه والشـفـرةُ الشفر
ضفـيرتـاه علـى قتلـي تضافرتـا	يـا مـن رأى شاعـراً أودى بـه الشعـر

وقال :

مـن بعـد ودّي رمتـمُ أن تهجروا	مـا بعـدَ فُـرْقَـةِ [مزا]معيـن تَخَيُّـرُ
وزعمتـمُ أن الليالـي غيَّـرتْ	عهـدَ اللـوى لا كـان مـن يتغير
إنْ شئتـمُ أن تُنْصفونـي فـي الهوى	لا تَقْـطعُـوا حبـلَ الوصـالِ وتغـدروا
رُدُّوا الفـؤادَ كما عهـدتُ إلى الحشـا	والمقلتيْـنِ إلـى الـكرى ثـم اهجروا

وقال :

أتبـكـي علـى بغـدادَ وهـي قريبةٌ	فكيف إذا مـا ازددتَ عنها غداً بعدا
لعمـركَ ما فارقـتُ بغـدادَ عـن قلىً	لهـا أنْ وجـدنـا للفـراقِ بهـا بـدا
إذا ذَكَرَتْ بغـدادَ نفسي تقطَّعـتْ	مـن الشوقِ أو كادت تموتُ بها وجدا
كفـى حزنـاً إنْ رُمْـتُ لم أستطـعْ لها	وداعـاً ولـم أُحْـدِثْ لشـاطئهـا عهدا

[1] وردت ص : ١٠٢ من هذا القسم منسوبة لأبي الفضل البغدادي .

وقال[1]:

تملكتَ يا مُهْجَتي مُهْجتي ... وأسهرتَ يا ناظري ناظري
وما كان ذا أملي يا ملولُ ... ولا خَطرَ الهجرُ في خاطري
فجدْ بالوصالِ فَدَتْكَ النفوسُ ... فلستُ على الهجر بالقادر
وفيكَ تَعلّمْتُ نظمَ الكلامِ ... ولقّبنني الناسُ بالشاعر
أيا غائباً حاضراً في الفؤاد ... سلامٌ على الغائبِ الحاضر

وقال:

وكلُّ مودّةٍ في اللهِ تبقى ... على الأيامِ من سَعَةٍ وضيقِ
وكلُّ مودةٍ في ما سواه ... فكالحلفاءِ في لَهبِ الحريق

وقال:

أمنزِلتَيْ سلمى وحسبي رُباهما ... فمجتَمعَيْ واديهما بأُثالِ
سلامٌ على تلك المعاهدِ إنها ... مهبُّ جنوبي أو مَصابُ شمالي
ليالِيَ لا أخشى حزونَ قطيعةٍ ... ولا أمشِ إلاّ في سهولِ وِصالِ
فقد صار حظّي من جميع لقائكمْ ... تَعرُّضَ برقٍ أو طروقَ خيال

وقال:

يا أملحَ الناسِ بلا مريةٍ ... من غير مستثنىً ولا مستعادْ
ما زادني صدُّكَ إلاّ هوىً ... والشزْرُ [من] عينيك[2] إلاّ وداد
فاحكمْ بما شيتَ ففيه الرِّضى ... وكنْ كما شيتَ فأنتَ المراد

---

[1] وردت منسوبة للوأواء الدمشقي في الشرشي ١ : ١١٢ وهي في ديوانه : ٩٩ ومنها ثلاثة أبيات في اليتيمة ١ : ٢٩٦ له أيضاً .

[2] ص : وسود عينيك .

وما عسى تبلغُـهُ طاقتي وإنّما بينَ ضلوعي فؤاد

وقال :

فؤادي فرَّ من جَسَدي إليكـمْ فجئتُ اليومَ أطلبـه لديكُمْ
فضمّوا الجسمَ أو ردّوا فؤادي فما في ردِّهِ حرجٌ عليكم

وقال :

يا لهفَ نفسي على شيئينِ لو جُمِعا عندي لكنتُ إذنْ من أسعدِ البشرِ
[١٤٩] كفافُ عيشٍ يقيني كلَّ مسألةٍ وخدمةُ العلمِ حتى يَنْقضي عُمُري

وقال [١] :

أشكو الذين أذاقوني مودَّتَهُمْ حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قمتُ منتصباً بحملِ [٢] ما حمَّلوا من ودّهم قعدوا
لأخرجنّ من الدنيا وحُبّكمُ بين الجوانح لم يشعرْ به أحَدُ
أَلِفتُ بيني وبين الحبِّ معرفةً ما تنقضي أبداً أو ينقضي الأبد

وقال :

ولما رأيتُ العيشَ أزمعَ للنوى عزمتُ على الأجفانِ أن تترقرقا
فخذ حُجَّتي من تَرْكِ قلبيَ سالماً وجيبي ومن حَقَّيْهِمَا أن يمزقا
يدي ضَعُفَتْ عن أن تمزّقَ جيبها ولو كان قلبي حاضراً لتمزَّقا

وقال :

حَرَّق سوى قلبي وَدَعْهُ فانّني أخشى عليك وأنت في سودائِهِ
جاوَرْتَهُ سوءَ الجوارِ فَسُؤْتَهُ لما حللتَ فِناءَه بِفَنَائِهِ

١ هذه الأبيات للعباس بن الأحنف (ديوانه : ٨٤) والبيت الأول منها - في الأقل - لا يمكن أن يكون للقاضي عبد الوهاب لوروده في مصادر سابقة لعصره مثل الأغاني والشعر والشعراء ؛ وقد ورد في الذخيرة : ٥١٤ منسوباً للعباس ابن الأحنف .

٢ ديوان العباس : بثقل ؛ ص : معتدلاً بحمل ... فقدوا

وقـال :

في النَّفْسِ ضيقٌ وفي الفـؤاد سَعَهْ　　فـآلـةُ الجـودِ غيـرُ مُتَّسِعَـهْ
البخـلُ لا أسـتـطيعُ أفعـلُهُ　　والجـودُ لا أسـتـطيع أن أدعـه

وقـال :

قَضَـتْ أيـامُنـا سهمـاً صحيحاً　　لمـن يـأوي إلـى فهـمٍ سقيمِ
كـأنَّ علـيَّ للإعـدامِ دَيْناً　　فلازمنـي مـلازمـةَ الغـريم

وقـال :

يحتـاجُ مَـنْ كان في مـواعِدِكُـمْ　　إلـى ثلاث مـن غـيـر تكـذيبِ
أمـوال قـارون يسـتعيـنُ بها　　وعمـرِ نـوحٍ وصـبـرِ أيـوب

وقـال :

طُـوِّلـتُ للنفـسِ في الأمـاني　　فحسـرتـي اليـومَ حـسرتان
لمـا رأيـتُ الشـبـابَ ولَّـى　　وطـالـعَ الشيب قـد علانـي
أيقنـتُ [أنـي] على فنـاءٍ　　مشـمّـر الـذيـلِ غـير وان
يا طولَ شوقـي إلى أُنـاسٍ　　خَلَّفنـي عنهـم التـوانـي

وقـال :

أنـا فـي الغربـة أبكـي　　مـا بكـتْ عيـنُ غـريـبِ
لـم أكـنْ يـومَ خـروجي　　مـن بـلادي بالمصيـب
عجبـاً لـي ولتـركي　　وطنـاً فيـه حبيبي

وقـال[1] :

بغـدادُ دارٌ لأهـل المـالِ واسعةٌ　　وللصعـاليـكِ دارُ الضَّـنْـكِ والضيـقِ

---

١ ورد البيتان في ابن خلكان : ٢٢١ وترتيب المدارك : ٦٩٤ والفوات : ٤٢٠ والديباج : ١٦٠ وابن كثير : ٣٣ والشريشي ٤ : ٣١٧

أصبحتُ فيها مهاناً في أزقتها[1]   كأنني مصحفٌ في بيتِ زنديق

وقال :

جَرِّدْ عزيمةَ ماضي الهمِّ معتزم   ودونَ نيلِ الذي تبغيه لا تنمِ
ولا يصدَّنَّكَ عنها خوفُ حادثةٍ   فانما المرءُ رهنُ الموتِ والسقم
ما قدَّر الله آتٍ،كنتَ في سفرٍ   أو في مقرِّك بين الأهل والحشم

وقال :

إن يكن ما بكَ هزلٌ   فالذي بي منكَ جِدُّ
جملةٌ تغني عن التفسير :   ما لي عنكَ بدّ

وقال :

إن تُرِدِ الوصلَ فهذا أنا   وإنْ تُرِدْ هجري لكَ الأمرُ
ما أنا محتاجٌ ولا وامقٌ   فواحدٌ وَصْلُكَ والهجر

وقال :

لما نَشرْنَ على عَمْدٍ ذوائبها   يكادُ منها فتيتُ المسك يَنْتَشرُ[2]
تقولُ يا عمّتا كفّي ذوائبهُ   ويحي ضنيتُ وأخْفَى جيديَ الشعر
مثلَ الأساودِ قد أعيا مواشِطَها   فيه تضلُّ مداريها وتنكسر
تدعو على شعرها لما أضرَّ بها   يا ليته كان [فيه] الجَعْدُ والقِصَرُ

وقال :

رحلتُ وخلّيْتُ الفؤادَ لديكمُ   رهيناً وإن لم تَخْلُ منه الأضالعُ
فان أنتمُ ضيعتموه أسأتمُ   ومالحقُّ إلا أن تصانَ الودائع

١ ترسب لمدارك · مضاعا بين أظهرهم
٢ ص [illegible]

وقال :

أطال بينَ الديارِ ترحالي قصورُ مالي وضعفُ آمالي
إن بُرْتُ في بلدة مشيتُ إلى أخرى فما تستقلُّ أجمالي
كأنني فكرة الموسوسِ ما تبقى مدى ساعةٍ على حال

وقال يتشوق إلى بغداد[1] :

خليليَّ في بغدادَ هل أنتما ليا على العهدِ مثلي أم غدا العهدُ باليا
وهل أنا مذكورٌ بخيرٍ لديكما اذا ما جرى ذكرٌ بمن كان نائيا
وهل ذَرَفَتْ عند النوى مقلتاكما عليَّ كما أُمسي وأُصْبِحُ باكيا
وهل فيكما مَنْ إنْ تنزَّلَ منزلاً «أنيقاً وبستاناً من النَّوْرِ حاليا»
«أجدَّ لنا طيبُ المكانِ وحسنُهُ مُنىً فتمنينا فكنت الأمانيا»[2]
كما بيَ عن شوقٍ شديدٍ اليكما كأنَّ على الأحشاء منه مكاويا
على أدمعٍ منهلّةٍ فتأمّلا كتابي تبنْ آثارها في كتابيا
ولا تيأسا أن يجمعَ الله بيننا كأحسنِ ما كنّا عليه تصافيا
«فقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا»[3]
فدىً لك يا بغداد [أهلاو] منزلا ولم أرَ فيها مثلَ دجلةَ واديا
ولا مثلَ أهليها أَرَقَّ شمائلاً وأعذبَ ألفاظاً وأحلى معانيا
وكم قائلٍ لو كان ودُّكَ صادقاً لبغدادَ لم ترحلْ ، فكان جوابيا
«يقيمُ الرجالُ الأغنياءُ بأرضهمْ وترمي النوى بالمعسرين المراميا»[4]

---

١ وردت الأبيات ١٢ ـ ١٤ من هذه القصيدة في المرقبة العليا : ٤١ وترتيب المدارك : ٦٩٤

٢ يضمن ويجري بعض التحوير في قول الشاعر :

ولما نزلنا منزلا طله الندى أنيقا وبستاناً من النور حاليا
أجدّ لنا طيب المكان وحسنه .... (البيت)

٣ مضمن أيضاً من شعر المجنون .

٤ الأبيات الثلاثة الاخيرة مضمنة من شعر إياس ابن القائف (الحماسية رقم : ٤٠٦ في شرح المرزوقي) وإن لم يرد البيت الأوسط في الحماسية المذكورة .

«ومـا هجـروا أوطانهُـمْ عن ملالةٍ		ولـكن حذاراً من شمات الأعاديا»
«إذا زرتُ أرضـاً بعـد طولِ اجتنابها		فقـدت حبيبـي والـديارُ كما هيا»

وقـال :/[١٥٠]

ومـاذا عليكم لو مَنَنْتُـمْ بزورةٍ		فأجزلتـمُ فيهـا علينـا التفضّلا
فان لم تكونـوا مثلَنَـا في اشتياقنا		فكونـوا أناسـاً يعرفـون التجملا

وقـال[١]:

هبني أسأتُ كما زعمتَ فأينَ عاقبةُ الأُخُوَّهْ
ولئن أسأتَ كما أسأتُ فأين فَضْلُكَ والمروّه

وقـال :

ولما حدا الحـادي بِعِيسِ أحِبَّتي		ونـادى غرابُ البـينِ بالبـينِ يهتفُ
بكيتُ دمـاً حتـى لقـد قال قائلٌ		تَرى ذا الفتى من جَفْنِ عينيه يُرْعَفُ

وقـال :

قلـتُ لهـا يومـاً وأبصـرتُهـا		بسباسَـةً في كَنِّهـا نرجسُ
ما أقبـحَ الصـدَّ فقالت:بلى،		أقبـحُ منـه عاشـقٌ مفلس

وقـال :

متى أُخْفِ الغرام يَصِفْهُ جسمي		بألسنةِ الضَّنَـى الخُرْسِ الفصاحِ
فلـو أن الثياب فُحِصْـنَ عني		خفيتُ خفـاءَ خَصرِكِ في الوشـاح

وقـال[٢] :

قطعـتُ الأَرضَ في شَهْـرَي ربيعٍ		إلـى مصـرٍ وعـدتُ إلى العراق

---

١ ورد البيتان في الصداقة والصديق : ٢٠٦ (دون نسبة)

٢ وردت في ابن خلكان : ٢٢١ وتنسب للوزير أبي القاسم المغربي في دمية القصر ١ : ٩٦

فقال ليَ الحبيبُ وقد رآني سَبُوقاً [للمضمّرةِ] العتاقِ
ركبتَ على البراقِ ؟ فقلتُ كلاً ولكنّي ركبتُ[1] على اشتياقي

فصل في ذكرِ الأديب الأريب
أبي عبد الله بن قاضي ميلة[1]

وهو ممن طرأ[2] ذكره ، وانتهى إليَّ شعره ، إذ ضرب في الأدب بأعلى قِدْح ، وافترَّ عنه على أوْضَحِ صُبْح ، وأقام دَوْحَهُ على سوقه ، وبنى المنازّل[3] على سواء طريقه ، ورأيتُ ابا علي بن رشيق قد ذكره في ما اندرج من كلامه في شعراء « الأُنْمُوذَج » ، وأعرب عن فضائله ، وأوضحَ ما لم يخفَ من دلائله[4] ، ولعلَّ بعض من يتصفح كتابي هذا يقول : إن شعراءَ الأنموذج مائة شاعر وشاعرة ، واكثرهم كان في المائة الخامسة من الهجرة ، وتقاربت موالدُهُمْ ، وتشابهتْ مصادرهم ومواردهم ، أفَلا ذّكَرَهُمْ عن آخرهم ، وماله اقتصرَ على بعضهم دون سائرهم ؟! فبعضُ الجواب أني كثرت بهذا الكتاب عَدَدي، وجرَّدته في محاسنِ أهل بلدي ، ثم عرضتُ بعد معارضته أبا منصور ، بذكرِ مَنْ هنالك من شاعرٍ مشهور ، واجتلابِ ما يتعلق بذلك من خبرٍ مأثور ، فأشَرْتُ إلى ذكرِ من كان في هذا الوقت المؤرّخ ممن طال[5] طَلَقه ، وأشرق أفقه .

---

١ سمّاه ابن خلكان (٦ : ١٥٩) عبد الله بن محمد التنوخي وكنيته أبو محمد ؛ وفي أحد أصول ابن خلكان « ابو عبد الله محمد بن محمد » ؛ وقد ترجم له في المسالك ١١ : ٣٠٤ (وفيه نقل عن الذخيرة والانموذج) ومرَّ ذكره في كتاب التعريف بالقاضي عياض : ٧٢ ؛ وميلة التي ينتسب اليها تقع في الجزائر .

٢ المسالك : طار .

٣ المسالك : وابتنى منازله .

٤ قال فيه ابن رشيق (كما نقل العمري) : هو شاعر لسن مقتدر يؤثر الاستعارة ، ويكثر الزجر والعيافة ويسلك طريق ابن أبي ربيعة وأصحابه في نظم الأقوال والحكايات (واستشهد على ذلك بفائيته) .

٥ ص : كان .

ولأبي عبد الله أشعارٌ شاردة سارتْ على ألسنةِ الأنام ، وكُتبتْ في جبهات[1] الأيامِ ، غير أنه لم يقعْ إليَّ منها عند تحرير هذه النسخة إلا ما أثبتّ . فمن ذلك ما حدَّثَ به أبو محمد بن خليفةَ المصريّ[2] قال : لما وليَ ابنُ البواب وزارة المعزِّ بن باديس سأله أبو عبد الله أمراً كلفه ، فمطله فيه حتى صرفه ، فكتب إليه[3] :

أقولُ له إذ طَيَّشَتْهُ رياسةٌ ... أتتْ غفلةً مهلاً فقد غَلِطَ الدهرُ
ترفَّقْ يراجعْ فيك دهرُكَ عَقْلَهُ ... فما سُدْتَ إلا والزمانُ به سكر
فما برحتْ أيامُهُ أن تصرَّمَتْ ... وما عندنا شكرٌ ولا عنده عذر

وأنشد أيضاً له المصري المذكور[4] :

جاءت بعودٍ تناغيه فيتبعها[5] ... فانظرْ بدائعَ ما يأتي به الشجرُ
غنَّى على عودها الأطيارُ مفصحةً ... رطباً فلما عسا[6] غنَّى به البشَر
فما يزالُ عليه أو به طربٌ[7] ... يهيجُهُ الأعجمانِ الطيرُ والوتر

قال ابن بسام : وهذا في ما وصف ، كقول ابن شرف[8] :

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذي ... زكت منه أغصانٌ وطابتْ مغارسُ
تغنَّى عليه الطيرُ والعودُ أخضرُ ... وغنَّى عليه الناسُ والعودُ يابس

١ المسالك : جبهة .
٢ وردت ترجمته في الأول من القسم الرابع : ٣٤٢.
٣ المسالك : ٣٠٤
٤ وردت الأبيات أيضاً في الأول من القسم الرابع : ٣٥٦ وقد خرجتها هنالك .
٥ ابن خلكان : ويسعدها
٦ ابن خلكان : غنت عليه ضروب الطير ساجعة ، حباً فلما ذوى .
٧ ابن خلكان : فلا يزال عليه الدهر مصطخب .
٨ ورد بيتا ابن شرف عند ابن خلكان (٥ : ٣٤٨) برواية أخرى ، وانظر الشريشي ٣ : ٢٠٥

وأنشد أيضاً له المصري [1] :

أشـــقـــى لجـدِّكَ أن تكـونَ أديبا ... أو أن يرى فيك الـورى تهذيبا
إنْ كنـتَ مستـوياً ففعلُـكَ كُلُّـهُ ... عِوَجٌ وإن أَخْـطـأتَ كنـتَ مصيبا
كالنقـشِ ليس يَصِحُّ معنـى خَتْمِهِ ... حتـى يكـونَ بنـاؤُهُ مقـلوبا

وأنشد له أيضاً[2] :

لـدنيـاك نـورٌ ولكنّـه ... ظـلامٌ يحـارُ بـه المبصـرُ
فـان عشـتَ فيهـا علـى أنها ... كمـا قيـلَ قنطـرةٌ تُعْبَـر
فـلا تعمـرنَّ بهـا منـزلاً ... فـان الخـرابَ لمـا تعمـر
ولا تـذخرنَّ خـلافَ التقـى ... فيفنَـى ويبقـى الـذي تذخـر
وظـنَّ أنـاسٌ بأن قد سَمَوْا ... فقـالـوا علـونا ولـم يشعروا
كذا البحـرُ يطفـو عليه القذى ... ويـرسـبُ في قعـره الجوهـر

وكان لابن قاضي ميلة صديقان فتقاطعا وندما ، واتفق أنْ بَنَى أحدهما منزلاً ، فقيل لصاحبه : لستَ تجدُ وقتاً لمراجعةِ صديقك أَحْسَنَ من تهنئتك له بهذه الدارِ الجديدة ، فركب إليه وهنأه ، وكان على صاحبِ المنزل قَبَاءُ ديبـاجٍ فيه صُوَرُ طواويسَ ، فكرَّر بصرَهُ فيهـا ذلك القاصـدُ ، فقـال له صاحبـه : أتعجبُـكَ هذه/[١٥١] الصُّوَرُ ؟ قال : أَجَلْ ، فوهب الثوبَ له صاحبُ المنـزل ، فقـال له القاصدُ : وأنا عندي طواويسُ حيّةٌ تصلحُ لهذه الدار ، فلبَّسَ صاحبُ المنزل القباءَ غلاماً وسيماً له اسمُهُ نحرير ، كان صديقه يهواه ، وأهـداهُ إليه ، وأخـذ صديقُـه الطواويسَ وأهداها مع غلامٍ له اسمه بديعٌ كان صاحبُ المنزلِ أيضاً يكلفُ به ،

---

١ الثاني والثالث في المسالك : ٣٠٤ ووردت لابن رشيق في ديوانه : ٣٧ وانظر الذخيرة ١ : ٤٤٨ والغيث ٢ : ١١٤ والشريشي ٥ : ١٢٧
٢ الشريشي ٣ : ١٠١ (أربعة أبيات)

فبلغ ذلك الاكحلَ تأييدَ الدولة[1] صاحبَ صقيلية[2] ، فأمر الشعراءَ بصفةِ ذلك ، فمن شعر ابن قاضي ميلة فيهما هنالك ، من جملةِ قصيدة :

وللـــهِ يومُـــكُماَ إذْ أتــاكَ . مبتهجـــاً بتمـــامِ البنـــاءِ
فأنفـذَ فـي حضـنِ نحـريـره طـواويـسَ مـوشيّة في قباء
فما جنَّـك الليلُ حتـى بعثتَ بـديعاً بكـلِّ بديع المكاء
بأحسـنِ مُتَّخَـذٍ في البيـوتِ وأَطـرفِ مكتَسـبٍ في القباء
تقـابلتمـا لاختـلافِ الصفـاتِ ولـولاهمـا لاختـلافِ الهـواء
ويعلـي الـذُّنـابـى مـدلاً بها على رأسـهِ كانتصـاب اللـواء
فتلحـظ مـرأىً يروقُ العيونَ ويقضـي لـواصـفـه بالغنـاء
هـدايـا أقمتـمْ لايصـالهـا ظبـاءً تجـرُّ ذيـولَ البهـاء
ومـا عاينَ النـاسُ من قبـل ذا طواويسَ [فـوق] أكفِّ الظباء

ومنها :

وعـايـنَ رِجْلَيْـهِ فـي معزلٍ من الحسـنِ حلَّ عقـودَ البكـاء
فيهـــدمُ جلوتـه بعـدما أقـام لهـا محـكمـاتِ البنـاء
ومـن سامَ بالنفسِ عينَ التمام نازعـه النقـصُ حظَّ النمـاء
فيا قَمَـرَيْ سـؤددٍ قابـلا وجـوهَ السَّنـا بـوجـوه السناء
إذا الـدهـرُ رفَّـع قدريكمـا فقـد سرْبِـلَ الـدهـرُ ثوبَ العـلاء

ومن شعره[3] :

قالـت الحسنـاءُ لما أن رأتْ أدمعـي ترفـضُّ في ما ابتدرا
ليس هـذا الـدمـعُ ما خُبّرته أنـا من يهـدي إليـك الخبرا

١ أحد امراء صقلية من بني أبي الحسين الكلبيين ؛ انظر دوره في حكم الجزيرة في « العرب في صقلية»: ٤٧ ـ ٤٨ وصفحات متفرقة من المكتبة الصقلية .

٢ هذا وجه من الوجوه التي يكتب بها هذا الاسم .

٣ وردت ما عدا الثاني في المسالك : ٣٠٥

رقَّ في خدّيَّ من ماء الصبا — رونــقٌ يُعْشي سنـــاه البصرا
تأخـذُ الالحـــاظ منـه ريهـا — فـاذا جـاز التنــاهـي قصـرا

وله من قصيد فريد يقول فيه[1] :

ولما التقينـــا محُرمــينَ وسيرنا — بلبيك يُطْـوَى والركائــبُ تعسفُ
نظــرتُ اليهـــا والمطـايـا كأنهـــا — غــواربهـا منهـــا معـــاطسُ رُعَّف
وقالــت أمـا منـكنَّ من يعـرفُ الفتى — فقــد رابنــي من طول ما يتشوّف
أراه إذا سرنـــا يســـير أمامنا — ونــوقفُ أخفـــافَ المطـــايا فيوقف
فقلـــتُ لتربيهـــا أبلغـــاهـا بأنني — بهـــا مستهـــامٌ قالتــا : نتلطف
وقــولا لهـــا يا أمَّ عمـــروٍ أليس ذا — منــىً والمنـــى في خَيْفِـــهِ ليس تخلف
تفاءلـتُ في أن تبــذلي طارف الهوى — بأن عنَّ لي منهـــا البنـــانُ المطرف
وأمـــا دمـــاءُ الهـــدي فهـــو تواصلٌ — يدوم ورأيٌ في الهـــوى يتألف
وفي عرفـاتٍ ما يخبّــرُ أنني — بعارفـــةٍ من نيل وصـــلك أسعف
وتقبيلُ ركنِ البيتِ إقبـــالُ دولةٍ — لنـــا وزمـــانٌ بالمـودّةِ يعطف
فأبلغنهـــا ما قلتُـهُ فتبسمـــتْ — وقالـــت أحـــاديثُ العيافـــة زخرف
بعيشي ألـــم أخبـــركما أنـــه امرؤ — على لفـــظـهِ بُرْدُ الـــكلام المفوف
فلا تأمنـــا ما اسطعتمـــا كيدَ نُطْقِهِ — وقـــولا ستـــدري أينـــا اليوم أعيف
لئن كنت ترجو في منى الفـــوزَ بالمُنَى — فبـــالخيفِ من إعراضنـــا تتخوف
وقـــد أنـــذر الإحـــرامُ أن وصالنا — حرامٌ وأنـــا عن مزارِكَ نصدف
فهـــذا وقـــذفي بالحصى لك منذر — بأن النـــوى بي عن ديارك تقذف
فبـــادر[2] نفـــاري ليلـــةَ النفـــرِ إنه — سريعٌ وقـل من [في] العيافـــة أعرف

---

[1] اورد ابن خلكان ٦ : ١٥٩ هذه القصيدة كاملة ومنها ثلاثة عشر بيتاً في المسالك ، وسبعة عشر في رفع الحجب ٢ : ٤٨ وأحد عشر بيتاً في الشريشي ٤ : ٢٦١ وفي الرواية اختلافات يسيرة لا داعي لاثباتها .
[2] المسالك وابن خلكان : فحاذر .

ومن مليح الزجر وغريب الفأل قول أبي حيَّة[١] :

جرى يومَ رحنا عامدين لأرضها ... سنيحٌ فقال القومُ مرَّ سنيحُ
فهابَ رجالٌ منهمُ فتعنّفوا ... فقلتُ لهم : جارٌ إليَّ ربيح
عقابٌ بأعقابٍ من الدار [بعد] ما ... نأتْ نيةٌ بالظاعنين طروح
وقالوا حماماتٌ فَحُمَّ لقاؤُها ... وطلحٌ فَزِيَرتْ والمطِيُّ طليح
وقال صحابيْ هدهدٌ فوقَ بانةٍ ... هدىً وبيانٌ بالنجاح يلوح
وقالوا دمٌ دامتْ مواثيقُ بيننا ... ودام لنا حلوُ الصفاءِ صريح
لَعَيْناكَ يومَ البين أسْرَعُ واكفاً ... من الفَنَنِ المطورِ وهو مَرُوحُ

وقال ذو الرمة[٢] :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوق قضبةٍ ... من القضب لم ينبتْ لها ورقٌ خُضْرُ
فقلت غرابٌ لاغترابٍ وقضبة ... لقضبِ النوى هذي العيافةُ والزجر

وقال آخر[٣] :

دعا صُرَدٌ يوماً على غُصُنِ بانةٍ ... وصاح بذاتِ البين منها غرابها
فقلت أتصريدٌ وشحطٌ وغربةٌ ... فهذا لعمري نأيها واغترابها

ومن قصيدة جحدر[٤] :

وممّا هاجني فازددتُ شوقاً ... بكاءُ حمامتين تجَاوبانِ/[١٥٢]

---

١ هو أبو حية النميري ، انظر شعره في الأمالي ١ : ٦٩ (وقارن بشرح الامالي : ٢٤٣) وزهر الآداب : ٤٧٧ ورفع الحجب ٢ : ٤٨ ومنها أبيات في الشريشي ٤ : ٢٦١ وديوان أبي حية (المورد : ١٩٧٥ ، العدد الأول : ١٣٧)

٢ زهر الآداب : ٤٧٨ ونقل المبرد ان الرواة لم يرووها في ديوانه ، وانظر ديوانه : ٦٦٧ (مكارتني) ورفع الحجب ٢ : ٤٨ والشريشي ٤ : ٢٦٠ (لجران العود)

٣ زهر الآداب : ٤٧٨

٤ وردت الأبيات الثلاثة الأولى من قصيدة جحدر في رفع الحجب ٢ : ٤٨ والقصيدة في معجم البلدان (حجر) ، والنسخة الاستانبولية من منتهى الطلب وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٦، والخزانة ٤ : ٤٨٣ ورفع الحجب ١ : ٥٠

تجاوبتا بلحنٍ أعجميٌ على عودين من غَرَبٍ وبان
فكان البانُ أن بانتْ سُلَيمى وفي الغَرَبِ اغترابٌ غيرُ دانِ

وفي هذه القصيدة يقول :

فيا أخويَّ من كعبِ بن عمروٍ أَقِلاً اليومَ إن لم تسعداني
يحاذرُ سطوةَ الحجاجِ ظلماً وما الحجاجُ ظلاّمٌ لجانِ

وكان من آخرِ خبرهِ معه أنَّ الحجاجَ جوّع له أسداً ثم سلَّطَهُ عليه ، فبادر جحدرٌ إليه وقتل الأسدَ ، فعفا عنه الحجاج لما رأى من جرأته ، واتخذه من صحابته .

وحكى المدائني قال[1] : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ، فلما قرب منها رأى غراباً على شجرة ينتف ريشه ، فتطير من ذلك ومضى لوجهه ، فلقيه رجل من بني لهب فقال : يا أخا الحجاز ، مالك كاسف اللون ، هل رأيت شيئاً أنكرته ؟ قال : أجل ، غراب على بانة ينتف ريشه وينعب ، قال : إنك تطلب حاجة لا تدركها ، فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة ، فقال :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانةٍ ينتّفُ أعلى ريشهِ ويطايرهْ
فقلتُ ولو أني أشاءُ زجرته بنفسيَ للنهديّ هل أنت زاجره
فقال غرابٌ لاغترابٍ من النوى وفي البان بينٌ من حبيب تجاوره
فما أعيفَ النهديَّ لا درَّ درّه وأزجره [للطير] لا عزّ ناصره

ومن مليح الزجر[2] قولُ أبي نواس وقد اجتمع إخوانه واختفوا عنه ، ووجهوا

١ متابع لزهر الآداب : ٤٧٩ ـ ٤٨٠ وانظر عيون الاخبار : ١٤٧ وديوان كثير : ٤٦١ ـ ٤٦٢ وفيه تخريج الأبيات ، ويضاف إليه ربيع الأبرار : ٢٩٦/أ والبيت الأول في اللسان (تشش) وشرح النهج ٤ : ٤٣٣ (ط. ١٣٢٩) والشريشي ٤ : ٢٦٠

٢ بايجاز عن زهر الآداب : ٤٩٢ وانظر الشريشي ٤ : ٢٦٠

رسولاً إليه بظهرِ قرطاسٍ أبيضَ لم يكتبوا فيه شيئاً ، وخزموه بزير وختموه بقارٍ ، ورمى بالكتاب من وراء الباب ، فاستعلم موضعهم وأنشدهم :

زجرتُ كتابكم لما أتاني يمرُّ بسانح الطير الجواري
نظرتُ إليه مخزوماً بزيرٍ[1] على ظَهْرٍ ومختوماً بقار
فقلتُ الزيرُ ملهيةٌ ولهوٌ وخلتُ القارَ من دنٍّ العقار
وخلتُ الظهرَ أهيفَ قرطقياً يجرّ[2] العقلَ منه باحورار
فَهِمْتُ إليكمُ طرباً وشوقاً فما أخطأتُ داركمُ بدارِ[3]
فكيف ترونني وترونَ زجري ألستُ من الفلاسفةِ الكبار

ومن أبدع ما لأبي عبد الله وأغربه ، وأحلى الكلام واوطئه قولُهُ من كلمةٍ ، يعني السيفَ ، وقد رويت لغيره[4] :

حيث التقى أسَدُ العرينِ وشادنٌ[5] تحت اللحاف وصارمٌ وسوارُ
قالت أرى بيني وبينك ثالثاً ولقد عهدتك بالدخيل تغار
أأمِنْتَ نَشْرَ حديثنا فأجَبْتُها هذا الذي تُطْوَى به الأسرار

وقوله أيضاً[6] :

وتعجبني الغصونُ إذا تثنّتْ ولا سِيَما وفيهنّ الثمارُ
اذا اهتزت[7] نهودٌ في قدودٍ فقلْ للحلمِ قد ذهب الوقار

١ الزير : الكتان (وهو ايضاً أحد أوتار العود)
٢ زهر الآداب : يجيل ؛ الشريشي : يحار .
٣ الشريشي :
فطرت اليكم يا أهل ودي بقلب من هواكم مستطار
٤ المسالك : ٣٠٥ والشريشي ٤ : ٣١
٥ الشريشي : وظبية
٦ ورد البيتان في المسالك : ٣٠٥
٧ المسالك : هزت .

فصل في ذكر أبي الحسن علي بن محمد التهامي
واثبات جملة من شعره[1]

كان مشتهر الاحسان ، ذربَ اللسان ، مخلًّى بينه وبين ضروب البيان ، يدل شعره [على] فَوْزِ القِدْح ، دلالة برد النسيم على الصبح ، ويُعْرِبُ عن مكانه من العلوم ، إعراب الدمع[2] عن سرِّ الهوى المكتوم .

جملة من شعره في أوصاف شتى
المدح وما يتصل به من النسيب

له من قصيدة أولها[3] :

فـؤادي الفـداءُ لهـا من قُبَـبْ طوافٍ على الآلِ مثـلَ الحبـبْ

يقول فيها :

كأنَّ [على] الجـوِّ فضفاضةً مسـامـيرهـا فضّـةٌ أو ذهب
كـأن كـواكـبَـهُ أعيـنٌ تُـراعـي سنـا الفجـر أو ترتقب
فلمـا بـدا طَفِقَـتْ هَيْبَـةً تُسَـتِّـرُ أحـداقَهـا بالهـدب
وشـقّـتْ غـلائـلَ ضوءِ الصّباحِ فـلا هُوَ بـادٍ ولا محتجب

ومنها :

أبـا قاسـمٍ حُزْتَ صَفْـوَ الكلامِ وغـادرتَ مـا بعـده للعرب
وليس كـلامُـكَ إلاّ النجـومَ علـوتَ فنـاثَـرْتَهـا من كثـب

---

١ كان على صلة بالوزير المغربي ، وله فيه مديح ، وقد استخدمه حسان بن مفرج (الذي ثار على الفاطميين بتحريض الوزير المغربي) رسولاً إلى عرب بني قرة ببرقة لتحريضهم على الثورة ، فقبض عليه في مصر وسجن ثم قتل سنة ٤١٦ ؛ ترجمته في تتمة اليتيمة ١ : ٣٧ وابن خلكان ٣ : ٣٧٨ (وهو ينقل عن الذخيرة) وعبر الذهبي ٣ : ١٢٢ والشذرات ٣ : ٢٠٤ ومرآة الجنان ٣ : ٢٩ وقد وصف ابن خلكان ديوانه بأنه صغير وأن اكثره نخب .

٢ ص : الربيع

٣ ديوان التهامي : ١٥ ـ ٢٠

رأيتَ الفصاحـةَ حيثُ النـدى وهـل ينـظـمُ الـروضَ إلا السحب
وقـد شَرُفَ الغيثُ إذ بينـه وبيـن بنـانِـكَ أدنـى نسـب

ومنها في صفة القلم :
وأرْعَـنَ أخـرسَ من كثـرة اللـغـاتِ بـأرجـائِـه واللَّجَـبْ
يـلاقـي النجـومَ بأمشـالها من البَيْـضِ من فـوقهـا واليلـب
إذا واجـه الشـمسَ ردَّ الشعاع واعتـرضَ الـريـحَ[1] سـدَّ المهب
ثنيـتَ بـأرقشَ ذي زينـةٍ[2] تُجَلَّى الخطـوبُ به والخطب/[١٥٣]
إذا مـا جعلـتَ لـه لهذمـاً من النَّفْسِ طال الـرمـاحَ السُّلُبْ
وطـالـتْ بـه مفخـراً أنهـا وإياه في الأصـلِ بعضُ القصب
تقـلِّـمُ أقـلامُـكَ الحـادثاتِ فتبـرا[3] وتهتـمُ نابَ النـوب

وله من أخرى[4] :
وكيـف لا تُـدْرِكُـهُ نشـوةٌ واللحـظُ راحٌ وجنـى الـريقِ راحْ
لـو لـم تكـن ريقتُـهُ خمـرةٌ لما تَثَنَّى عطفـه وهـو صـاح
يبسـمُ عن ذي أشَـرٍ مثلما يلتقـطُ الظبـيُ بفيـهِ الأقاح
أفلتـه منـي وقـد صدتُـهُ بـرقـدةٍ صوتُ منـادي الفـلاح
فنحـن في نـومٍ وفي يقظةٍ بيـن دنـوٍ منهـمُ وانتـزاح
ومـوقـفٍ لـولا التقـى لالتقى فيـه نجـادي ونـظـامُ الوشـاح
ومنها :
ومجهـلٍ مشـتبـهٍ طُـرْقُـهُ كأنمـا هُـنَّ خطـوطُ قُزاح

١ الديوان : وان واجه الريح .
٢ الديوان : ريقة .
٣ الديوان : قسراً .
٤ ديوان التهامي : ٢٢

وهذا تشبيه مخترع ، ومعنى مبتدع .

كـأنما أشـبـاحُ أنضائِنـا قسـيُّ نبـعٍ وكأنَّا قـداح
حتـى اجتلينـا بعـدَ طولِ السرى بغـرَّةِ الـكامـلِ وَجْـهَ الصباح
فقـال لي صحبـي أبـدرُ الـدجى[1] فقلـتُ لا بل هو بدرُ السماح
يُنْبيـكَ عن سؤدده بِشْـرُهُ مخـايـلُ السؤددِ خُـرْسٌ فصاح
واصـطلح النـاسُ على فَضلِهِ واختلفـوا بعـدُ فليس اصطلاح

ومنها :

إنْ لـمسَ الطِّـرْسَ بأطرافِهَـا فاضَ نـوالاً وبيـانـاً وسـاح
وشـقَّ من لـؤلـؤهِ أفخـر اللـؤلـؤ هـنّ الـكلمـات الفصـاح[2]

وهذه القصيدة مدح بها أبا القاسم بن المغربي المتقدم الذكر .

وله من أخرى[3] :

لو جادهـنَّ غداةَ زُمّـنَ رواحا غيثٌ كدمعـي ما أَرَدْنَ بَراحا
ماتـت لفقـدِ الظاعنـين ديارُهُمْ فكأنَّهُـمْ كانـوا بهـا أرواحا

وهذا كقول ابن الرومي وقد تقدم[4] :

فقـد أَلِفَتْـهُ النفسُ حتـى كأنَّهُ له جَسَـدٌ إن بانَ غودِرَ هالكا

متـوارثـي مرضِ الجفـونِ وإنمـا مرضُ الجفـونِ بأن يكـنَّ صحاحا
من كانَ يكلفُ بالأهلـة فليزرْ وَلَـدَيْ هـلالٍ زغبـة ورياحا
لا عيبَ فيهـم غـيرُ شحِّ نسائِهِمْ ومـن السماحـةِ أنْ يكنَّ شحاحا

١ الديوان : السها
٢ في الديوان :

وسمـت من لؤلؤه أبحـرا لؤلؤ هن الكلمات الفصاح

٣ ديوان التهامي : ١٠
٤ لم يرد البيت نفسه فيما تقدم ، وإنما ورد بيتان آخران من قصيدة ابن الرومي هذه في ١ : ٢٠٨

طَرَقَتْهُ في أترابِها فَجَلَتْ له　　وهناً من الغُرَرِ الصِّباحِ صَباحا
أبرزنَ من تلك العيونِ أسِنَّةً　　وهززنَ من تلك القدودِ رماحا

ومنها في المدح :

يرمي الكتيبةَ بالكتابِ إليهمُ　　فيرونَ أحرفَهُ الخميسَ كفاحا
من نِقْسِهِ دُهْماً ومن مياته　　زُرْداً ومن أَلِفاتِهِ أرماحا
ساستْ أقاليمَ الورى أقلامُهُ　　فأجمَّ أطرافَ القنا وأراحا

وله من أخرى[1] :

بعثتْ إليكَ بطيفها تعليلا　　وخضابُ ليلِكَ قد أراد نصولا
فأتاك وَهْناً والظلامُ كأنّه　　نَظَمَ النجومَ لرأسِهِ إكليلا
وإذا تأملتَ الكواكبَ خِلْتَها　　زَهَراً تفتّحَ أو عيوناً حولا
أهدتْ لنا من خدّها وَرُضَابها　　[ورداً] تحيينا به وشمولا
ورداً إذا ما شُمَّ زاد غَضاضةً　　ولو أنه كالوردِ زاد ذبولا
وَجَلَتْ لنا بَرَداً يُشَهّي بَرْدُهُ　　نفسَ الحصور العابدِ التقبيلا
برداً يذيبُ ولا يذوبُ فكلّما　　شربَ المتيمُ منه زاد غليلا

وهذه كقول ابن الرومي ، وقد تقدم[2] :

ريقٌ إذا ما ازددتُ من شُرْبِهِ　　رِيّاً ثناني الريُّ ظمآنا

ومنها في ذكر القلم :

يلقى العدا من كُتْبِهِ بكتائبٍ　　يَجْرُرْنَ من زَرَدِ الحروبِ ذيولا
فترى الصحيفةَ حَلْبَةً وجيادَها　　أقلامَهُ وصريرَهُنَّ صهيلا
في كفّه قلمٌ أتمُّ من القنا　　طَوْلا وهنَّ أتمُّ منه طُولا

---

١ ديوان التهامي : ٢٩
٢ الذخيرة ١ : ٣٦٣

قلـــم يقلّـــم ظُفْــرَ كلِّ مُلِمَّةٍ   ويـردُّ حدَّ شَبَــاتهـا مفلـولا

ومنها :

يـدعــو النبــيَّ من الجــدودِ وحيدراً   ومــن العمومــةِ جعفـراً وعقيلا
نســبٌ ترى عنـوانَـهُ في وجهـه   لا شبهــةً فيه ولا تأويـلا

ومن أخرى[1] :

وأراد الخيالُ لثمــي فصيّــــــرْتُ لثامــي دون المراشفِ سترا
اصرفي الـكأسَ من رضابـك عني   حـاشَ للــه أن أُرَشَّفَ خمرا
ولــو آن الرضــابَ غــيرُ مدامٍ   لم تكوني في حالـة الصحـو سكرى

[ومنها في ذكر القلم] :

وإذا راش بالأنـامـلِ منه   قلمــاً واستمــدَّ ساءَ وسرَّا
قلمـاً دبَّـرَ الأقـاليـمَ حتى   قال فيـه أهــلُ التناســخ إمْرا
يتبـعُ الـرمحُ أمـرَهُ إنَّ عشريــــــن ذراعــاً بالـرأي تخـدمُ شبرا

ومن شعره مما يتعلق بأوصافِ طيفِ الخيال ، وله أغراضٌ غريبة ، وألفـاظ عجيبة ، قال[2] :

عَبَسْنَ من شَعَـرٍ في الـرأسِ مبتسمٍ   ما نَفَّرَ البيضَ مثلُ البيضِ في اللممِ
فقبلتنـــيَ تــوديعــاً فقلــتُ لها   كفّي فليس ارتشافُ الخمر من شيمي /[١٥٤]
لو لم يكن ريقُهـا خمــراً لما انتطقتْ   بلؤلــؤٍ من حبــاب الثغــرِ منتظم
ولــو تيقَّنْــتُ غــيرَ الــراح في فمها   ما كنــتُ ممــن يصــد اللثــم باللثم
وزاد ريقَتَهــا برداً تحدُّرُهَا   على حصى بَرَدٍ مِنْ ثغرهــا شبم

[1] ديوان التهامي : ٣٦

[2] ديوانه : ٦ وهي في مدح الأمير نصر الدولة بن مروان الكردي .

ومعنى البيت الثاني من هذه كقول أبي الحسن الرضيّ[1] :

وقبلته فوق اللثام فقال لي هيَ الخمر إلا أنها بفدام

وتشبيه أرياق الملاح بالراح أكثر من أن يحصى ، وأشهر من أن يتقصَّى ، ولكن التهامي ولَّد معنىً حسناً ، وجرَّ هاهنا للبلاغة رسناً ، بقوله : « لو لم يكن ريقها خمراً .. » البيت .

وفيها يقول :

إني لأطْرِفُ طرفي عن محاسنها تكرُّماً وأكفُّ الكفَّ عن أمم
ولا أهمّ ولي نفسٌ تنازعني أستغفرُ الله إلا ساعةَ الحلم

ومعنى هذا البيت حسن ، ولكن أبا الطيب كان أملكَ لشهوته ، وأعفَّ في حينِ خَلْوتِهِ ، حيث يقول[2] :

يردّ يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

ألا تسمعُ كيف عفَّ في الكرى ، وأتى من حُسْنِ اللفظ وبراعة القسمة بما ترى ؟ وقد أثبت في أخبار ابن الأبار[3] ، في هذاالمعنى عدة أشعار .

وقال التهامي[4] :

أهدى لنا طيفُها نجداً وساكنهُ حتى اقتنصنا ظباءَ البدوِ والحضرِ
فباتَ يجلو لنا من وجهها قمراً من البراقع لولا كُلْفَةُ القمر
وراعها حَرُّ أنفاسي فقلتُ لها هوايَ نارٌ وأنفاسي من الشرر
وزاد دُرَّ الثنايا دُرُّ أدْمُعِها فالتفَّ منتظمٌ منه بمنتثر
فما نكرنا من الطيفِ الملمِّ بنا ممن هويناه إلا قلةَ الخفر

١ لم أجده في ديوان الرضي .
٢ ديوان المتنبي : ٣١٠ والذخيرة ٢ : ١٤٠
٣ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ١٣٥ ـ ١٤٤
٤ ديوان التهامي : ٤١ .

فسرتُ أعثــرُ في ذيلِ الدّجَـى ولهاً ... والجـوُّ روضٌ وَزُهْـرُ الليل كالزَّهَرِ
وللمجـرّةِ فوق الأرضِ مُعْتَرَضٌ ... كأنهـا حَبَـبٌ تطفـو على نهرِ
وللثـريا رقـودٌ فوق أرْحُلنا ... كأنهـا قطعـةٌ من فروة النمر
كأنَّ أَنْجُمَـهُ والصبـحُ يُغمضهـا ... قسراً عيونٌ غَفَـتْ من شدَّة السهر
فروَّعَ السّربَ لما ابتـلَّ أكرعه ... في جدولٍ من خليج الفجـر منفجر
ولـو قَدَرْنَ وثـوبُ الليلِ منخرِقٌ ... بالصبـحِ رقَّعْنَـهُ منهـنَّ بالشعر

ومنها :

لو لم يكن أقحوانـاً ثغـرُ مبسمها ... ما كان يزدادُ طيبـاً ساعـةَ السحر
يا رُبَّ معنـىً بعيدِ الشـأوِ أسلكُهُ ... في سِلْكِ لفـظٍ قريبِ الفهـم مختصر
لفظـاً يكونُ لعقـد القـولِ واسطةً ... ما بـين منزلـةِ الإسهـاب والحصر
إن الكتابـةَ سارتْ نحـو أنمُلِهِ ... والجـودَ فالتقيا فيه على قدر
تردّ اقـلامُـهُ الأرمـاحَ صاغرةً ... عكساً كعكسِ شعاعِ الشمس للبصر
وفي كتابـك فاعـذر مَنْ يهيمُ به ... من المحاسـنِ ما في أحسـن الصور
الطـرسُ كالوجـه والنونـاتُ دائرةٌ ... مثـلُ الحواجـبِ والسينـات كالطُّرَرِ

وله من أخرى[1] :

قولا له هل دار في حَوْبائِهِ ... أن القلـوبَ تحـومُ حولَ خبائِهِ
ريمٌ إذا رفـع الستائـرَ بيننا ... أعشانـي الـلألاءُ قبـل[2] روائه
نمَّ الضياءُ عليه في غَسَـقِ الدجى ... حتـى كأنَّ الحسـنَ من رقبائه
أهـدى لنـا في النـوم نجـداً كلَّهُ ... ببـدوره وغصـونـهِ وظبائـه
وسفـرن في جنـح الدجـى فتشابهتْ ... في الليل أنجـمُ أرضِـهِ وسمائه

١ ديوان التهامي : ٨٨ وقد مرّ منها بيتان نسبا الى القاضي عبد الوهاب المالكي (ص : ٥٢٤)
٢ الديوان : دون .

وجـلا جبينـاً واضحـاً كالبـدر في	تكـويـره وبعـاده وضيائـه
حتـى اذا حطَّ الصبـاحُ لثـامَـهُ	ومضى الظـلامُ يجـرُّ فَضْـلَ ردائه
حيَّـا بكأسٍ رضـابـه فرددتُهـا	نفسي فداءُ رضـابِهِ وإبائه
قلبـي فداؤك وهـو قلـبٌ لم تزل	تذكي شهـابَ الشـوق في أثنائه
جاوَرْتَـهُ شرَّ الجـوارِ وزرتَـهُ	لما حللـتَ فِنـاءه بِفَنـائه
حرِّق سوى قلبـي وَدَعْـهُ فانني	أخشى عليك وأنـت في سودائه

ومعنى هذا البيتِ مشهور . وقد أجرينا منه طلقاً فيما تقدم .

ومن مراثيه قصيدته التي أولها[1] :

حُكْمُ المنيَّةِ في البـرية جارِ	ما هذه الـدنيا بدارِ قـرارِ

يقول فيها :

إنِّـي وُتِـرْتُ بصـارمٍ ذي رونق	أعـددتُـه لطـلابـةِ الأوتـار
يا كوكبـاً ما كان أقصرَ عمرَهُ	وكـذاك عمـرُ كواكبِ الأسحـار
وهـلالَ أيـامٍ مضى لم يستدِرْ	بدراً ولـم يُمْهَـلْ لوقـتِ سرار
عجـل الخسـوفُ عليه قبـل أوانِهِ	فمحـاه قبـل مَظِنَّـةِ الإبـدار
واسْتُـلَّ من أترابـه وَلِـدَاتِهِ	كالمقلـة استلّـتْ من الأشفار
فكأنَّ قلبـي قبـرُهُ وكأنَّهُ	في طيّـه سرٌّ من الأسـرار
أشـكو بعـادَكَ لي وأنـت بموضعٍ	لولا الـردى لسمعـتَ فيه سراري
والشرقُ نحـو الغـربِ أقـربُ شُقّةً	من بُعْدِ تلك الخمسة الأشبار/[١٥٥]

ومنها :

قَصُرَتْ جفونـي أم تباعـدَ بينها	أم صُوِّرَتْ عينـاً بلا أشفار
لو كنـت تُمْنَـعُ خاضَ دونـكَ فتيةٌ	منـا بحـارَ عوامـلٍ وشفار

---

١ ديوانه : ٤٧

فَدَحَوا فُوَيْقَ الأَرضِ أرضاً من دمٍ ... ثم انثنوا فبنوا سماء غبار

قومٌ إذا لبسوا الدروعَ حسبتهمْ ... سُحُباً مُزَرَّرَةً على أقمار

ومن هنا أخذ ابن عبد البر الشنتريني قوله في صفة الاكواس :

كأنها وشعاعُ الشمسِ داخلها ... قُمُصٌ من الماء قد زُرَّتْ على لَهَبِ

وترى سيوفَ الدّارعين كأنّها ... خُلُجٌ تَمُدُّ بها أكفٌّ بحار

لو أشرعوا أيمانَهُمْ من طولها ... طعنوا بها عرضَ القنا الخطّار

وكأنما ملأوا عِيابَ دروعهم ... وَغُمودَ أنصُلِهِمْ سرابَ قفار

فتدرعوا بمتونِ ماءٍ جامدٍ ... وتقنَّعُوا بحبابِ ماءٍ جار

يتزيّنُ النادي بحسنِ وجوههم ... كتزينِ الهالاتِ بالأقمار

من كلِّ مَنْ جعلَ القنا[1] أنصارَهُ ... وَكَرُمْنَ فاستغنى عن الأنصار

والليث إن ساوَرْتَهُ[2] لم يعتمدْ ... إلا على الأنيابِ والأظفار

واذا هو اعتقلَ القناةَ حسبتها ... صِلاً تأبَّطَهُ هزبرٌ ضار

شاب القذالُ وكلُّ غصنٍ صائرٌ ... فينانُهُ الأحوى إلى الإزهار

وتلهُّبُ الأحشاءِ شيَّبَ مفرقي ... هذا الشعاعُ[3] شواظُ تلك النار

ومن أخرى[4] :

أبا الفضل طال الليلُ أم خانني صبري ... فَخُيِّلَ لي أنّ الكواكبَ لا تسري

يقول فيها :

ولا حُزْنَ إلاّ يومَ فارقتُ شخصَه ... ورحتُ ببعضِ النفس والبعض في القبر

وأعلمُ أن الحادثاتِ بمرصدٍ ... لتأخذَ كليّ مثلَ ما أخذت شطري

أحينَ نضا ثوبَ الطفولةِ ناسلاً ... كما نسل الريشُ اللؤامُ عن النسر

---

١ الديوان : الظبا .

٢ الديوان : بارزته .

٣ الديوان : الضياء .

٤ ديوان التهامي : ٧٧

وخلى رضـاعَ الثـدي مستبـدلاً به أفـاويقَ من درّ البلاغـة والشعر
وألقـى تميماتِ الصِّبـا وتباشرتْ حمائـلُ أغمادِ المهنّـدة البُـتْر
وقامـتْ عليه للعـلاءِ شواهدٌ كما استشهـدالعضبُ السريجـيّ بالأثر
طواه الـردى طيَّ الـرداءِ فأصبحتْ مغـانيه ما فيهـنَّ منـه سوى الذكر
وقالـوا سَيُسْـليه التـأسّي بغيره فقلتُ لهـم هل يُطْفَـأُ الجمـرُ بالجمر

ومنـها :

بضربٍ يطـيرُ البيض من حَرِّ وَقْعِهِ شَعاعـاً كما طار الشرارُ عن الجمر
ولما تُضفْ في نصرةِ اللـه طعنةً إلى ضربـة كالتبـر فوق شفـا نهر
فلا تسألونـي عنـه صبـراً فانني دفنـتُ به قلبـي وفي طيّه صبري
وإلا تكنْ قلبـي فانـكَ بَعْضُهُ قددتـكما قَدَّ الهـلال من البدر

قوله : « أحين نضا ثوب الطفولة .. » كقول المعري[1] :

تـرى أعطافَهـا ترمـي حمياً كأجنحـةِ البُـزَاةِ رَمَـتْ نُسَالا

وقوله : « كما استشهد العضب السريجي بالأثر » كقوله أيضاً[2] :

* كالسيف دلَّ على التأثيرِ بالأثَرِ *

وقوله : « كالتبر فوق شفا نهر » معناه مشهور ، إلا أنّ التهاميَّ لم يُتْهم فيه ولا أنْجدَ ، ولا اضطلع بأعباءِ ما تقلَّد ، ولا قام ولا قعد ، وأعلق منه بنسبه الذي يقول :

* عليهنَّ من وَقْعِ السيوفِ حواجبُ *

وقـال آخر :

* فنضربهم شَكْلاً ونطعنهمْ نَقْطا *

١ شروح السقط : ٤٧

٢ شروح السقط : ١٣٩ وصدر البيت : يبين بالبشر عن إحسان مصطنع .

وقال آخر ، وان كان في اللفظ [ ] وكان بين أجزاء البيت تباعد :

طعنٌ كما فَهَقَ الغديرُ يؤمّهُ ضربٌ كحاشيةِ الرداءِ طويلُ

وهذا كثيرٌ وهو من متداولاتِ المعاني ، ومنه قول أبي العشائر الحمداني[1] :

أأخا الفوارسِ لو شهدتَ مواقفي والخيل من تحت الفوارس تَنْحِطُ
لقرأتَ منها ما تخطُّ يدُ الوغى والبيضُ تُشْكِلُ والأسِنَّةُ تنقط

وكان أبو الطيب يستحسنه له على قلة رضاه ، بقولِ سواه .

ومن سائر شعره في أوصاف مختلفة

قال من قصيدة[2] :

تحوَّلَ الدَّهْرُ أحوالي وبدَّلني داراً بدارٍ وجيراناً بجيرانِ
وربَّ أمرٍ رمتني الحادثاتُ به أرنو إليه وحالي فيه حالان
اذا نظرتُ بعين الهزلِ أضحكني وإن نظرتُ بعين الجِدِّ أبكاني
يظلها الكريمُ فلا يُسْقَى وقد ظفرتْ كفُّ اللئيم بسيحانٍ وجيحان
تأمَّلِ القَدَرَ المحتومَ وارضَ به فانما وَزَنَ الدنيا بميزان
فظلَّ يزدادُ فيها كلُّ منتقص علاً ويهبطُ منها كلُّ رجحان
كم من رجالٍ إلى الأديان قد نصبوا وربما صيدتِ الدنيا بأديان
كم عُمِّرَتْ بالخنا خالي منازلهم عمارةَ الكتبِ من فقه وقرآن
وباقلُ الخطِّ سحبانُ المقالِ فهل كباقلٍ في نثاه أو كسحبان
تراه مجفوَّ نادٍ مستضامَ يدٍ مستخبلاً وهو في أثواب لقمان/[١٥٦]
ما ذَنْبُهُ غيرُ نفسٍ لا تساعده على لباسِ رياء غير صَوّان

---

١ اليتيمة ١ : ١٠٤
٢ لم ترد في ديوان التهامي .

قوله : « ويهبط منها كلُّ رجحان » ، كقول ابن الرومي[1] :

قالت علا الناسُ إلا أنتَ قلت لها كذاك يسفلُ في الميزانِ ما رجحا

وذكرت بذكره باقلاً وسحبانَ ، قولَ أحمد بن سليمان[2] :

إذا وصف الطائيَّ بالبخل مادرٌ وعيرَّ قُسّاً بالفهاهةِ باقلُ
وقال السُّها للشمسِ أنت خفيّةٌ وقال الدجى للصبح لونُكَ حائل
فيا موت زُرْ إن الحياةَ ذميمةٌ ويا نفسُ جِدّي إن دهرَكِ هازل

وقوله : « يظلها الكريم فما يسقى .. » البيت ، معنىً قد طوي ونشر ، وعرف حتى أنكر ، ومنه قول بعض أهل عصرنا وهو الوزير أبو محمد بن عبد الغفور ، من شعر اندرج له في رسالة خاطب بها بعضَ أهلِ وقتِهِ[3] :

وأُصرَّفُ عن وِرْدٍ وقد غمر الندى[4] خفيفَ عذارٍ والهبنَّقَةَ الألحى
ومن عجبٍ أن يُقْطَعا كلَّ نُخَّةٍ[5] وأمنعَ لِلْقُرْصِ الذي قاتني ملحا

وقال التهامي[6] :

ألا قاتلَ اللهُ الحمامَ فانها بكتْ فَشَجتْ قلباً طروباً إلى هندِ
وما ذكره هنداً وقد حال دونها قنا الخطِّ أو بيضٌ رقاقٌ من الهند
وأُسدٌ على جُرْدٍ من الخيل ضُمَّر وهيهات من تحميه أُسْدٌ على جرد
وبيداء[7] تكبو دون إيرادها القطا ويوهي السرى فيها قوى الحازمِ[8] الجلد

---

[1] ديوان ابن الرومي : ٥٦٣ وقد مرَّ في القسم الأول من الذخيرة : ٣٥٠
[2] يعني أبا العلاء المعري ، انظر شروح سقط الزند : ٥٣٣ ـ ٥٣٨
[3] انظر القسم الثاني من الذخيرة : ٣٦٦
[4] في الأصل : عمر الربا .
[5] في الأصل : لجة .
[6] ديوان التهامي : ٢٠٢
[7] الديوان : ويهماء
[8] الديوان : الضيغم

مطوّحــة لولا الــدراريُّ ما درى دليلُ بهــا كيف الســبيلُ إلى الرشد[1]
سبـاريتُ ما فيهــنَّ زادُ لراكبٍ سوى ما حوتْ فيها الأداحيُّ من رُبْدِ
كيهماءَ كلفــتُ المطــيَّ اعتسافَها إلى الحَسَبِ الـزاكي إلى الــكرم العِدِّ
إلى الأسَـدِ الضرغـام في حَوْمَـةِ الوغى اذا احمـرَّ في غاب القنـا حَدَقُ الأسد
من [الأجــأيين] الــذين جيادُهُمْ بأحشــاءِ[2] من عاداهــمُ أبــداً تَرْدي
نجـومُ بنـي قحطــانَ في طَخْيَةِ الدجى إلى عَدَدٍ عِدٍّ وألسنــةٍ لُدِّ

وقــال[3] :

بــين كريــين مجلسٌ واسعْ والــودُّ حالٌ تقــرِّبُ الشاسعْ
والبيتُ إن ضاق عن ثمانيةٍ مُتَّسِــعٌ بالــودادِ للتــاسع

فصل في ذكر مهيار الديلمي[4]

وذكر جملة من شعره ، مع ما يتعلق بذكره

كان شاعرَ العراق وَقْتَهُ لا يُدَافَعُ ، ولسانَ تلكَ الآفـاقِ لا ينـازَع ، سيلٌ أصبحت منه المذانبُ تلاعا مِيثاً ، وبدرٌ تجلّتْ به الغياهب قديماً وحديثاً ، أحد من خُلِّيَ بينه وبين الميدان هنالك فَجرى وَحْدَه ، وسبق من قبله إلى غاية الاحسان فما ظَنُّكَ بمن بعده ، وقد أخرجتُ من شعره ما يعلِّلُ الرفاقَ ذكراه ، ويملأ الآفاقَ سناؤه وسناه .

١ الديوان : القصد
٢ الديوان : بأحياء .
٣ لم يرد البيتان في ديوانه .
٤ هو أبو الحسين (أو أبو الحسن) مهيار بن برزويه ، كان مجوسياً وأسلم ـ فيا يقال ـ على يد الشريف الرضي ، سنة ٣٩٤ هـ ، اقرأ ديوان شعره بجامع المنصور ببغداد ، وكانت وفاته سنة ٤٢٨ : انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٦ والمنتظم ٨ : ٩٤ ودمية القصر ١ : ٢٨٤ وابن الاثير ٩ : ٤٥٦ وابن خلكان ٥ : ٣٥٩ وعبر الذهبي ٣ : ١٦٧ وابن كثير ١٢ : ٧٦ والشذرات ٣ : ٢٤٢ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٦ . ويقع ديوانه في أربعة أجزاء (ط . دار الكتب المصرية : ١٩٢٥ ـ ١٩٣١) .

جملة من شعره في اوصاف مختلفة

قال من قصيدة[١] :

مَنْ عذيري يومَ شرقـيِّ الحمى ... من هوىً جـدَّ بقلـبٍ[٢] مزحا
نظـرة عارت فعـادتْ حسرةً ... قتـل الرامـي بهـا مَنْ جرحا
لاتَعُـدْ إن عدتَ حيّاً بعدها ... طارحـاً عينيك فيهـا[٣] مطرحا
قد تذوقـتُ الهوى من قبلهـا ... وأرى مُعْذِبَـهُ قـد أملحـا
سلْ طريقَ العيسِ من وادي الغضا ... كيف أعْسَفْـت[٤] لنـا رأدَ الضحى
لا لشيءٍ[٥] غـير ما جيراننا ... خلفـوا نجـداً[٦] وحَلّـوا الأبطحا
يا نسيمَ الـريح من أرضِ الحمى[٧] ... شدَّ ما هجـتَ الجـوى والبرحا
يا ندامـايَ بِسَلْـعٍ هل أرى ... ذلك المَغْبَـقَ والمُصْطبحَا
اذكرونـا ذِكْرَنـا عَهْدَكُمُ ... ربَّ ذكرى قَرَّبَـتْ مَنْ نزحا
وارحمـوا[٨] صبـاً إذا غنّـى بكم ... شربَ الدمـعَ وعـاف القدحا
رجـع العـاذلُ عنّـي آيسـاً ... من فؤادي فيكمُ أن يفلحا
لو درى ، لاحَمَلَـتْ نـاجيـةٌ ... رَحْلَـهُ ، في من لحانـي مالحـا
[قـد شربـتُ الصبـرَ عنـكم مكرهاً ... وتبعـتُ السقـم فيكم مُسْمِحا][٩]
وعرفـتُ الهـمَّ من بعدكمُ ... فكأنـي مـا عرفـتُ الفرحا

١ ديوان مهيار ١ : ٢٠٢ وقد نظمها سنة ٤١٤

٢ في الأصل : بقلبي .

٣ الديوان : فينا

٤ كذلك هي في أصل الديوان ، وجعلها المحقق : « أغسقت » .

٥ الديوان : ألشيء .

٦ الديوان : نفضوا نجداً

٧ الديوان : من كاظمة .

٨ الديوان : واذكروا .

٩ زيادة من الديوان لاتصال السياق .

ما سمعتم[1] في السرّى من قبلهم   بابنِ ليلٍ ساءَهُ أن يصبحا

أراه قلب المثل : « عند الصباح يحمد القوم السرى » .

صوَّحتْ ريحانةُ العيشِ به   فمَنِ الراعي نباتاً صوَّحا
انكرتْ تبديلَ أحوالي وَمَنْ   صحبَ الدنيا على ما اقترحا
شدَّ ما منَّى غروراً نفسه   تاجرُ الآداب[2] في أن يربحا
والمنى والظنُّ بابٌ أبداً   تغلقُ الأيدي إذا ما فتحا
قد خبرتُ الناسَ خُبْري شيمي   بخلاءُ وتسمَّوا سمحا
وتولَّجتُ على أخلاقِهِم[3]   داخلاً بين عصاها واللحا
يشتهون المالَ أن يبقى لهم   فلماذا يشتهونَ المِدحَا

وهذا كقول الآخر[4] :

أبو حسنٍ يتشهى المديحَ   ويعجزُ عن صلةِ المادحِ
كبكرٍ تشهّى لذيذَ النكاح   وتفرقُ من صولةِ الناكح/[١٥٧]

رجع :

ما تبالي ما قضَتْ حاجاتها   ما دَمِي من خُفِّها أو قَرِحَا
عَوَّدَ البدْرَ وقد قابله   غرةً مات بها مستصبحا
ورآه البحرُ أوفى جمَّةً   منه بالنائلِ لما طفحا
أنتم استنزلتمُ عنها يدي   بعد ما ظُنَّ بها لن تسمحا[5]

وقال[6] :

١ الديوان : سمعنا .
٢ في الأصل : الأحباب
٣ في الأصل : أعلاقهم .
٤ الشعر في أمالي القالي ٣ : ١٢٧ وتشبيهات ابن أبي عون : ٢٩٠ ونسب فيه لابن هرمة وكذلك في المختار : ٢٩٠ وحماسة ابن الشجري : ٢٦٩ وانظر ديوان ابن هرمة (جمع المعيبد) : ٢٦٣ ـ ٢٦٤ وفيه تخريجات كثيرة .
٥ الديوان : بعدما عز بها أن أسمحا .
٦ ديوان مهيار ٣ : ٣٢٧

بكر الـوابـلُ[1] تحـدوه النُّعامَى فسقـاكِ الـريَّ يـا دارَ أُمـاما
وتمشَّـتْ فيـكِ أرواحُ الصَّبا يتـأرَّجْـنَ بأنفـاسِ الخزامى
وإذا مغنـىً خلا من زائرٍ بعـد ما فارق أو زِيـرَ لمـاما
فقضى عهـدُ[2] الهـوى أن تصبحي للمحبيـن مُنـاخـاً ومقـاما
أجتـدي المـزْنَ ومـاذا أَرَبي أن يجـودَ المزنُ أطـلالاً رماما
وقليلٌ قيلَ أن أدعـو لها لا يرانـي اللـه أستجـدي الغماما
أين سكانُـكِ لا أيـن همُ أحجـازاً يمّـوهـا أم شآما
صدعـو[3] بعـد التئـام فَقَدَتْ بهـمُ أيدي المرامـي تترامى
وتلقّـوْا كـل حيـرانَ بليـدٍ يسـألُ الجنـدلَ عنهـم والرغاما
يا لُوَاةَ الـدَّيْـنِ عن مَيْسَرَةٍ والضـنينـات ومـا كنَّ لئـاما

والمصراع الأول من هذا البيت كقول أبي الفرج الوأواء[4] :
يمـطلُ كـلُّ العبـادِ دَيْنَـهُمُ وهـو مليٌّ بذلـك الديـنِ

ومنهـا :
قد وَقَفْنَـا بعـدكمْ في ربعكم وقضينـاهُ استـلامـاً والتثـامـا
سَعِـدَ الـراكبُ تحتثُّ [به] جَسْرَةٌ تخبـطُ وهـداً وإكاما
تطأ العَسْفَ فتـدمـي خُفَّها جبهـاتُ الأرضِ شـجّـاً ولطاما
تتنَـزَّى[5] أنفـاً في خُلْقِهـا أن تطيعَ السَّـوْطَ أو ترضى الزماما

---

١ الديوان : العارض .
٢ الديوان : حفظ
٣ في الأصل : صدعت
٤ ديوان الوأواء : ٢٢١ .
٥ في الأصل : تتبرا .

وبجرعاءِ الحمى قلبي فَعُجْ بالحمى واقرأ على قلبي السلاما
وترجَّلْ فتحدَّثْ عَجَباً أنَّ قلباً سار عن جسم أقاما
قلْ لجيرانِ الغضا آهٍ على طيبِ عيشٍ بالغضا لو كان داما
نصلَ العامُ وما ننساكمُ وقصارى الوجد أن نسلخ[1] عاما
حَمِّلوا ريحَ الصَّبا نشركمُ قبل أن تحملَ شيحاً او ثماما
وابعثوا أشباحَكُمْ لي في الكرى إن أردتم[2] لجفوني أن تناما
وقف الظامي على أبوابكم أفيقضي[3] وهو لم يَقْضِ أُواما
ما يبالي من سقيتنَّ لمىً منعكنَّ الماءَ عذباً والمداما
واعجبوا من أن يرى الظَّلْمَ[4] حلالاً شاربٌ وهو يرى الخمرَ حراما
أشتكيكمْ وإلى من أشتكي شَمِلَ الداءُ فمن يُبْري[5] السقاما
أنتمُ والدهرُ سيفٌ وفمٌ لا يملّانِ ضراباً وكلاما
كلما عاتبتُ في حظّيَ دهري زادني العتبُ لجاجاً وعُراما
واذا استصحبتُ خلاً فكأني منه جردت على حتفي حساما
لمتُ أيامي على الغدر فقد زادتِ الإجرامَ حتى لا ملاما
ولزمتُ الصمتَ لا أشكوهمُ بعد أن أفنيتُ في العذل الكلاما
دفع الله وحامى عن أنا[س][6] مذ رعوني لم يضيعوا لي سواما
كان دهري هرماً قبلهمُ فأعادوه بما أبدوا غلاما[7]

١ في الأصل : يصلح .
٢ الديوان : أذنتم .
٣ في الأصل : فتقضى .
٤ في الأصل : القتل ؛ والظلم : ماء الاسنان .
٥ الديوان : أنتم الداء فمن يشفي .
٦ الديوان : رجال
٧ سقط هذا البيت من الديوان .

كفَّنـــي جودهـــمُ أن أجتدي وأبـــى عزهـــمُ لي أن أضاما

وقال من أخرى[1] :

لا عداكِ الغيثُ يا دارَ الوصالِ كل مُنْحَـــلِّ العـــرى واهـــي العَزَالِي

ومنـــها :

والغـــوانـــي آزفـــاتٌ لفمـــي ويدي مرتبـــكـــاتٌ[2] في حبالِ
كـــل هيفـــاء يمينـــي طوقهـــا فحمـــةَ الليلِ وقرطاهـــا شمالي

وقـــال[3] :

أتراهـــا يوم صَدَّت أن أراها علمـــتْ أنـــيَ من قتلى هواها
أم رَمَـــتْ جاهلـــةً ألحاظهـــا لم تميز عَمْدَهـــا[لي] من خَطَاها
سنحـــتْ بيـــن المصلىً وَمِـــنىً مَسْنَـــحَ الـــظبيةِ تستقـــري طَلاها

وقـــال[4] :

ضربـــوا بمدرجـــةِ الطـــريق قبابَهُمْ يتقارعـــون بهـــا على الضِّيفانِ
ويكاد مُـــوقِـــدُهُـــمْ يجـــودُ بنفسه حبَّ القِـــرى حطبـــاً على النيران

وقال من قصيدة أولها[5] :

دعوهـــا تَرِدْ بعـــد خمسٍ شروعا وراخـــوا عـــلائِقَهـــا والنُّسُـــوعَـــا
ولا تحبســـوا خُطْمها أنْ تطـــولَ الـــــــــحياضَ وأيـــدِيهَـــا أن تَبـــوعـــا
وقولـــوا دعـــاء لهـــا لاعُقِرْتِ ولا امتـــدَّ دهـــرُكِ إلا ربيعا

١ ديوان مهيار ٣ : ١٣٣
٢ الديوان : آذنات لفمي ... مرتسنات .
٣ ديوانه ٤ : ١٨٩
٤ ديوانه ٤ : ٥١
٥ ديوانه ٢ : ٢٢٢

فقد حَمَلَتْ ونجتْ أنفساً ... كرائمَ جُبْنَ الأماني سريعا

حَمَلْنَ نشاوى بكأس الغرامِ ... كلٌّ غدا لأخيه رضيعا

أحَبُّوا فُرادى ولكنهم ... على صيحةِ البين ماتوا جميعا

حموا راحةَ النومِ أجفانَهم ... وشدُّوا على الزفراتِ الضلوعا

وباتوا بأيديهمُ يسندون ... فوقَ الرِّحالِ جُنوباً وقوعا

وفي الركب إن وصلوا لاحقين ... عقائلُ يشْفين تلك الصدوعا

من الراقصات بِحَبٍّ القلوب ... حتى يصيرَ الحليمُ الخليعا

قصائدُ لم يَصْطَفِنَّ[1] المياهَ ... ولم يحترشنَ اليرابيعَ جوعا

اذا الحسبُ اعتزَّ من خِنْدِفٍ ... مَسَحْنَ ذوائبَهُ والفروعا/[١٥٨]

خَرَقْنَ نقوباً لنا في السجوفِ ... جعلن العيونَ عليها رقوعا

فقمتُ أناشدهنَّ العهودَ ... لو يستطعن الكلام الرجيعا

قوله : « خرقن نقوباً .. » البيت ، اهتدمه من قول العتبي[2] :

وكنَّ إذا أبصرنني أو سَمِعْنَ بي ... بَدَرْنَ فرقَّعْنَ الكوى بالمحاجرِ

وأخذ هذا المعنى أبو الشبل[3] من شعراء الدولة العباسية فقال[4] :

رأين الشيب قد ألبسني أُبَّهَةَ الكهلِ

فأعرضْنَ وقد كنَّ إذا قيل أبو الشبل

١ في الديوان : يصطبغن ، وهو خطأ ؛ واصطفان المياه : اقتسامها لشحٍّ في الماء .

٢ هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو ، شاعر بصري راوية ينسب الى جده عتبة بن أبي سفيان ، وتوفي سنة ٢٢٨ (انظر ابن خلكان ٤ : ٣٩٨ وفي الحاشية مصادر ترجمته) والبيت ورد عند ابن خلكان ٤ : ٣٩٩ ومعجم المرزباني : ٣٥٧ والأغاني ١٤ : ١٩٢

٣ أبو الشبل عاصم (أو عصيم) بن وهب له ترجمة في طبقات ابن المعتز : ٣٨٠ والأغاني ١٤ : ١٨٤ وكان حياً في أيام المتوكل ، وكان كثير الغزل ماجناً .

٤ الأبيات في الأغاني ١٤ : ١٩١

تساعَيْنَ فَرَقَّعْنَ السكُوى بالأعينِ النُّجْلِ

ومن أناشيد المبرد[1] :

سَدَدْنَ خِصَاصَ البيتِ حين دَخَلْنَهُ بكلٍّ [لبانٍ] واضحٍ وجبينِ

وقال مهيار[2] :

لعلَّهمْ لو وقفوا أَبَلَّ هذا المدنفُ
يا قلبُ هل أنتَ معي[3] أم معهم مُنْصَرِفُ
يا حاديَ الأظعان أرْ وِدْ[4]، بعضَ ما تعتسف
فان [فيا] بينها[5] أفئدةً تختطف
على النقا المطلول منها غُصُنٌ مهفهف
إيهٍ على ريحانه لو كان مما يقطف
فلا برا وجدي بهم ولا أفاق الشغف[6]

وقال من أخرى[7] :

مشتبهٌ أعرِفُهُ وإنما مغالطاً قلتُ لصحبي : دارُ مَنْ
يا صاحبي عوناً وإن أيأسني من جَلَدي[8] قولي لخوّارٍ : أعِنْ
قفْ باكياً فيها فان كنتَ أخي مؤاتساً[9] فبكّها عنكَ وعن
يا زمناً مرَّ كما اقترحتُهُ بالنَّعْفِ إن عاد الصبا فَعُدْ إذن

---

١ الكامل ٢ : ٢٨٤ وروايته : سددن خصاص الخيم لما دخلنه .
٢ ديوان مهيار ٢ : ٢٨١ .
٣ الديوان : هل أنت يا قلب معي .
٤ أرود : تمهل ، وفي الأصل أزور .
٥ الديوان : فان بين سوتها .
٦ لم يرد هذا البيت في الديوان .
٧ ديوان مهيار ٤ : ٤٧
٨ الديوان : وإن اشفني مع جلدي .
٩ الديوان : أخاً مؤاسياً .

وحـــاملي على السرورِ حاملٌ في كفّــه وطرفــه سيفَ الفتن
قد كتــب الهجــرُ على عارضه ما أقبــحَ الهجــرانَ بالوجــه الحسن
يديرُ ممــا اختــار عسجديَّةً ما قُلْقِلَــتْ[1] عن مثلهــا هامــةُ دن

وقال يمدح الوزير ابن المغربي من قصيدة[2] :

وقفنــا وأتعب ليَّ الرقـابِ بِسِـقْطِ الغضـا[3] طَلَلٌ يمثُلُ
وفي الــركبِ من ثُعَــلٍ من يَدِقُّ إلا على سَهْمِهِ المقتـل
أوانسُ ماتــت لهــنَّ الذحولُ وحُلِّـمَ فيهــنَّ مَنْ يجهل[4]
محسّدة العــين شُهْـلُ اللحاظِ يصبغهـــا مِيلُهَـا الأكحـل
مهــاوي قلائــدهـا إن هويـنَ بطـاءً علــى غُـرَرٍ تنزل
أحقـاً تقنَّصــني بالحجـازِ في شكّـتـي رشـأ أعزل
عددتُ سنــيَّ لهــا والبيـاضُ لـدعــوايَ في عدّهـا مبطل
وأقبلـتُ أستشهـدُ الأربعينَ لو أن شهـادتهـا تُقْبَـلُ
وقالــوا رداءُ جميـلُ عليكَ ألا ربمـا كُـرِهَ الأجمـل
ومــا الشيـبُ أول مكروهةٍ بمحبــوبــة أنـا مستبـدل
تمــرَّن جنبــي بحمــلِ الزمانِ فكــلَّ ثقيـلاتِـهِ أحمـل
يردُّ يدي عن مَنَـال المنى وكفّـــيَ من بـاعِـهِ أطـولُ
وتعقــلُ ناشــطَ عزمــي الهمومُ والمـاءُ يحبـسُـهُ الجـدول
ومــا الحــظّ في أدبٍ مُفْصحٍ ومــن دونه نَشَـبُ مُجْبِـلُ
يرومُ الفتــى رتبــةً وهو[حيث] يَجْعـلُـهُ مــالُـهُ يُجْعَـلُ

١ الديوان : قطعت .
٢ ديوان مهيار ٣ : ١٢٥
٣ الديوان : اللوى .
٤ سقط هذا البيت من الديوان .

تشرّفْ بحظٍّ فان الحظوظَ حُلىً كلِّ [ذي] نسبٍ يعطل[1]
ووافِ المواسمَ . ضخمَ العيابِ تكنْ لك قولتك الفيصل
حمى الله للمجد نفساً بغير سلامتها المجدُ لا يحفل
وحيّا على ظُلُمات الخطوبِ وجهاً هو البدرُ أو أكمل
وتُقبلُ بالرزقِ قبل السؤالِ أسرّته حين تستقبل

ومنها :

تخطّى بلا قدمٍ تستزلّ وخطّ بلا قلم يخجل
من القوم تُنْجِدُ أيمانهم اذا استصرخ البلدُ المحل
لهم غُرَرٌ أزدشيريّةٌ تضيءُ وسترُ الدجى مسبل
ويومٍ تواكَلُ فيه العيونُ عمائمُ فرسانِه القسطل
تُعارِضُ فيه الكماةُ الكماة فمتنٌ يحطّمُ او كلكل
بطعنٍ كما [شُقّ][2] جيبُ القميصِ وضربٍ كما اخْتُبِي الحنظل

ومنها :

وتحتكَ طِرْفٌ يطيشُ المراحُ به أنْ يَقَرَّ له المفصل
كأنّ الأباريقَ طافتْ عليه أو مسَّ أعطافه أفْكَلُ
شجاه غناءُ الظُّبا في الطُّلىَ فمن طَرَبٍ كلما يصهل
إذا فات سَعْيُكَ [شأ]وَ الرياح فمن أين تلحقُهُ الأرجل
يضجُّ النديُّ خصاماً فان نطقتَ أرمَّ لك المحفل
ويختلفُ الناسُ حتى إذا قضيتَ قضى القدرُ المنزل
بسطتَ يدين يداً تأخذُ النّفوسَ بها ويداً تبذل
فيمناكَ صاعقةٌ تُتّقى وَيُسْرَاكَ بارقةٌ تهطل

١ هذا البيت والذي يليه لم يردا في الديوان .
٢ زيادة بحسب المعنى ، اذ البيت لم يرد في الديوان .

ولم نَرَ أنواءَ من قبلها ... مواطرَ أسماؤها أنمل
فداكَ وتفعلُ مالا تقولُ ... ممنّ يقولُ ولا يفعل/[١٥٩]
أُعيذُكَ بالكلماتِ التي ... بهن تَعوَّذَ من يكمل
فما يسعُ الجوُّ ما قد وسعتَ ... ولا تحملُ الأرضُ ما تحمل
ليهنِ الوزارةَ أن زُوِّجَتْكَ ... على طول ما لبثت تُعْضَلُ
غدتْ بك مُحْصَنَةً لا تحلُّ ... لبعلٍ سواكَ ولا تُبْذَلُ
وتعلمُ إن نازعتْ للرجالِ ... مُحْصَنَةٌ أنها تقتل
لئن جئتَها عانساً قد أبرَّ ... على سنّها العددُ الأطول
فمن معجزاتك أنّ الشبابَ ... لها عاد ماضيه يَسْتَقْبِلُ
وإن كنتَ آخرَ خُطّابها ... فانك محبوبُها الأول
فضاحكَ بغداد بعد الخطوبِ ... من عدلكَ العارضُ المسبل
طلعتَ عليها طلوعَ الصباحِ ... وليلُ ضلالاتِهِ أليلُ

ومنها :

فهل أنت مُنْتَشلي من نيوبِ ... دهرٍ يدمّي ولا يَدْمُلُ
ومن عيشةٍ كلُّ أعوامِهَا ... وإن أخصَب الناسُ، بي ممحل
فَصُنْ بك وجهيَ عمّنْ سواكَ ... فما مثل وجهيَ يستبذل
فكم راش مثلُك مثلي فطارَ ... وإن كان مثلك لا يَغْفَلُ
وقدماً وفى لزهيرٍ وزادَ ... من هَرِمٍ واهبٌ مجزل
فسار به الشعرُ فيما سمعتَ ... من مَثَلٍ باسمه يرسل
وحسّانُ أمْسَتْ رقَاهُ الصّعابَ ... من آل جفنة تَستَنْزِلُ
تعرَّفَ ريحَ عطاياهمُ ... وقد جاء يحملها المُرْسَلُ
وأبصر نعماءَهُمْ نازحينَ ... وبابُ لواحِظِهِ مُقْفَلُ[١]

---

١ يشير إلى أن حسان كان قد أضرَّ في شيخوخته . ولكنه عرف ببصيرته أنَّ جبلة بن الأيهم كان قد أرسل إليه عطاءً وهدايا .

ملوكٌ مضوا بالذي استعجلوا وطاب لهم ذكرُ[1] ما أجّلوا
وما فيهمُ جامعٌ ما جمعتَ إذا أنت حَصَّلْتَ أو حصلوا
رمى الشعراءُ عناني إليك ففتٌّ وأرساغهم تُشْكَلُ
وسرَّهمُ أنهمْ يعملونَ بزعمهمُ وأنا أعمل
ولو أقنع الخبرُ بالسَّيفِ كان أحقَّ بضرب الطُّلى الصَّيْقَلُ
ببسطِكَ لي سال وادي فمي ولا ينثني الكلمُ الأفضل
[فسوّمتها مهرةً لا يَعَضُّ بغير يدي شدقها مِسْحَلُ][2]
محرَّمَة السرج إلاّ عليك تَشْرُفُ منك بمن تَبْعُلُ
كأن عَبِيداً تمطَّى بها ومسَّحَ أعطافها جَرْوَلُ

فصل في ذكر أبي منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي الخراساني[3]

والاتيان بطرق من خبره وحميد أثره

كان أبو منصور ـ وَقْتَهَ ـ راعي تَلَعَاتِ العلم ، وجامعَ أشتاتِ النثر والنظم ، أُسوة[4] المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنفين بحكم قِرانه ، سار ذكره سَيْرَ المثل ، وَضرِبَتْ إليه آباطُ الإبل ، وطلعتْ دواوينه في المشارق والمغارب ، طلوعَ النجم في

١ الديوان : ذخر .
٢ زيادة من الديوان ليتصل سياق الأبيات .
٣ ترجمته في ابن خلكان ٣ : ١٧٨ (وفيه نقل عن الذخيرة) وعبر الذهبي ٣ : ١٧٢ ونزهة الالباء : ٢٤٩ ودمية القصر (ط . حلب) : ١٨٣ والشذرات ٣ : ٢٤٦ ومعاهد التنصيص ٣ : ٢٦٦ وانظر مقدمتي محققي كتابي التمثيل والمحاضرة ولطائف المعارف ، ففيهما محاولة لعدّ كتبه ، ودراسة عن الثعالبي بعنوان « الثعالبي ناقداً وأديباً » للاستاذ محمود عبد الله الجادر ، بغداد ، ١٩٧٦ .
٤ ابن خلكان : رأس .

الغياهب ، وتواليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر راوٍ لها وجامع ، من أن يستوفيها عدٌّ أو صفٌ ، أو يُوفّيها حقوقها نظمٌ أو رصف، وقد أخرجت من نثره فصولاً أدرجها في أثناء كتبه ، ومن نظمه جملاً وتفاصيل أعرب بها عن ترقرق طبعه وتدفق أدبه ، تشارك الأرواح في الأجساد ، وتقعد للاقتراح بالمرصاد .

من ذلك فصول من كلامه في صدر كتابه « فقه اللغة »[١] :

مَنْ شرح الله صدره للإيمانِ اعتقد أنَّ محمداً عليه السلام خيرُ الرسل ، والاسلامَ خيرُ الملل ، والعربَ خيرُ الأمم ، والعربيةَ خيرُ اللغاتِ ، والاقبالَ على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداةُ العلمِ ومفتاحُ التفقّهِ في الدين ؛ ثم هي لإحراز الفضائلِ ، والاحتواء على المروءةِ وسائرِ المذاهب[٢] كالينبوع للماء ، والزَّنْدِ للنار . ولو لم يكنْ في الإحاطةِ بخصائصها ، والوقوف على تصاريفها ، إلا قوةُ البيان[٣] في معرفةِ إعجازِ القرآن ، وزيادةُ البصيرة في إثبات النبوة ، اللذين هما عمدة الدين[٤] ، لكفى بهما فضلاً يحسنُ أثره ، ويطيبُ في الدارين ثمره . فكيف وأيسرُ ما خصَّها الله تعالى به من ضروبِ المادح يُكِلُّ أقلام الكتَبَةِ ، ويُتْعبُ أناملَ الحَسَبَة .

وفي فصل[٥] :

قيض الله لها خَزَنَةً وحفظَةً من خواصِّ النـاسِ وأعيان الفضـل وأنجـم الأرض ، فنسوا[٦] في خدمتها الشهوات ، وجابوا الفلوات ، ونادموا لاقتنائها الدفاتر ، وسامروا القماطر ، وكدّوا في حَصرْ لغاتها طباعَهُـمْ ، وأسهـروا في تقييدِ شواردهـا

---

١ فقه اللغة : ١

٢ فقه اللغة : وسائر أنواع المناقب .

٣ فقه اللغة : اليقين .

٤ فقه اللغة : الايمان .

٥ فقه اللغة : ٣

٦ فقه اللغة : تركوا

أجفانهم ، فعظمت الفائدة ، وعمت المصلحة ، وكلما بدأتْ معالمها[1] تتنكر ، وعرض لها ما يشبه الفترة ، ردّ الله تعالى لها الكرة ، فأهبَّ ريحها ، ونفَّق سوقَها ، بصدر[2] من أفراد الدهر أديب ، ذي صدر رحيب ، وقريحة ثاقبة ، ودراية صائبة/[١٦٠] يحبُّ الأدب ، ويتعصب للعرب[3] ، فيجمع شملها ، ويكرم أهلها، ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها ، مثل الامير السيد الأوحد أبي الفضل [الميكالي] :

هيهــات لا يأتــي الـزمــان بمثله إن الـزمـان بمثلـه لبخيـلُ

وما عَسِيتُ أنْ أقولَ في من جمع طرائف[4] المحاسن ، واستوى على غايات المناقب ، فان ذكر كرم المنصب ، وشرف المنتسب ، كانت شجرته الميكالية في قرارة المجد والعلاء ، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء ، وإن وُصِفَ حُسْنُ الصورةِ التي هي أولُ السعادة ، وعنوانُ الخيرِ وسمة السيادة ، كان في وجهه المقبول الصبيح ، ما يستنطقُ الأفواه بالتسبيح ، لا سيما إذا ترقرق ماء البشر في غُرَّتـهِ ، وتفتَّـقَ نورُ الشرف بين أسرَّتِهِ . وإن مُدِحَ حُسْنُ الخلقِ فله أخلاقُ خُلِقْنَ من الكرم المحض ، وشيمٌ تشامُ منها بارقةُ المجد ، فلو مُزِجَ بها البحرُ لَعَذُبَ طعمه ، ولو استعارها الزمانُ لما جار على حرٍّ حكمه ، وإن حُدِّثَ عن التواضع كان أولى بقول البحتري[5] ممن قيل فيه :

دنـوتَ تواضــعـاً وعلـوت مجداً[6] فشـأنـاك انحـدارٌ وارتفـاعُ

١ فقه اللغة : معارفها .

٢ فقه اللغة : بفرد

٣ فقه اللغة : للعربية .

٤ فقه اللغة : أطراف

٥ ديوان البحتري : ١٢٤٧

٦ الديوان : وبعدت قدراً .

كذاك الشمسَ تبعدَ ان تسامَى   ويدنو الضوءُ منها والشعاع

فأما سائرُ أدوات الفضل وآلاتُ الخير وخصالُ المجد فقد قسم الله تعالى له منها ما يباري الشمس ظهوراً ، ويجاري القطرَ وفوراً . وأما فنون الأدب فهو ابن بجدتها ، وأخو جملتها ، وأبو عذرتها ، ومالكُ أزمّتها ، ولله هو إذا غرس الدرَّ في أرضِ القراطيس[1] ، ودرز[2] بالظلام رداءَ النهار ، وألقت بحارُ خواطره جواهرَ البلاغةِ على أنامله ، فهناك الحسنُ برمّته ، والاحسانُ بكلّيته ، فلو كنتُ بالنجوم مصدقاً لقلتُ : إنّ عطارداً تأنّقَ في تدبيره ، وقَصرَ عليه معظمَ همته ، ووقف في طاعته ، عند أقصى طاقته . ومن أراد ان يسمع سرَّ النظم ، وسحر الشعر[3] ، ورقيةَ الدهر ، ويرى صَوْبَ العقل ، وذوب الظّرف ، ونتيجةَ الفضل ،فليستنشدْ ما أسْفَرَ عنه طبعُ مجده ، وثمّرَهُ[4] عالي فكره ، من ملح تمتزج بأجزاءِ النفوسِ لنفاستها ، وَتُشرَبُ بالقلوب لسلاستها :

قوافٍ اذا ما رآها المشوقُ   هزَّ لها الغانياتُ القدودا
كسونَ عَبيداً ثيابَ العبيد   وأضحى لبيدُ لديها بليدا

وفي فصل[5] :

وايمُ الله ما من يومٍ أسعفني فيه الزمانُ بمواجهةِ وجهه ، وأسعدني بالاقتباسِ من نُوره ، والاغترافِ من بحره ، فشاهدتُ ثمارَ المجدِ والسؤدد تنتثرُ من شمائله ، ورأيتُ فضائلَ أفرادِ الدهر عيالاً على فضائله ، وقرأتُ نُسْخَةَ الفضلِ والكرم[6] من

١ فقه اللغة : القرطاس
٢ فقه اللغة : وطرز .
٣ فقه اللغة : النثر .
٤ فقه اللغة : وأثمره .
٥ فقه اللغة : ٤ وليس بين هذه الفقرة وما تقدّم حذف .
٦ فقه اللغة : الكرم والفضل .

ألحاظه . وانتهبتُ فرائدَ الفوائدِ من ألفاظه ، إلا تذكرتُ ما أنشدنيه لابن الرومي[1] :

لولا عجائب صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصبِ

وأنشدتُ فيما بيني وبين نفسي قول الطائي[2] :

فلو صَوَّرتَ نفسكَ لم تَزِدْها على ما فيكَ من كرمِ الطباعِ

وثلَّثتُ بقول كشاجم[3] :

ما كان أحوجَ ذا الكمالَ إلى نقصٍ يوقّيه من العين

وربَّعْتُ بقول المتنبي[4] :

فان تَفُقِ الأنامَ وأنت منهم فان المسكَ بعضُ دم الغزالِ

وفي فصل[5] :

فاستغرقت أربعةَ أشهرٍ هناك بحضرته ، وتوفرت على خدمته ، وما رمتُ في أكثرِ الأوقاتِ في الليل والنهار عاليَ مجلسه ، وتعطرتُ عند ركوبه بغبار موكبه ، فبالله يميناً قد كنتُ غنياً عنها لو خفت [حنثاً] فيها أني ما أنكرتُ طَرَفاً من أخلاقه،ولم أشاهدْ إلا شرفاً ومجداً من أحواله ، وما رأيته اغتاب غائباً ، أو سبّ حاضراً ، او حرم سائلاً ، أو خيَّبَ آملاً ، أو أطاع سلطانَ الغضبِ والحَرَد ، أو تصلىَّ بنارِ الضجر وبطشَ بَطْشَ المتجبر ؛ وما وجدتُ المآثر إلا ما يتعاطاه ، والمآثمَ إلا ما يتخطّاه ، فعوّذتُهُ بالله تعالى من كلِّ طَرْفٍ عائن ، ومن كلِّ صدرٍ خائن ، هذا ولو أعارتني

١ ديوان ابن الرومي : ١٩٦ .

٢ ديوان أبي تمام : ٣٤٠ وسرح العيون : ٣٢٤ ، ٣٣٠

٣ مر غير منسوب في الذخيرة ٢ : ٦٨٠ .

٤ ديوان المتنبي : ٢٥٨ والذخيرة ٢ : ٦١٨

٥ فقه اللغة : ٥

خطباءُ إيادَ ألسنتها ، وكتابُ العراقِ أيديها ، في وصف أياديه التي اتصلت عندي اتصالَ السعود ، وانتظمت لديَّ انتظامَ العقود ، فقلت في ذكرها طالباً/[١٦١] أَمَدَ الإسهاب ، وكتبتُ في شكرها مادّاً أطنابَ الإطناب ، لما كنتُ بعد الاجتهاد إلا مائلاً في جانب القصور ، متأخراً عن الغرضِ المقصود ، فكيف وأنا قاصرُ البلاغة[1] ، قصيرُ باعِ الكتابة ، وعلى ذلك فقد صدىء فهمي لبعدي ـ كان ـ عن حضرته ، وتكَدَّرَ ماءُ خاطري لتطاولِ العهدِ بخدمته .

وفي فصل[2] :

وما عدلتُ بمؤلفاتي عن اسمه ورسمه ، إخلالاً بما يلزمني من حقِّ سؤدده ، بل إجلالاً [له] عما لا أرضاهُ للمرورِ بسمعه ولحظه ، وتحامياً لِعَرْضِ بضاعتي المزجاةِ على قُوَّةِ نقده ، وذهاباً بنفسي عن أن أُهديَ للشمس ضوءاً ، أو أزيدَ في القمر نوراً ، أو أكون كجالبِ المسك إلى أرضِ الترك ، والعودِ إلى بِلاد الهند ، والعنبرِ إلى البحر الأخضر .

وفي فصل له[3] :

ان خير الكلام بعد حمد الله والصلاة على رسوله ما شغل بخدمةِ مَنْ جمعَ الله له عُدَّةَ[4] الملك إلى بسطة العلم ، ونورَ الحكمةِ إلى نَفاذِ الحكم ، وجعله مبرزاً على ملوك العصر ، ومدبّري الأرضِ وولاةِ الأمر ، بخصائص من العدل ، وجلائلَ من الفضل ، ودقائقَ من الكرم المحض ، لا يدخلُ أيْسَرُهَا تحت العادات ، ولا يُدْرَكُ أقلُّها بالعبارات ، ومحاسنِ سيرٍ تحرُسُها أسنّةُ الأقـلام ، وتدرسهـا ألسنـة الليالي

١ فقه اللغة : قاصر سعي البلاغة
٢ فقه اللغة : ٧
٣ التمثيل والمحاضرة : ٤
٤ التمثيل : عزة .

والأيام ، وهذه صفةٌ تغني عن تسمية الموصوفِ لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستئثاره على جميع الملوك بها ، ويعلم سامعها ببديهة السماع أنها للأمير شمس ِ المعالي خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لائقة ، وعن غيره نافرة ، إذ هو بمعاينة الآثار ، وشهادَةِ[1] الأخبار ، واجتماع الأولياء ، و إصفاقِ الأعداء ، كافلُ المجد ، وكافي الخلق ، وواحدُ الدهر ، وغرة الدنيا ، وَمَفْزَعُ الورى ، وجُنَّةُ[2] العالم ، ونكتة الفلك الدائر ، فبلَّغَهُ الله تعالى أقصى نهاية العمر ، كما بلّغه أبعدَ غاية الفخر ، وَمَلّكه ازمّةَ الارض ، كما ملكه أعنَّةَ الفضل ، وأدام حُسْنَ النظر للعباد والبلادِ بإدامةِ أيامه التي هي أعيادُ الدهر ، ومواسمُ اليُمْنِ والأَمْن ، ومطالعُ الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً ونمواً ، كما زاده في السنّ علوّاً ، حتى تكونَ السعاداتُ وَفْدَ بابه ، والبشائرُ قِرَى سمعه ، والمسارُّ غذاءَ نفسه ، ويترامى به الإقبالُ إلى حيث لا يبلغه أمل ولا يقطعه أجل .

وفي فصل[3] :

هذا الكتاب أخرجتُ بعضهُ من غُرَرِ نجوم الأرض ، ونكتِ أعيانِ الفضل من بلغاء العصرِ في النثر ، وحللتُ بعضه من نظم أمراءِ الشعر الذين أوردتُ مُلَحَ أشعارهم في كتابي المترجم بِـ « يتيمة الدهر » ، فلفقتُ جميعَ ذلك ونَسَقْتُهُ ، وجرَّدته وَسُقْتُهُ ، وأنفقتُ عليه ما رزقته ، وعملته بكدِّ الناظر ، وجهد الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ، وتعمدت فيه لذَّة الجدّة ، ورونقَ الحداثة ، وحلاوةَ الطراوة ، ولم أشُبْهُ بشيءٍ سوى[4] كلام أهل العصر إلا في قلائلَ وقلائدَ من ألفاظِ [الجاحظ] وابن المعتزّ ، تخلَّلَتْ أثناءَهُ ، وتوسَّطَتْ تضاعيفه ، ولم أُخْلِ كلماته التي هي وسائطُ الآداب[5] ،

١ ص : ومشاهدة .
٢ التمثيل : وحسنة .
٣ سحر البلاغة : ٥
٤ في الاصل : من .
٥ في الأصل : الألباب .

وصياقلُ الألبابِ ، وما تشتهي أنفسُ الأدباء وتلذّ أعينُ الكتاب ، من لفظٍ فصيح ، أو معنى صريح[1] ،أو تجنيس أنيس ، أو تشبيه بلا شبيه ، أو تمثيل بلا مثيل ولا عديل ، او استعارة أو طباق ، على ذي رونق باق . فمن مَرَافقِ هذا الكتاب قُرْبُ متناوَلِهِ من الكتّاب ، إذا وشّوا ديباجَ كلامهم بما يقتبسونه من نوره ، وسماحةُ قياده لأفراد الشعراء إذا رصَّعوا عقودَ نظامهم مما يلتقطونه من شذوره . فأما المخاطبات والمحاورات فانها تتبرَّجُ بغُرَّةٍ من غُرَرِهِ ، وتتوجُ بدرّةٍ من درره .

وفي فصل[2] :

وقد كانت تجري في مجلسه العالي نكتٌ من أقاويلِ أئمة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها ، ولطائفها وخصائصها ، مما لم ينتهوا إلى جمع شملها ، ولا توصّلوا إلى نظمها ، وإنما اتجهت لهم في أثناء التأليفات ، وتضاعيف التصنيفات ، لمعُ يسيرة كالتوقيعات ، وفقرٌ خفيةٌ كالاشارات ، فيلوّح لي - أدام الله عزه - بالبحث على أمثالها ، وتحصيل أخواتها ، وما ينخرطُ في سلكها ، وأنا ألوذ بأكناف المحاجزة ، وأحومُ حولَ المدافعة ، وأرعى روضَ المماطلة ، لا تهاوناً بأمره الذي أراه كالمكتوبات ، ولا أميّزه عن المفروضات ، ولكن تفادياً من قصور سهمي عن هدفِ إرادته ، وانحرافاً عن الثقة بنفسي في عمل/[١٦٢] ما يصلحُ لخدمته ، إلى أن اتفقتْ لي في بعض الأيام التي هي أعيادُ دهري ، وأعيانُ عمري ، مواكبةُ القمرين بمسايرة ركابه ، ومواصلة السَّعْدَينِ بصلة جنابه[3] في متوجَّهه الى فيروزباد ، ومنها إلى حداد[4] ، بعضِ قُراهُ من الشامات ، عمرها الله بدوام عمره ، فلما :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الأباطح[5]

---

١ سحر البلاغة : أو معنى بديع .

٢ فقه اللغة : ٧ .

٣ في الأصل : جناحه .

٤ فقه اللغة : خداي زاد

٥ الشعر والشعراء : ١٣ وفي تخريج البيت انظر السمط : ٧٧ (الملحق) وديوان كثير : ٥٢٥ .

وعدنا إلى العادة عند الالتقاء في تجاذبِ أهـداب الآداب ، وفتْـقِ نوافـج الأخبار والأشعار ، أفضتْ بنا شجونُ الحديث إلى هذا الكتاب ، فقال لي ـ صدق الله قوله ، ولا أعدم الدنيا طَوْلَه ـ : إنك إن أخذتَ فيه أجدت وأحسنت ، وليس إلا أنت ، فقلت : سمعاً سمعاً ، ولم أستجز لأمره دفعاً ؛ فأقام لي في التأليف معالمَ أقفُ عندها ، وأقفو حدَّها ، وأهاب [بي] إلى ما اتخذته قبلة أصلي إليها ، وقاعدةً أبنـي عليهـا : من التمثيل والتنـزيل والتفصيل والتقـريب والتقسيم والتـرتيب ، وانتجعتُ من الأئمة الخليلَ والأصمعي وأبا عمرو والكسائي وأبا عبيد وأبا زيد ، ومن سواهم من شيوخ العلماء ، وظرفاء الأدباء ، الذين جمعوا فصاحة البلغاء الى إتقان العلماء ، ووعورة اللغة إلى سهولةِ البلاغة ، وأقتبس[1] من أنوارهم :

وأجتنـي من ثمـارِ قومٍ قد أقفـرتْ منهـمُ البقاعُ

ومن كلامه في صدر كتاب اليتيمة

لما كان الشعر عمدةَ الأدب ، وعلمَ العرب الذي اختصَّـتْ به على سائـر الأمم ، وبلسانهم جاء كتابُ الله المنزّل ، على النبيِّ منهم المرسل ، عليه السلامُ الأجزل ، كانت أشعارُ الاسلاميين أرقَّ من أشعارِ الجاهليين ، وأشعـارُ المحدثـين [ألطفَ من أشعار المتقدمين] ثم كانت أشعارُ العصريين أجمعَ لنوادرِ المحاسن ، وأنظمَ للطائفِ البديع من أشعار سائر المذكورين ، لانتهائها إلى أبعدِ غاياتِ الحُسْنِ ، وبلوغها أقصى نهايةِ الجَوْدَةِ والظَّرفِ ، تكاد تخرجُ من باب الايجاز[2] إلى الاعجاز ، ومن حدّ الشعرِ إلى السحر ، وكأن الزمانُ ادّخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار افهامهم ، أتمَّ الألفاظِ والمعاني استيفاءً لأقسام البراعة وأوفرها [نصيباً] من كمالِ الصنعة ورونق الطراوة ،

---

١ فقه اللغة : وأجتني .

٢ اليتيمة : الاعجاب .

ولـذاك ما ساد النبـيُّ محمدٌ كلَّ الأنـامِ وكان آخـرَ مرسلِ

وقد سبق مؤلفو الكتبِ الى ترتيب المتقدمين والمتأخرين ، فكم من كتابٍ فاخرٍ عملوه ، وعِقْدٍ باهرٍ نظموه ، لا يشينه إلا نبوّ العين عن إخلاقِ جِدّته ، وبلى بُرْدَته ، [ومجُّ] السمع لمردّداته ، وملالةُ القلبِ لمكرّراته ، وبقيتْ محاسنُ أهلِ العصر التي معها رُوَاءُ الحداثةِ ، ولذة الجدّة ، وحلاوةُ قُرْبِ العهد ، وازديادُ الجودة على كثـرةِ النقد ، غيرَ محصورةٍ في كتاب يضمُّ نشرها ، ويشد أزرها .

وقد كنتُ تصدَّيت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، والعمرُ باقباله ، والشبابُ بمائه ، فافتتحته باسم بعضِ الوزراء ، مجرياً إياه مُجْرى ما يتَقَرَّبُ به أهلُ الأدب ، إلى ذوي الأخطارِ والرتب ، ومقيماً ثمارَ الورق مقام نثار الوَرِق ، وكتبته في مدة تقصرُ عن إعطاء الكتاب حقَّه ، ولا تتَّسِعُ لتوفيته شَرْطَهُ ، وارتفـع كَعُجَالَـةِ الراكب ، وقضيتُ به حاجةً في نفسي وأنـا لا أحسـب المستعـيرين يتعاورونـه ، والمستحسنين[1] يتداولونه ، وحين أعَرْتُهُ بعض بصري ، وأعدتُ فيه نظري ، تبيَّنْتُ مصداقَ ما قرأته في بعض الكتب : « إنّ أوّلَ ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلةً إلا أحبَّ في غدها أن يزيد فيه أو ينقـص منه » هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدّة ؟! ورأيتني أحاضَـرُ بأخواتٍ كثيرة ومادَّاتٍ غزيرة حَصَلَتْ إليّ بعدُ ، فقلت : إذا كان هذا الكتابُ له موقعٌ من نفوسِ الأدباء ، ومحلٌّ من قلوبِ الفضلاء ، فلم لا أبلُغ فيه المبلـغَ الـذي يراد ، ويستوجـب من الاعتداد[2] ؟ ولم لا أبسطَ فيه عنانَ الكلام ، وأرمي في الإشباع والاتمام [هَدَفَ] المرام ؟ فجعلت أثبته وأمحوه ، وأفتتحه فلا أختمه ، وأنتصفه فلا أتمه ، والأيامُ تعجز ، وتَعِدُ ولا تنجز ، إلى أن أدركتُ عَصْرَ السنِّ والحنكة ، فاختلستُ لمعةً من ظلم الدهر ،

١ اليتيمة : والمنتسخين .

٢ اليتيمة : المبلغ الذي يستحق حسن الاحماد ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الاعداد .

وانتهزت رقدةً من عينِ الزمان ، واغتنمتُ نَبْوَةً من أنياب النوائب ، واستمررتُ في تقرير هذه النسخةِ الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة . فهذه تجمعُ من بدائع أعيانِ أهلِ الفضل ، ونجوم الأرضِ من أهلِ العصر/[١٦٣] ما لم تأخذِ الكتبُ العتيقةُ غرره ، ولم تقتضَّ عُذَرَه ، ولم ينقضْ قِدَمُ العهد زُبُرَهُ .

والشرطُ في هذه النسخة إيرادُ لبِّ اللباب ، وحبّةِ القلب ، وناظِرِ العين ، ونكتةِ الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقشِ الفص ، فان أخّرتُ متقدماً وقَدَّمت متأخراً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدَّمُ غيره ، قال تعالى ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ (التغابن : ٢) وقال حسان بن ثابت ، وذكر بني هاشم[١] :

بهـاليلُ منهـم جعفـرٌ وابـنُ أُمِّهِ عليٌّ ومنهـمُ أحمـدُ المتخيّرُ

وقال الصلتان العبديّ :

فملّتنـا أنّنـا مسلمـونَ على دينِ صدّيقنا والنبي

وفي فصل منه[٢] :

كان الخوارزميّ في رَيْعانِ عمره ، وعنفوانِ شبابه[٣] قد دوَّخ بلادَ الشام ، وحصل في حضرةِ سيفِ الدولةِ بحلب ، مجمعِ الرواةِ وأهلِ الأدب ، ومطرحِ الغرباء والفضلاء ، فأقام بها مع أئمةِ الأدباء بين علمٍ يدرسُهُ ، وأدبٍ يقتبسه ، ومحاسنِ ألفاظٍ يستفيدها ، وشواردِ أشعارٍ يصيدها ، وانقلب عنها أحدَ أفرادِ الدهر ، وأمراءِ النظم والنثر ، وكان يقول : ما فَتَقَ طبعي ، وشحذَ فهمي ، وصقلَ ذهني ، وأرهفَ حدَّ لساني ، وبلغ هذا المبلَغ بي ، إلا تلك الطرائفُ الشامية ، واللطائفُ الحلَبية ،

---

١ ديوان حسان١ : ٩٩ (وفيه التخريج)
٢ اليتيمة١ : ٢٦
٣ اليتيمة : وعنفوان أمره .

التي عَلِقَتْ بحفظي ، وامتزجت بأجزاءِ نفسي ، وغصنُ الشبابِ رطيب ، وَبُرْدُ[1] الحداثةِ قشيب .

وفي فصل[2] :

كان بنو حمدان ملوكاً أوجُهُهُمْ للصَّباحةِ ، وألسنتهُمْ للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيفُ الدولة مشهورٌ بسيادتهم ، وواسطةُ قلادتهم ، غُرَّةُ الزمانِ والعصور ، وَمَنْ به سِداد الثغور ، وسَدادُ الأمور ، وكانت وقائعه في عُصَاةِ العرب تكفُّ بأسها وتفلُّ أنيابها ، وَتُذِلُّ صِعَابها ، وتكفي الرعيةَ سوءَ آدابها ، وغزواته تدركُ من طاغية الرُّوم الثارَ ، وتحسمُ شرَّهم المثار ، وَتُحْسِنُ في الاسلام الآثار ، وحضرتُهُ مقصدُ الوفود ، ومطلعُ الجود ، وَقِبْلَةُ الآمال ، ومحطُّ الرحال ، وموسمُ الأدباء ، وقبلةُ الشعراء ، ويقال إنه لم يجتمعْ بباب أحدٍ من الملوك ـ بعد الخلفاء ـ ما اجتمع ببابه من شيوخِ الشّعر ، ونجوم الدَّهْرِ ، والسلطانُ سوقٌ يجلبُ إليها ما ينفق لديها ؛ وكان أديباً شاعراً محبّاً لجيد الشعر ، شديدَ الاهتزازِ لما يُمْدَحُ به ، فلو أدركَ ابنُ الروميّ زمانَهُ ما احتاج أن يقول :

ذهب الذين يهزهم مدّاحهم هَزَّ الكماةِ عواليَ المرّانِ
كانوا اذا امتدحوا رأوا ما فيهمُ فالاريحية منهمُ بمكانِ

وفي فصل[3] :

كان أبو فراسٍ فَرْدَ دهرِهِ ، وشمسَ عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ومجداً ، وبلاغةً وبراعة ، وفروسيةً وشجاعة ، وشعره مشهورٌ سائرٌ بينَ الحسنِ والجَوْدَةِ والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة ، ومعه رُواءُ الطبع وَسِمَةُ الظَّرف وعزة الملك ، لم تجتمع هذه الخلالُ قبله إلا في شعر ابن المعتز ؛ وأبو فراس بعدُ أشعرُ

---

١ اليتيمة : ورداء .
٢ اليتيمة ١ : ٢٧
٣ اليتيمة ١ : ٤٨

منه عند أهل الصنعة ونَقَدَة الكلام . وكان الصاحب يقول : بدىء الشعر بملك - يعني امرأ القيس - وختم بملك - يعني أبا فراس - .

وأطلت[1] عنانَ الاختيار في محاسنِ كلِّ شيءٍ حسنٍ[2] لا سيما رومياته التي رمى بها هدفَ الإحسانِ ، وأصابَ شاكلةَ الصواب . ولما خرج نيّرُ[3] الفضلِ من سراره، وأُطلق أَسَدُ الحربِ من إساره ، لم تطلْ أيامُ فرحته ، ولم تسمحِ النوائبُ بالتجافي عن مهجته ، ودلّت قصيدةٌ قرأتها للصابي في تأبينه على أنه قُتِلَ في وقعةٍ كانت بينه وبين بعض موالي أُسرته ؛ وما أحسنَ وأصدق قول أبي الطيب[4] :

فلا تَنَلْكَ الليالي إنَّ أيديَهَا إذا ضربــنَ كسرنَ النبــع بالغربِ
ولا يُعِــنَّ عدواً أنــت قاهِرُهُ فانهــنّ يَصِــدْنَ الصقــر بالخرب

وفي فصل[5] :

كان المتنبي نادرةَ الفلك ، وواسطةَ عِقْدِ الدهر ، في صناعة الشعر ؛ شاعرُ سيفِ الدولة الذي جذب بِضَبْعِهِ ، ورفعَ من قدره ، ونفّقَ من سِعْرِ شعره ، وألقى عليه شعاعَ سعادته حتى سار ذكره مسيرَ الشمسِ والقمر ، وسافر كلامُهُ في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه ، كما قال[6] :

ومــا الدهــرُ إلا من رواةِ قصائدي إذا قلتُ شعــراً أصبــح الدهــر منشدا
فســـار به مَنْ لا يســيرُ مسامراً وغنّــى به من لا يغنّــي مغردا/[١٦٤]

---

١ اليتيمة ١ : ١٠٢ - ١٠٣
٢ اليتيمة : من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن .
٣ اليتيمة : قمر .
٤ ديوان المتنبي : ٤٢٦
٥ اليتيمة ١ : ١٢٦
٦ ديوان المتنبي : ٣٦١

وقد[1] أَلّفتِ الكتبُ في تفسيره وجلاء[2] مشكله وعويصه ، وكسرت الدفاترُ على ذكر جيده ورديئـه ،وتكلّم الأفاضلُ في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاحِ عن أبكارِ كلامِهِ وَعُونه ، وتفرّقوا في مدحه وذمّه ، والقدح فيه والتعصّب له وعليه ، وذلك أدلُّ دليلٍ على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرّده على أهلِ زمانه ، بملكِ رقابِ القوافي ورقّ المعاني ، والكاملُ من عُدَّت سَقَطاته ، والسعيدُ من حُسِبَتْ هفواته .

واتخذ[3] الليل جملاً وفارق بغداد متوجهاً إلى ابن العميد ، ومراغماً للمهلبي ، فوردَ أَرَّجانَ فطمع الصاحبُ في زيارته باصبهان ، وإجرائه مُجْـرَى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شابٌّ وحاله حويلة ، ولم يكن استوزرِ بعد ، فكتب يلاطفُهُ في استدعائه ، فلم يُقـمْ له المتنبي وزناً ، ولا أجابه عن كتابه ، وقصد عضدَ الدولة ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية ، وورود مشرعِ المنية . واتخذه الصاحب غرضاً يرشقُهُ بسهام الوقيعة ، ويتتبعُ سقطاتِـهِ في شعره وهفواته ، وينعي عليه سيئاته ، وهو أعرفُ الناس بمحاسنه ، واكثرهم استعمالاً إياها في مخاطباته .

وخطأ[4] المتنبي في اللفظ والمعنى كثير ، ويتبعُ الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ، ويفتتح[5] بذلك شعره ، وما أكثر ما يحومُ حولَ هذه الطريقة ، ويعود لهذه العـادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط ، فبينا هو يصوغُ أفخرَ حليّ ، وينظم أحسنَ عقد ، وينسج أنفسَ وشي ، ويختالُ في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيتِ والبيتين في إبعاد الاستعارة وتعويص اللفـظ وتعقيد المعنـى ، فمحـا تلك المحاسنَ وكدَّر صفاءَها وأعقب حلاوتها مرارةً لا مساغ لها ، واستهـدف لسهـام العائبين ، فمن متمثل بقول الشاعر :

---

١ اليتيمة ١ : ١٢٧

٢ اليتيمة : وحلّ

٣ اليتيمة ١ : ١٣٨

٤ اليتيمة ١ : ١٦٣

٥ كذا في الأصل ، وليست العبارة في اليتيمة ، ولعل الصواب « ويقبح »

أنــت العــروسُ لهــا جمــال رائعٌ   لكنهــا في كلِّ يومٍ تُصرْعُ

ومن مشبّه إياه بمن يقدم مائدةً تشتمـلُ على غرائـب المأكولاتِ وبدائـع الطيبات ، ثم يُتْبعها بطعامٍ وَضِرٍ وشرابٍ عكر ، أو من يتبخر بالندّ المعشب المثلث المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الاشهب ثم يرنّقه[1] بارسال الريح الخبيثة ، أو بالواحدِ في عقلاء المجانين ممن ينطق بنوادِرِ الكلامِ وطرائفِ الحكم ثم يعتريه سكرُ الجنون .

وفي فصل[2] :

أبو الفرج الببغا : نجم الآفاق ، وشامّةُ الشامِ والعراق ، وظَرْفُ الظرف ، وينبوع اللطف ، أحدُ افراد الدهر ، في النظم والنثر ، ولقب بذلك للثغـةٍ [فيه] .

وكان نظيف اللبسة ، بهيَّ الرَّكبة ، مليحَ اللثغة ، ظريفَ الجملة ، وأخذت الأيامُ من جسمه وقوّته ، ولم تأخذْ من ظرفه وملحه وأدبه ؛ وورودني كتابه سنة إحدى وتسعين مشتملاً من النظم والنثر على ما أبدت[3] به حالُ من بلغ ساحلَ الحياة، ووقف على ثنيّةِ الوداع ، ولست [أدري] بعدُ ما فعل الدهرُ به ، وأغلبُ ظني أنه [لحق] باللطيف الخبير .

وفي فصل[4] :

أبو الفرج الوأواء : من حسناتِ الشام ، وصاغةِ الكلام ، ومن عجيب شأنه أنه كان بدار بطيّخ دمشقَ ينادي على الفواكه ، وما زال يشعرُ حتى جاد شعره وسار كلامه ووقع فيه ما يروقُ ، ويشوقُ ويفوق ، حتى تعلّق بالعيّوق .

١ في الأصل : يوبقه .
٢ اليتيمة ١ : ٢٥٢
٣ اليتيمة : أثرت .
٤ اليتيمة ١ : ٢٨٨

وفي فصل[1] :

أبو محمد الواساني : أعجوبةُ الزمانِ ونادرتُهُ ، وفردُ عصرِهِ وباقعته ، وهو أحدُ المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الروميّ في أوانه .

وفي فصل[2] :

أبو محمد بن وَكيع : شاعرٌ بديع[3] ، وعالمٌ جامع ، قد برع على أهلِ زمانه ، فلم يتقدَّمْهُ أحدٌ في أوانه ، وله كلُّ بديعةٍ تسحرُ الأوهامَ ، وتستعبدُ الأفهام .

وفي فصل[4] :

السريّ الرفاء : وما أدراك ما السريّ ؟ صاحبُ سرِّ الشعر ، الجامعُ بين [نظم] عُقودِ الدرّ ، والنفثِ في عُقَدِ السحر ، ولله درّه ، ما أعذبَ بحره ، وأعجبَ أمره !! وقد أخرجتُ من شعره ما يُكْتَبُ على جبهة الدهر ، وَيُعَلَّقُ في كعبةِ الظرف[5] ، وكتبت منه محاسنَ وملحاً ، وبدائع وطرفاً ، كأنها أطواقُ الحمام، وصدورُ البزاةِ البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلانِ ، ونهودُ العذارى الحسان ، وغمزاتُ الحدقِ الملاح .

وفي فصل[6] :

عضد الدولة : [كان] على ما مُكِّنَ له في الأرض ، وجُعِلَ إليه من أزمَّةِ البسط والقبض ، وخُصَّ به من رفعةِ الشان ، وأُوتي من سعةِ السلطان ، يتفرغُ للأدب ،

١ اليتيمة ١ : ٣٥١
٢ اليتيمة ١ : ٣٧٢
٣ اليتيمة : بارع
٤ اليتيمة ٢ : ١١٧
٥ اليتيمة : الفكر
٦ اليتيمة ٢ : ٢١٦

ويتشاغل بالكتب/[١٦٥] ويؤثر مجالسة الأدباء ، على منادمةِ الأمراء ، ويقولُ شعراً كثيراً يخرجُ منه ما هو من شرط الكتاب من الملح والنكت ، وما أدري كم فصل رائعٍ قرأته للصاحب في وصفِ شعره ، وطلبِ أَمَدِ الإبداعِ في مدحه .

وفي فصل[١] :

الصابي : أوحدُ العراقِ في البلاغة ، ومن تُثْنَى الخناصرُ به في الكتابة ، وتتّفقُ له الشهاداتُ ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعة . وكان قد خَنَّق التسعينَ في خدمة الخلفاء ، وخلافةِ الوزراء ، وتقلَّد الأعمالَ الجلائل ، مع ديوانِ الرسائل ، وحلبَ الدهرَ أَشْطُرَهُ ، وذاق حلوه ومرَّه ، ولابس خيرَهُ ولامسَ شره ، وَرُئِس وَرَأَس ، وخُدِمَ وَخَدَم ، ومدحه شعراء العراق في جملةِ الرؤساء ، وسار ذكره في الآفاق ، ودوّنَ له من الكلام البهيّ النقيّ العلويّ ما تتناثر درره ، وتتكاثر غرره ، وأراده الملوكُ على الاسلام ، وأداروه بكلِّ حيلة وتمنيةٍ جليلة ، فلم يَهْـدِهِ اللـه للاسـلام ، كما هداهُ لمحاسنِ الكلام ، وكان يعاشرُ المسلمين أحْسَنَ عشرة ، ويخدمُ الأكابر أرفعَ خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظُ القرآنَ حفظاً يدورُ على طرف لسانه وسنِّ قلمه .

وفي فصل[٢] :

عبد العزيز بن يوسف : أحد صدور المشرق ، وفرسـان المنطـق ، وأفـراد الكلم ، وأعيان الممدحين المقدمين في الأدب والكتابة والبراعة والكفاية وجميع أدوات الرياسة . ونثره يُعربُ عن أدب فضفاض ، وخاطر بالاجادة والاحسان فيّاض .

وفي فصل[٣] :

القاضي التنوخي : من أعيانِ الأدب والعلم ، وأفرادِ الكرم وَحُسْنِ الشيمِ ، وإن أردتَ فسبحةُ ناسك ، وان أحببت فتفاحةُ فاتك ، أو اقترحتَ فَمدرعَةُ راهب ،

١ اليتيمة ٢ : ٢٤٢
٢ اليتيمة ٢ : ٣١٣
٣ اليتيمة ٢ : ٣٣٦

او أشرتَ[1] فَنُخْبَةُ شارب ، ريحانةُ الندماء ، ونارنجُ الظرفاءِ ، ويعاشرون منه مَنْ تطيبُ عشرته ، وتلينُ قشرته ، وتكرمُ أخلاقه ، وتحسن أخباره ، وتسيرُ أشعاره ، حتى نظمتْ حاشيتي البرِّ والبحر ، وناحيتي الشرق والغرب ، وكان له غلامٌ يسمى نسياً في نهاية الملاحة واللباقة ، وكان يؤثره على سائرِ غلمانه ، ويختصُّهُ بتقريبهِ واستخدامه، فكتب إليه بعضُ من يأنس به[2] :

هل عليّ لامُهُ مدّغمٌ لاضطرارِ الشعر في ميم نسيمْ

فوقّع تحته : نعم ، ولم لا ؟

وفي فصل[3] :

أبو علي ابنه : هلالُ ذلك القمر ، وغصنُ ذلك الشجر ، والشاهدُ العدلُ لمجدِ أبيه وفضله ، والفرعُ المشيرُ لأصله ، والنائبُ عنه في حياته ، والقائمُ مقامه بعد وفاته ، وله كتاب « **الفرج بعد الشدة** » وناهيك بحسنه ، وامتناعِ فَنِّه ، وما جرى فيه من الفأل بيمنه، لا جرمَ أنه أسْيَرُ من الأمثال ، وأسرى من الخيال .

وفي فصل[4] :

ابن لنكك : فرد البصرة وصدرُ أدبائها ، وفردُ ظرفائها في زمانه ، المرجوعُ إليه في لطائف الأدبِ وطرائفه ، وكانت حرفةُ الأدبِ تمّسه وتجّمشُه ، ومحنة الفضلِ تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يَضَعُه ؛ واكثرُ شعره مُلَحُ وطرف ، خفيفةُ الأرواح ، تأخذ من القلوبِ بمجامعها ، وتقعُ من النفوس أحسنَ مواقعها ، وجلّها فيشكوى الزمان وأهله ، وهجاءِ شعراء عصره . ويشبه شعرُهُ في الملاحةِ وقلة مجاوزة البيتين والثلاثة شعرَ ابنِ فارس . وأُقَدِّرُ أنه بالجبال كهو بالعراق . وكان يقال : إذا رمى منصورُ الفقيه برجومِهِ قتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيتَ والبيتين أغربَ بما جلب وأبدعَ بما يصنع ، فأما إذا قصَّد فقلّما ينجح ويفلح .

---

١ اليتيمة : أثرت .

٢ ورد في الذخيرة، القسم الثاني : ٦٣٣

٣ اليتيمة ٢ : ٣٤٦

٤ اليتيمة ٢ : ٣٤٨

وفي فصل[1] :

ابن نباتة : من فحول الشعراءِ في عصره وآحادِهم ، وصدورِ مجيديهم وأفرادهم ، الذين أخذوا برقابِ القوافي وخوارق[2] المعاني . وشعرُهُ مع قُرْبِ لطفه بعيدُ المرام مستمرٌّ النظام، يشتمل من حرِّ الكلام على غررٍ كقطع الروض غبَّ القَطْرِ ، وفِقَرٍ كالغنى بعد الفقر ، وبدائعَ أحسنَ من مطالع الأنوار ، وعهدِ الشباب ، في أرقّ من نسيم الاسحار وشكوى الأحباب .

وفي فصل[3] :

السلامي : من أشعرِ أهلِ العراق قولاً بالاطلاق ، وشهادةً بالاستحقاق ، وعلى ما أجريتُ من ذكره ، شاهدُ عدلٌ من شعره ، الذي كتبت من محاسنه نزهة العيون ورقى القلوب وسرَّ النفوس . ولم يزل بحضرة الصاحب بين خير مستفيضٍ ، وجاهٍ عريضٍ ، ونعمٍ بيض ، إلى أن آثر قَصْدَ حضرةِ عضد الدولة بشيراز ، فجهَّزَهُ الصاحبُ إليه وزوَّده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف قال فيه : « باعة الشِّعْرِ أكثر من عدد الشَّعر ، ومنْ يُوثَقُ أن حليته التي يؤديها من نَسْجِ فكره أقلُّ من ذلك ؛ وممن خبرتُهُ بالامتحان فأحمدته ، وَفَرَزْتُهُ بالإحسان واخترته[4] ، أبو الحسن السلامي . وله بديهةٌ قوية ، تُوفي على الرويّة ، ومذهبٌ/[١٦٦] في الاجادة يَهَشُّ السمعُ لوعيه ، كما يرتاحُ الطرفُ لرعيه ، وقد امتطى أَمَلَهُ ـ وَخِيرَ له ـ الى الحضرةِ الجليلة رجاء أن يحصلَ في سواد أمثاله ، ويظهر معه بياضُ حاله ، فجهزتُ منه أميرَ الشعر في موكبه[5] ، وحلَّيتُ فَرَسَ[6] البلاغة

---

١ اليتيمة ٢ : ٣٨٠

٢ اليتيمة : وملكوا رقّ .

٣ اليتيمة ٢ : ٣٩٦ ، ٤٠١

٤ في الأصل : واختبرته .

٥ في الأصل : مركبه .

٦ في الأصل : فارس

بمركبه ، وكتابي هذا رائدُهُ هذا إلى القَطْر ، بل مَشْرَعُهُ إلى البحر » .

فاشتمل عليه جناحُ القَبول ، وَدُفِعَ إليه مفتاحُ المأمول ، واختصّ بخدمةِ عضد الدولة في مقامه وظعنه إلى العراق ، وتوفّر حظُّهُ من صلاته وخلعه ، واللها تفتح اللهى . وكان عضد الدولة يقول : « اذا رأيتُ السلاميَّ في مجلسٍ ظننتُ أنّ عُطارِدَ قد نزل من الفلك إليّ ، ووقف بين يدي » .

وفي فصل[1] :

ابن سكرة الهاشمي : شاعرٌ متّسعُ الباعِ ، في أنواعِ الإبداع، فائقٌ في قولِ الطرف والملح ، وأحد[2] الفحول والأفراد ، جارٍ في ميدان المجون والسخف ما أراد .

وفي فصل[3] :

ابن الحجاج : وإن كان في اكثر شعره لم يستترْ من العقل بِسَجْف ، ولا بنى جلَّ قوله إلا على سخف ، فانه من سَحَرَة الشعر ، وعجائبِ العصر ، وفردُ زمانه في فنّه الذي شُهِرَ به ، لم يُسْبَقْ إلى طريقته ، ولا لُحِقَ شأوه في نمطه ، ولم يُرَ كاقتداره على ما يريده من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها وانتظامها في سلكِ الملاحة ، وان كانت مفصحَةً عن السخافة ، مشوبةً بلغاتِ المكدّين واهلِ الشطارة ، ولولا أن جِدَّ الأدب وهزله جدٌّ لصنتُ كتابي عن كثيرٍ من كلام من يمدّ يدَ المجون فيعركُ بها أذنَ الحزم ، ويفتح جرابَ السخف فيصفعُ به قفا العقل .

وفي فصل[4] :

القاضي ابن معروف : شجرةُ فضلٍ عودُها أدبُ وأغصانها علمٌ وثمرتها عقلٌ وعروقها شرف ، تسقيها سماءُ الحرية ، وتغذّيها أرضُ المروّة .

---

١ اليتيمة ٣ : ٣

٢ في الأصل : وصدور .

٣ اليتيمة ٣ : ٣١ .

٤ اليتيمة ٣ : ١١٢

وفي فصل[1] :

أبو الفرج الاصبهاني الأصل ، البغداديّ المنشأ : كان من أعيانِ أدبائها وأفرادِ مصنفيها ، وله شعر يجمعُ إتقانَ العلماءِ وإحسانَ الظرفاء الشعراء .

وفي فصل[2] :

الشريف أبو الحسن الموسويّ : [يتحلىّ مع محتده الشريف] ومفخره المنيف بأدبٍ ظاهر ، وفضلٍ باهر ، وحظّ من جميع المحاسن وافر ،ثم هو أشعرُ الطالبيين مَنْ مضى منهم ومن غبر ، ولو قلتُ إنه أشعرُ قريش لم أُبْعِدْ عن الصدق ، وقد شهدَ بما أجريتُ من ذكره ، شاهدٌ عدل من شعره العالي القِدْح ، الممتنع عن القَدْح ، يجمعُ إلى السلاسةِ متانة ، والى السهولةِ رصانة ، ويشتملُ على معانٍ يَقْرُبُ جناهَا ، ويبعدُ مداها .

وفي فصل[3] :

الصاحب بن عباد : ليس تحضرني عبارةٌ أرضاها للإفصاح عن علوِّ محلّه في العلم والأدب ، وجلالةِ شأنه في الجود والكرم ، وتفرده بغاياتِ المحاسنِ والشيم ، وجمعه أشتاتَ المفاخر ، لأن قولي ينخفضُ عن أدنى فضائله ومعاليه ، وجهدُ وصفي يقصرُّ عن أيسرِ فواضله ومساعيه ، ولكني أقول : كانت همته في مجدٍ يشيّده ، وإنعام يُجَدّده ، وفاضلٍ يصطنعه ، وكلامٍ حَسَنٍ يسمعه أو يصنعه ، ولما كان نادرةَ عطاردَ في البلاغة ، وواسطةَ عقدِ الدهر في السماحة ، جُلِبُ إليه من الآفاق وأقاصي البلاد كلُّ خطاب جزل ، وقولٍ فصل ، وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام ، وبدائع الأفهام ، ومجلسه مجمعاً لصوبِ العقول وذوب العلوم[4] ونثارِ الخواطرِ ودررِ القرائح ، فبلغ من البلاغة ما يُعَدُّ في السحر ويكادُ يدخلُ في حدِّ الاعجاز ، وسار

---

١ اليتيمة ٣ : ١١٤

٢ اليتيمة ٣ : ١٣٦

٣ اليتيمة ٣ : ١٩٢

٤ في الأصل : العقول .

كلامُهُ مسيرَ الشمس ، [واحتفَّ] به من نجوم الأرض وأفرادِ العصر وأبناء الفضلِ وفرسان الشعر ما يُرْبي عددهم على شعراءِ الرشيد ولا يقصرّون عنهم في الأخذ برقاب المعاني وملك رقّ القوافي ، فانه لم يجتمع بباب أحدٍ من الخلفاء ما اجتمع بباب الرشيد من فحولة الشعراء .

وفي فصل[1] :

أبو دلف الخزرجي : شاعرُ كثيرُ الملح والطُّرَف ، مشحوذُ المدية في الكدية ، خنَّق التسعين في الاضطراب والاغتراب ، وركوبِ الأسفار الصعاب ، وضرب صفحةَ المحراب[2] بالجراب ، وخدمة العلوم والآداب .

وفي فصل[3] :

القاضي الجرجاني : فرد الزمان ونادرة الفلك ، وإنسانُ حَدَقَةِ العلم ، وقبة[4] تاج الأدب ، وفارسُ عسكرِ الشعر ، يجمعُ خطَّ ابنِ مقلة إلى نثر الجاحظ ونظمِ البحتري ، وينظمُ عقدَ الاتقان والاحسان في كلٍّ ما يتعاطاه .

وهذه أيضاً جملة من شعره

زاره الأمير أبو الفضل الميكالي فكتب إليه[5] :

لا زال مجـدُكَ للسِّماكِ رسيلا ... وعلـوُّ جَـدِّكَ بالخلـودِ كفيلا
يا غرّةَ الزمـنِ البهيم إذا غدا ... هذا الـورى[6] لزمانـه تحجيلا/[١٦٧]
يا زائـراً مدَّت سحائـبُ طَوْلِهِ ... ظـلاً علـيَّ من الجمال ظليلا
وأتـتْ بِصَـوْبِ جواهـرٍ من لفظه ... حتـى انتـظمـن لمفـرقـي إكليلا

١ اليتيمة ٣ : ٣٥٦
٢ في الأصل : الحراب .
٣ اليتيمة ٤ : ٣
٤ اليتيمة : ودرة . ٥ زهر الآداب : ٣١٢
٦ زهر : أهل العلا .

بأبـي وغـير أبـي هـلال نورُهُ   يسـتعمـلُ التسـبيـحَ والتهليلا
نقشـتْ حوافـرُ طِرْفِـهِ في عَرْصَتي   نقشـاً محوتُ رسومَـهُ تقبيلا
ولو استطعـتُ فرشـتُ مسقـطَ خطوه   بجفـون عـينٍ[1] لا ترى التكحيلا
ونثـرتُ روحـي بعدمـا ملـكت يدي   وخـررتُ بـين يديْ هواهُ قتيلا

وقال فيه[2] :

لكَ في المفاخـر معجـزاتٌ جَمَّةٌ   أبـداً لغـيركَ في الـورى لم تُجْمَعِ
بحـران : بحـرٌ في البلاغـة شابَهُ   شعـرُ الـوليد وحسـنُ لفـظِ الأصمعي
كالنّـور او كالسحـر أو كالبـدر أو   كالـوشي في بُرْدٍ عليه موشّع
شكراً فكم من فقـرةٍ لك كالغنى   وافى الـكريمَ بُعَيْدَ فقـرٍ مدقع
واذا تفتّـق نَوْرُ شعـرك ناضراً   فالحسـنُ بـين مرصَّـع ومصرّع
أرجلتَ فرسـانَ الـكلام ورضـت أفـــراسَ البـديع وأنـت أمجـدُ مبدع
ونقشـت في فصِّ الزمـانِ بدائعاً   تُزْري بآثـارِ الـربيع المرع

وله إليه جواباً عن كتاب ورد عليه[3]:

أنسيمُ الـرياضِ حولَ الغدير   مازجَتْـهُ ريّـا الحبيبِ الأثيرِ
أم ورودُ البشـير بالنجـح من فـــكٍّ أسـيرٍ أم يُسرِ أمـرٍ عسير
في ملاء من الشبـابِ جديدٍ   تحـتَ أيكٍ من التصابـي نضير
أم كتّـابُ الأمـيـر سيّدنـا الفر   دِ فيـا حبّـذا كتـابُ الأمير
وثمارُ السـرورِ مـا أجتنيه   في سطـورٍ فيهـا شفـاءُ الصدور
نمقتهـا أنـامـلٌ تفتـقُ الأنـــوارَ والزهـرَ في رياض السطور

١ زهر : بعيون عين .
٢ زهر الآداب : ١٣٧ واليتيمة ٤ : ٣٥٥
٣ زهر الآداب : ١٣٨ .

كالمنى قد جُمِعْنَ في النّعم الغُـرّ مع الأمن من صروف الدهور
يا أبا الفضل يا ابنه يا أخاهُ جلَّ باريك من لطيف خبير
شيم يرتضعن دَرّ المعالي ويعبّرنَ عن نميم العبير
وسجايا كأنهنّ لدى البشـر رضابُ الحيا بأَرْي مشور
ومحيّا لدى الملوك محيّا صادق البشر مخجل للبدور

فأجابه الأمير أبو الفضل بأبيات منها[1] :

وهديّ زُفَّتْ الى السمع بكرٍ تتهادى في حِلْيَةٍ وشذورِ
عجب الناسُ إذ بدت من سوادٍ في بياضٍ كالمسكِ في الكافور
نُظمتْ من بلاغةٍ ومعانٍ مثلَ نظم العقود فوق النحور
كم تذكرتُ عهدَها[2] من عهودٍ للتلاقي في ظلّ عيش نضير
فذممتُ الزمانَ إذ ضَنّ عنّا باجتماعٍ يضم شملَ السرور
ولئن راعنا الزمانُ[ببينٍ ألبسَ] الأُنسَ ذلّةَ المهجور
فعسى الله أن يعيدَ اجتماعاً في أمانٍ من حادثاتِ الدهور
إنه قادرٌ على ردّ ما فا ت وتيسيرِ كلِّ أمرٍ عسير

١ زهر الآداب : ١٣٨
٢ زهر : عندها .

فصل في ذكر الشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري[1]

واجتلاب جملةٍ من كلامه

كان أبو اسحاق هذا صدرَ النديّ ، ونكتةَ الخبرِ الجليّ ، وديوانَ اللسان العربي ، راضَ صعابَهُ ، وسلكَ أوديتَهُ وشعابَهُ ، وجمع أشتاتَه ، وأحيا مواتَهُ ، حتى صار لأهله إماما ، وعلى جدّه وهزلِهِ زماما ، وطنّتْ به الأقطار ، وَشُدَّتْ إليه الأقتابُ والأكوار ، وأُنفِقَتْ فيما لديه الأموالُ والأعمار ، وهو يقذفُ البلادَ بدررٍ صدفُها الأفكار ، وسلوكٍ ناظمها الليلُ والنهار ، عارضَ أبا بحرٍ الجاحظ بكتابه الذي وسمه بِـ « **زهر الآداب ، وثمر الألباب** » ، فلعمري ما قَصُرَ مداه ، ولا قَصَّرَتْ خطاه ، ولولا أنه شغَلَ اكثرَ أجزائه وأنحائه ، ومرج يحبو حمَى أرضه وسمائه ، بكلام أهلِ العصرِ دونَ كلام العرب ، لكان كتابَ الأدب ، لا ينازعه ذلك إلا من ضاق عنه الأمد ، وأعمى بصيرته الحسد . ثم أخذ[2] بعد ذلك في إنشاء التواليف الرائقة ، والتصانيف الفائقة ككتاب « **النور والنور** »[3] وكتاب « **المصون من الدواوين** »[4] ، الى عدّةٍ رسائل وأشعار ، أندى من نسيم الاسحار ، وأذكى من

---

١ ترجمة الحصري أبي اسحاق في معجم الادباء ٢ : ٩٤ ـ ٩٧ وابن خلكان ١ : ٥٤ والوافي للصفدي ٦ : ٦١ ومسالك الأبصار ١١ : ٣٠٩ وعنوان الأريب ١ : ٤٣ ؛ وقد اختلف في وفاته فقال ابن رشيق كما نقل عنه ياقوت توفي سنة ٤١٣ وقال ابن بسام سنة ٤٥٣ ورجح ابن خلكان القول الأول دون ان يذكر سبباً لذلك ، ولعله اعتمد على ان ابن رشيق أدرى بذلك من غيره؛ ونقل الصفدي عن كتاب الجنان لابن الزبير أن الحصري ألف زهر الآداب سنة ٤٥٠ .

٢ في المسالك : ثم غبر ؛ ص : ثم أجد .

٣ يسميه الصفدي : نور الظرف ونُور الطَّرف ، ويقول إنه اختصر فيه كتابه زهر الآداب ، وينقل التجاني في تحفة العروس : ١١٥ عما يسميه كتاب النورين للحصري وكذلك يسميه ياقوت ، ومرة اخرى ينقل التجاني عن نور الطرف : ١٣٨ ؛ وانظر عيون التواريخ (الفاتح رقم : ٤٤٤١) ٧ : ٥٧ ب .

٤ يسميه الصفدي : المصون في سرّ الهوى المكنون ، وعند ياقوت ، المصون والدرّ المكنون ؛ ومن هذا الكتاب نسخة بخزانة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة ، ذكرها الدكتور محمد بن سعد الرويشد في مقارنة أجراها بين طوق الحمامة والمصون (مجلة الفيصل ، السنة الأولى ، عدد ١٠ ص ١٦ ـ ٢١) وانظر بروكلمان ١ : ٢٦٧ .

شميم الأزهار؛ وقد أخرجتُ من كلامه ما لا ينكر فضله ، ولا يُنشي مثلَه إلا مثلُهُ ، وكانت وفاته ـ فيما بلغني ـ سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

فصول من كلامه اندرجت في تواليفه ، من نثره ونظامه

فصل[1] :

ولبني عليّ أهلِ البيتِ كلامٌ يعرضُ في حلى البيان ، وَيُنْقَشُ في فصِّ الزمان ، وَيُحْفَظُ على وجه الدهر ، ويفضحُ عقائلَ الدرّ ، ويكتحلُ بنور الشمس . ولم لا يطوون ذيولَ البلاغة ، ويجرّون فضولَ البراعة ، وأبوهم الرسول ، وأمُّهم البتول ، وكلهم/[١٦٨] قد غُذِيَ بِدَرِّ الحلم ، وربي في حِجْرِ العلم .

ما منهمُ إلا مُرَدًّى بالحجى أو مُبْشَرٌ بالأحوذيّةِ مؤدَمُ

وفي فصل[2] :

البديع : اسمٌ وافقَ مسمّاه ، ولفظٌ طابقَ معناه ، وكلامُهُ غضُّ المكاسر ، أنيقُ الجواهر ، يكادُ الهواءُ يسرقُهُ لطفاً ، والهوى يعشقه ظرفاً . ولما رأى ابن دريد قد أغربَ بأربعين حديثاً وذكر أنه استنبطها من ينابع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للافكار والضمائر ، في معارضَ حوشيّةٍ ، وألفاظٍ عنجهية ، فجاء اكثر ما أظهرَ تنبو عن قبوله الطباع ، ولا ترتفع له حجبُ الأسماع ، وتوسَّع فيها ، إذ صرَّف ألفاظها ومعانيها ، في وجوهٍ مختلفة ، وضروبٍ متصرّفة ، عارضه بأربعمائة مقامةٍ في الكدية تذوبُ ظرفاً وتقطر حسناً ، لا مناسبة بين واحدةٍ منها لفظاً ولا معنى ، عطف مساجلتها ، ووصفَ مناقلتها ، بين رجلين يسمّى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبو الفتح الاسكندري ، وجعلهما يتهاديان الدرَّ

١ زهر الآداب : ٥٦ والمسالك : ١٣٠

٢ زهر الآداب : ٢٦١ .

ويتنافثانِ السحر ، في معانٍ تُضْحِكُ الحزين ، وتحرّكُ الرصين يطالَعُ منها كل طريفة، ويوقّفُ منها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ، وخصَّ بعضَهما بالرواية .

وفي فصل[1] :

هذا كتابٌ اخترتُ [فيه] قطعةً كافيةً من البلاغة في الشعر والخبر، والفصول [والفقر]، مما حسن لفظه ومعناه ، واستُدِلَّ بفحواه على مغزاه ، ولم يكن شارداً حوشياً ، ولا ساقطاً سوقياً ، بل كان جميعُ ما فيه من ألفاظه ومعانيه :

في نظامٍ من البلاغة ما شكَّ امرؤ أنه نظامُ فريدِ[2]
حُزْنَ مستعملَ الكلام اختياراً وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبنَ اللفظَ القريبَ فأدركنَ به غايةَ المراد البعيد

كتابٌ يتصرّفُ فيه الناظرُ من نثره الى شعره ، ومطبوعه إلى مصنوعه ، ومحاورته الى مفاخرته ، ومناقلته الى مساجلته ، وخطابه المبهت ، الى جوابه المسكت ، وتشبيهاته المصيبة ، الى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة ، إلى أمثاله السائرة ، وجدِّه المعجب ، إلى هزله المطرب ، وجزله الرائع ، إلى رقيقه البارع . وقد نزعتُ فيما جمعتُ عن ترتيب التبويب ، وعن إبعاد الشكلِ عن شكله ، وإفراد الشيء من مثله ، فجعلتُ بعضه مسلسلاً ، وتركتُ بعضه مرسلاً ، ليحصلَ محرَّرَ النقد ، مقدَّرَ السَّرْدِ ، قد أخذ بطرفي التأليف ، واشتمل على حاشيتي التصنيف . [وقد يعزُّ] المعنى فأُلحقُ الشكلَ بناظره ، وأُعْلِقُ الأولَ بآخره ، وتبقى منه بقيةٌ أفرقها في سائره ، ليسلمَ من التطويل المملّ ، والتقصير المخلّ ، وتظهرَ في الجميع فائدةُ الاجتماع ، وفي التفريق لذاذةُ الإمتاع ، فيكملُ منه ما يونقُ القلوبَ والأسماع ، إذ

---

١ زهر الآداب : ١

٢ الابيات للبحترى في ديوانه : ٦٣٦ ـ ٦٣٧

كان الخروج من جِدٍّ إلى هزل ، ومن حَزْنٍ الى سَهْل ، أنفى للكلل ، وأبعدَ من الملل ؛ وقد قال أبو العتاهية[١]:

لا يصْلحُ النفسَ إذ كانــت مصرَّفةً   إلا التنقــلُ من حالٍ إلى حالِ

وفي فصل[٢] :

ومعلومٌ أنه ما انجذبت نفسٌ ، ولا اجتمع حِسٌّ ، ولا مال سرّ ، ولا جال فكر ، في أفضل من معنىً لطيف ، ظهر في لفظٍ شريف ، فكساهُ من حُسْنِ الموقع قبولاً لا يُدْفَع، وأبرزه يختالُ من صفاء السبكِ ونقاءِ السلكِ وصحةِ الديباجة وكثرة المائية في أجمل حُلّة ، وأجلِّ حلية .

والمعنى اذا استدعى القلوبَ إلى حفظه ، بما ظهر في مستحسنِ لفظه ، من بارع عبارة ، وناصع استعارة ، وعذوبةِ مَوْرِد ، وسهولة مَقْصِد ، وحسن تفصيل ، وإصابةِ تمثيل ، وتطابُقِ أنحاء وتجانسِ أجزاء ، وتمكّن ترتيب ، ولطافة تهذيب ، مع صحّةِ طبع وجودة إيضاح ، يثقّفه تثقيف القداح ، ويصوّره أفضلَ تصوير ، ويقدّره أكمل تقدير ، [فهو مشرق في جوانب السمع] .

وان كنت[٣] قد استدركتُ على كثير ممن سبقني إلى مثلِ ما أجريتُ إليه ، واقتصرتُ في هذا الكتاب عليه ، لمح أوردتها كنوافثِ السحر ، وفِقَرٍ نظمتها كالغنى بعد الفقر ، من ألفاظِ أهلِ العصر ، في محلول النثر ، ومعقودِ الشعر ؛ ولهم من لطائف الابتداع ، وتوليداتِ الاختراع ، أبكارٌ لم تفترعها الأسماع ، يصبو اليها القلبُ والطرف ، ويقطرُ منها ماء الملاحة والظرف، وتمتزج بأجزاء النفس ، وتسترجعُ نافرَ الأُنْسِ ، تخللت تضاعيفَه ، ووشحت تآليف ، وطرَّزتْ ديباجَه[٤] ورصعت تاجه ،

١ ديوان أبي العتاهية : ٣٢١
٢ زهر الآداب : ٣
٣ زهر الآداب : ٤
٤ في الأصل : ديباجاته .

ونظمت عقوده ، ورقمتْ بروده ، فَنَوْرُها يَرِفّ ، ونُورها يَشِفّ ، في روضٍ من الكلم مونق ، ورونق من الحكم مشرق .

وفي فصل[1] :

إلى هذا المكان أمسكتُ العنانِ . والإطنابُ في هذا الكتاب يعظمُ ويتسعُ ، بل يتّصلُ ولا ينقطع ، إذ كان غرضي فيه ، أن أُلِمَّ من معانيه ، ثم أنجرُّ معه حيث انجرَّ ، وأمرُّ فيه كيف/[١٦٩] مرَّ ، وآخذ في معنى آخر غير موصول بشكله ، ولا مقرونٍ بمثله ، وقد أحلُّ نظاماً وأفردُ تؤاماً ، نشراً لبساط الانبساط ، ورغبةً في استدعاء النشاط .

وهذا التصنيفُ لا تُدْرَكُ غايتُهُ ، ولا تُبْلَغ نهايته ، إذ المعاني غيرُ محصورةٍ بعدد، ولا مقصورةٍ إلى أمَدَ ، وقد أبرزتُ في الصدر ، صحيفةَ العذر ، يجولُ فرندها ، ويثقبُ زَنْدُهَا ، ومن ركبَ مطيّةَ الاعتذار ، واجتنبَ خطيّةَ الإصرار ، فقد خرجَ من تبعة التقصير ، وبرز من عُهْدَةِ المعاذير ، وإن أحــق ما احْتُكِمَ إليه ، واقْتُصِرَ عليه ، الاعترافُ بفضلِ الانصاف ، فليعلمْ من ينصفُ أن الاختبارَ ليس يُعْلَمُ ضرورةً ، ولا يوقَفُ له على صورة ، فليكثرِ الإغماض ، وليقلَّ الاعتراض ، ولو وقع الإجماعُ على ما يرضي ويسخط ، ويثبتُ ويسقط ، لارتفع حجاجُ المختلفين في أمر الدنيا والدين .

وفي فصل :

هو كليلُ الخاطِر ، سقيمُ النفسِ ، صدىء القريحة ، عديمُ الحسِّ ، ذو طبعٍ جاسٍ ، وفهم قاسٍ ، ولله درّ ابن الرومي في قوله[2] :

خفــافيشُ أعشاهــا نهــارٌ بِضَوئِهِ   ولاءَمَهــا قِطْــعٌ من الليل غيهبُ

١ زهر الآداب : ١٠٩١

٢ ديوان ابن الرومي : ١٥٧

بهائم لا تصغي إلى شدوِ معبدٍ فأمّا على جافي الحداءِ فتطرب

قد تعوّد ليَّ الألسنِ بالسِّباب ، وَغَمْزَ الأعينِ على الأصحاب ، واستعمل الملقَ والكِذابَ ، فهو بين جاهلٍ متغافل ، قد حُشِيَ قلبُه رَيْناً ، وملىءَ لسانُه مَيْناً ، وبين مَنْ سمائمُ نمائِمِه تلذع ، وعقاربُ مكايدهِ تلسعُ ، وبين مُعْجَبٍ متصلّف ، باردٍ متكلّف ، لا يرى سيبويه كان على شيء ، كما لا يرى الكسائيَّ قبله :

وإذا ما تذاكرَ الناسُ معنىً من شهيرِ الأشعارِ والمجهولِ
قال هذا لنا ونحنُ كَشَفْنَا عنهُ للمستدلّ والمسئول[2]

فهو كما قال الخوارزميّ : قد أسكرَتْهُ خمرةُ الكبر ، واستهوتْهُ غِرَّةُ التيه ، فخيّل اليه أن كسرى حاملُ غاشيته ، وقارونَ وكيلُ نفقتِهِ ، وبلقيسَ إحدى داياتِهِ ، وأن الشمسَ تطلعُ من جبينه ، والغمامَ يندى من عينه ، فهو يرى ببصرِ جهله لا ببصيرةِ عقله ، وأن امرأ القيس ما بكى بالديار وعرصاتها ، ولا اغتدى والطيرُ في وكناتها ، ولا أحسنَ تقصيدَ القصائد ، وتقييدَ الأوابد ، وأنَّ زياداً[3] لم تُوقَدْ باليفاع نارُهُ ، ولا أعتبَ النعمانَ اعتذاره ، وأن شعره لم يرقَّ حتى يقال : الماءُ أو أسْلَسُ ، ويجزل حتى يقال : الصخرُ أو أملس ، وأنّ زهيراً كان متعاظلَ الكلام ، متداخلَ الأقْسام ، غيرَ مطبّقٍ للمفاصل ، ولا مُصيبٍ للشواكل ، وأمّا طبقاتُ المخضرمين من الاسلاميين فلا يضربون إليه بِقِدْح ، ولا يفوزون عنده بِنُجْحٍ .

فلو أتيناهُ بمستطرفٍ من مُبْدَعاتِ الهزلِ والجدِ
أرقَّ من دمعةِ مهجورةٍ مرهاءَ تمريها يدُ البعد
لو قَرَعتْ سمعَ يزيدٍ سلا بحسن ما يسمع عن هندِ[4]

---

١ ص : سير .

٢ ص : عيبه المسئول والمسئول .

٣ يعني النابغة الذبياني .

٤ ص : من ند .

أعـرضَ عنهـا ثانياً عِطْفَهُ ولـم يُعِرْهَـا عَطفـة الودّ
هذا وقـد لاح بوجـهِ الحجى منهـا ضيـاءُ القمـرِ الفـرد
وأقبلـتْ تختـال في حُلّةٍ مرّتْ عليهـا طُرُزُ الحمـدِ
ومـا يضرُّ الشـمسَ أنْ أصبحت تُعْـرِضُ عنهـا أعـينُ الرمد

***

ومـن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجـدْ مُرّاً به الماء الزلالا

وفي فصل :

قد تقاربتِ الصفاتُ ، وتوازنتِ الذواتُ ، وتكاشَفْنَا لما تعارفنا ، وَرَفعتِ الخلوةُ حجابَ الاحتجابِ ، وحطّتِ الخلطةُ لثامَ الاكتتام ، وكنّا معَ طولِ الامتحانِ والاختبار ، ومدةِ الالتباس والاحتيار ، نقنعُ من ارتفاع القناع بلمحة ، ومن اتقادِ الزنادِ بِقَدْحَة ، ونُبْرِزُ العباراتِ ، من مَعارضِ الاشارات ، وغوامضِ الاستعارات ، في طرازٍ من الأرمازِ يدقُّ عن مسرى السِّحْرِ ، ويرقُّ عن مجرى الخمر :

في تعابيرنـا « اللطـاف اللواتي هي أخْفَـى من مسـتسرِّ الهباءِ»[2]
«بـل من السرّ في ضمـير محبٍّ أدَّبتـه عقـوبـةُ الإفشاء »

ونختلسُ حركاتِ البيان ، في سَكَناتِ الزمـان ، كما اختلس اللفـظَ المحـبُّ الكتوم . فهلمَّ الآن إلى التصريح دونَ التعريض ، والتصحيح دون التمريض ، وتعالَ نتلاطفْ ونتكاشفْ ، إذ قد لبسنا ثوبَ الأمانِ من الزمان .

وفي فصل[3] :

١ ص : الضياع .
٢ استعار البيتين من ابن الرومي ، ديوانه : ٦٧
٣ الابيات في الشريشي ٥ : ٢٢٧

إذا بدا القَلَمُ الأعلى براحتِهِ مطرّزاً لرداءِ الفخرِ بالظُّلمِ
رأيتَ ما اسوّد في الأبصار أبيضَ في بصائرٍ لحظُها للفهم غيرُ عم
كروضةٍ خطرتْ في وشي زهرتها وافترَّ نوّارها عن ثغرٍ مبتسم

وتبرَّجَتْ في حُلَلها وحُلِيِّها ، وابتهجت بِوَسْمِيِّها/[١٧٠] ووليّها ، وكاد الهواءُ يسرقُهُ لُطْفا ، والهوى يعتنقُهُ ظَرفا ، فاجتنيتُ ما اشتهيتُ من خُزاماها وعَرارها ، واجتليتُ ما رأيتُ من خِيريّها وبهارِها ، ولثمتُ خدودَ وردِها وسوسانها ، ورشفتُ ثغورَ أقاحها وحوذانها ، والتقطتُ ما لا تُخْلِقُ الأيام بهجَتَهُ ، ولا تغير الأعوامُ جِدّته ، من نَوْرٍ يُقْطَفُ بالأسماع والأبصار ، وزهرٍ يُتَناوَلُ بالخواطرِ والأفكار ، وسرَّحْتُ الطرفَ في ما يفوتُ الوصفَ ، من غرائب إبداع ، وعجائب اختراع ، لم تفترعها الأسماع .

وفي فصل[١] :

أسهمني من واضح الفجر غُرَّةَ الصباح ، وقسم لي من طائِر الذِكر قادمةَ الجناح ، وألبَسني من التنويه ، ما لا يُعْزَى الى تمويه ، فأصبحتُ أُجيلُ الجوزاءَ على يدِ قُصُور ، والثناءَ على لسان قصير ، ولئن كَبَتْ جيادي ، عن مضمار مُرادي ، وعجزَ لساني ، عما حواهُ جناني ، فتمثلت بقول الزعفراني[٢] :

لي لسانٌ كأنّه لي معادي ليس يُنْبي عن كُنْهِ ما في فؤادي
حكم اللهُ لي عليه فلو أنصفَ قلبي عرفتُ قدرَ ودادي

وقد علمتُ أنَّ شمسَ الخواطر ، إذا جَرَتْ في فلك الضمائر ، اتصل النورُ المبين ، وانفصل الشكُّ من اليقين .

وفي فصل :

١ ورد بعضها في المسالك : ٣١٠

٢ هو أبو القاسم الزعفراني ، وبيتاه في زهر الآداب : ٣٢٤ والأول في المسالك : ٣١٠

فتقنا نوافَج الآرابِ ، عن مسكِ الآدابِ ، ونشرنا طرائفَ المطارف ، عن لطائفِ الزخارف ، وتسالبْنا من أثواب المذاكرة ، وتجاذبنا أهدابَ المحاضرة ، من سانح فِكَر ، وغرائب فِقَر ، ألذَّ من سَمَرٍ بلا سهر ، إلى أنْ أفضينا الى ذكر البيت المظلومِ واجبُ حقوقِهِ ، المسلوكِ به غيرَ طريقه ، على أنه وردَ من صفاءِ السلكِ ، وصحّةِ الديباجة وكثرةِ المائية في أجمل حُلّة ، وأجلّ حِلْية ، فكان كما قلت[1] :

وَمُذْهَبِ الوشي على وجهِهِ ديباجةٌ ليست على الشِّعرِ
كزهرةِ الدنيا وقد أقْبَلَتْ تَرودُ في رونقها النَّضر
أو كالنسيم الغضِّ غبَّ الحيا يختالُ في أرديةِ الفجر

هذا وهو بمحاورةِ الطبع للسمع ، ومباراةِ الخاطر للناظر ، من غيرِ إعمالِ الفكِر ولا تدقيق النظر ، لكنَّ بديهتَكَ إذا أهداها قلبُكَ إلى قلمك ، وأدّاها لسانُكَ عن فهمك ، وأبديتَ بادرةَ ما أهديتَ إلى مَنْ عَهْدُكَ به وهو محرّر للنقد ، مقدَّرٌ على السرد ، أعْرضَ عنه صفحا ، وطوى دونه كشحا ، حتى طال بلا طائلٍ لذيه، ولا طلاوةٍ عليه :

فقلتُ والقلبُ موقوفٌ على حُرَقٍ يبعثن أنفاسَ صدرٍ كاظمٍ وحمٍ
أيُّ القرائح يعفو لمعُ بارقها في عارضٍ من ظلام الليل مرتكم
بحيث لا نحن من إقبال ذي أدبٍ نحظى بنجح ولا إفضال ذي كرم

إذا كان من إليه تتحاكمُ الخصومُ في كلِّ العلوم ، فتقفُ منه الألبابُ على فصل الخطاب ، وفصِّ الصواب ، ووجه الجواب ، يلحظُ ما يجري لأبناء عصره ، وأنشاء دهره ، من سرّ البديع ، الزاهي على زهر الربيع ، والزاري بالوشي الصنيع ، بطرفٍ أسقمَ من أجفانِ الغضبان ، ويعيره وجهاً هو لفرطِ التقطيب ، كوامقٍ فاجأه شخصُ الرقيب ، أو غَزِلٍ طالعهُ وفدُ المشيب ، فأيُّ لبٍّ يصفو مزاجُهُ ، وأيّ قلبٍ يضيء سراجُهُ !

---

١ البيت الأول والثالث في المسالك : ٣١٠

وهذه أيضاً جملة من شعره

حكى أبو علي بن رشيق في كتابه المترجم بـ « **الأُنْمُوذج** » قال : كان أبو إسحاق الحُصْريّ قد نشأ على الوراقةِ والنسخ لجودةِ خطّه ، وكان منزله لزِيقَ جامع مدينة القيروان ، فكان الجامعُ بيتَهُ وخزانتَهُ ، وفيه اجتماعُ الناس إليه ومعه ؛ ونظر في النحوِ والعروضِ ، ولزمه شُبّانُ القيروان ، وأخذ في تأليف الأخبار ، وصنعة الأشعار ، مما يَقْرُبُ في قلوبهم ، فرأسَ عندهم ، وشَرُفَ لديهم ، ووصلتْ تأليفاته صقليّةَ وغيرها ، وانثالت الصلاتُ عليه ، وله شعر كثير . ومن شعره مما أنشده ابن رشيق[1] :

إني أحبّك حبّاً ليس يبلغُهُ فهمي ولا ينتهي وصفي الى صِفَتِهْ
أقصى نهايةِ علمي فيه معرفتي بالعجزِ منّيَ عن إدراكِ معرفته

وأنشد له :

ولقد تنسمتُ الرياحَ لعلّني أرتاحُ أن يبعثنَ منك نسيما
فأثرنَ من حُرَقِ الصبابة كامناً وأذَعْنَ من سرِّ الهوى مكتوما
وكذا الرياحُ إذا مررنَ على لظى نارٍ خَبَتْ ضرَّمنها تضريما

وله[2] :

عليلُ طرفٍ سُقيتُ خمرا من مقلتيه فمتُّ سكرا
ترقرقتْ وجنتاهُ ماءً مازجَ فيه العقيقُ درّا/[١٧١]
يحرِّك الدلُّ منه غصناً ويطلع الحسن فيه بدرا
[قد خط مسك بعارضيه خُلِقْتُ للعاشقين عذرا]

١ البيتان في ياقوت ٢ : ٩٦ وابن خلكان ١ : ٥٤ ـ ٥٥ والوافي ٦ : ٦١
٢ البيت الأول في المسالك : ٣١١ وما بين معقفين زيادة عنه أيضاً ؛ والابيات جميعاً في الشريشي ٥ : ٢٢٧

وقال ، مما لم ينشده ابن رشيق[1] :

تلاحظني صروفُ الدهرِ شزرا   كأنَّ عليَّ للأيامِ وترا
وفي عيني دموعٌ ليس ترقا   وفي قلبي صدوع ليس تبرا
أقلِّبُ في الدجى طرفاً كليلاً   إذا جَيْبُ الظلام عليّ زُرّا
ولو نُشرَ الذي أُطْوَى عليه   على من تحتويه الأرضُ طرّا
أصمَّ مسامعَ الدنيا عويلاً   وهزَّ جوانحَ الأيام ذعرا
فيا مَنْ غاب عن عيْنَيْ مَشُوقٍ   يرى لنواهُ طعمَ العشق[2] مرّا
قرأتُ كتابكَ الأعلى محلاً   لدي وموقعاً ويداً[3] وقدرا
فأحياني وقد غودرتُ ميتاً   وأنْشرَني وقد ضُمِّنْتُ قبرا
نقشتَ بحالك[4] الأنفاسِ نوراً   [جلا] لعيوننا نوراً وزهراً
فدبَّجَ من بسيط الفكر روضاً   أنيقاً مشرقَ الجنبات نضرا
لو استسقى الغليلُ به لروَّى   أو استشفى العليلُ به لأبرا
هفا عطرُ الجنوبِ له نسيمٌ   أقولُ إذا أناسمُ منه نشرا
نشرتَ لنا على الكافورِ مسكاً   ولم تنشرْ على القرطاس حبرا
فيا مَنْ تمسكُ الأوصافُ عنه   أعنَّةَ وَصْفِنا نظماً ونثرا
ومن يدعو القلوبَ إلى مناها   بعينيه فلا تأتيه قسرا
ومن يجري اللآلئَ في أقاحٍ   يمازجُ ظَلْمُهُ بَرَداً وخمرا
ويغرسُ في رياضِ الدلِّ غصناً   وَيُطْلِعُ في سماء الحسن بدرا
كأنَّ بخدّه ذهباً صقيلاً   أذابَ عليه ياقوتاً ودرّا
أُفرّط فيك إن أفرطتُ وصفاً   وأعجزُ عنك إنْ أعجزتُ شعرا

١ منها أبيات في الشريشي ٥ : ٢٣٨
٢ كذا في ص ولعل الصواب « العيش » .
٣ الشريشي : شرفاً .
٤ ص : بنورك .

ولي قلبٌ عليك لما يلاقي يكافحُ من سعير الوجد[1] جمرا
ولولا ما يؤمّلُ من لقاءٍ[2] تقطّع حسرةً وأُذيبَ قهرا
سأسحبُ فيك أذيالَ الأماني وألبسُ تحتَ ثوبِ السقم صبرا
لعلَّ الدهر يُمتِعُ منكَ طرفي وَيُعْقِبُ بعد عُسرِ الحالِ يسرا

وقال :

إلفانِ ضمهما الهوى في خَلْوَةٍ من بعد طولِ تغضّبٍ وتعتُّبِ
فاذا الرقيبُ مُطالعٌ عن غفلة ومكدِّرٌ للمشرب المستعذب
فتفرَّقا عن ساكبٍ متحدّرٍ بعثته حُرْقَةُ جاحمٍ متلهب
وكأنما الوقتُ الذي سعدا به حُلُمٌ سرى أو قِطْعُ برقٍ خُلَّب
ليتَ الذي خلقَ الرقيبَ أصابه بعمىً يسدُّ عليه نهج المذهب

قوله في ما تقدم : « وكذا الرياح اذا مررنَ على لظى » .. البيت ، كقول ابن الرومي :

لا تغرينَّ جوىً بلومٍ إنه كالريح تغري النارَ بالإحراقِ

وقال يحيى بن هذيل القرطبي[3] :

روَّحني عاذلي فقلتُ له مَهْ . لا تَزِدْني على الذي أجِدُ
أمَا ترى النارَ وهي خامدةٌ عند هبوبِ الرياحِ تتّقِدُ

وحكى أبو صفوان العتكي بصقيلية قال[4] : كان أبو اسحاق الحصري يختلف إلى بعض مشيخة القيروان ، وكان ذلك الشيخ كلِفا بالمعذّرين [من] الغلمان ، وهو القائل فيهم :

---

١ ص : اليك ، ولعلها « البين »
٢ ص : بقاء .
٣ وردا في القسم الأول من الذخيرة : ٦٢١ منسوبين لابن اللبانة .
٤ وردت القصة والأبيات في الشريشي ٣ : ١١٧ وابن خلكان ١ : ٣٩٤ (نقلاً عن الذخيرة)

ومعــذّرينَ كأنَّ نبــتَ خدودهم أقــلامُ مســكٍ تستمــدُّ خَلُوقــا
قَرَنُــوا البنفســجَ بالشــقيقِ ونظّموا تحــت الزبرجــد لؤلــؤاً وعقيقا
فهــمُ الــذينَ إذا الخليُّ رآهمُ وجــد الهــوى بهــمُ إليه طريقا

وكان يختلفُ إليه غلامٌ من أعيانِ أشرافِ القيروان ، وكان به كلفاً ، فبينا هو يوماً والحصري قد أخذ في الحديث إذ أقبل الغلام :

في صورةٍ كَمُلَــتْ فخلــتُ بأنّها بدرُ السماءِ لستــةٍ وثمانِ
يُغْشي العيونَ ضياؤهــا فكأنها شمسُ الضحــى تَغْشَى بهــا العينان

فقال له الشيخ : يا حصريّ ، ماذا تقول في من هام بهذا القدّ ، وصبا بهذا الخدّ ؟قال له الحصريّ:الهَيَانُ به والله غايةُ الظَّرْفِ، والصبوةُ إليه من تمام اللطف ، لاسيا اذا شاب كافور[1] خدّه ذلك المسك الفتيت ، وهجم على صبحه ذلك الليلُ البهيم ، والله ما خلتُ سوادَهُ في بياضه إلا بياضَ الايمانِ في سوادِ الكفر[2] وغيهبَ الظلماءِ في منير الفجر . فقال : صِفْهُ يا حصري ، قال : منْ مَلَكَ رِقَّ القولِ حتى انقادت له صعابُهُ ، وذُلِّلَ له جموحه حتى سَطَع له شهابُه ، أقعدُ مني بذلك ، فقال : صفه ، فاني معمل[3] فكري في ذلك ، فأطرقا ساعة فقال الحصري[4] :

أورد قلبــي الــردى لامُ عــذارٍ بــدا
أســودُ كالــكفــر فــي أبيــض مثــل الهدى

فقال له الشيخ :أتراك/[١٧٢] اطلعت على [ضميري أو خضت بين جوانحي وزفيري ؟ قال : لا ؛ ولمَ ذاك ؟] قال : لأني قلت :

١ الشريشي : شام كافوره . ص : شيب
٢ ص : الكفران .
٣ ص : فاني نعمل : وهي بعامية الاندلس والمغرب .
٤ ابن خلكان ١ : ٥٥ ، ٣٩٤

حـرَّك قلبـي فطارْ صـولـجُ لامِ العـذارْ
أسـودُ كالليــل في أبيـضَ مثـلِ النهـار

فصل في ذكر الأديب الكامل أبي عليّ بن رشيق المسيلي[1]

وسياقة طرف من غرائب أشعاره ، وعجائب أخباره

بلغني أنه ولد بالمسيلة وتأدَّبَ بها قليلاً ثم ارتحل الى القيروان سنة ست وأربعمائة.وكان أبو عليّ ربوةً لا يبلغها الماء،وغايةً لاينالهاالشدّ والارخاء[2].محله من السهم ، محلُّ الصوابِ من الحُكْم ، واقتدارُهُ على النثر والنظم ، اقتدارُ الوتـر على السهم ، إن نظم طافَ الأدبَ واستلمَ ، أو نثرَ هلَّلَ العلم وكبر ، أو نقد سعى الطبعُ الصقيل وحَفَد،أو كتب سجد القلم الضئيل واقترب . ولم يكن لأهلِ افريقية قديماً في الأدب نبعٌ ولا غَرَب ، ولا من لسانِ العرب وِرْدٌ ولا قَرَب ، يدلُّ على ذلك ما وصف به أبو عليّ البغداديّ أهلَ القيروان ، وقد أثبتّه في موضعه من صدرِ هذا الديوان[3] . ورأيتُ ديواناً مجموعاً في أشعارِ قدماءِ أهلِ افريقية هو بالبكم أشبه ، وفي لسان العجم أنْوَهُ وأنْبَه ، هذا وأجنادها على قِدَمِ الدهرِ العربُ العاربة ، وقوّادها الأغالبةُ والمهالبة ، فلما زال ملكها عن أيدي العرب ، تدفَّقَتْ بها بحورُ الأدب ، وطلعتْ منها نجومُ الكتب ، وَرَمَتْ أقاصي البلاد ، بمثل ذُرَى الأطواد ، وسمعنا بزهرِ الآداب ، وأنموذج الشعرِ اللباب ، وبفلان وفلان ، من كلِّ فارس ميدان ، وبحـرِ

---

١ ترجمة ابن رشيق في الخريدة ٢ : ٢٣٠ وانباه الرواة ١ : ٢٩٨ ومعجم الأدباء ٨ : ١١٠ وابن خلكان ٢ : ٨٥ (وفيه نقل عن الذخيرة) ومسالك الأبصار ١١ : ٢٢٧ وشذرات الذهب ٣ : ٢٩٧ وبغية الوعاة : ٢٢٠ وعنوان الأريب ١ : ٥٢ وللاستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب بساط العقيق في تاريخ القيروان وشاعرها ابن رشيق ، وللدكتور عبد الرحمن ياغي كتاب عنه ؛ وقد جمع شعره الميمني في النتف ثم ياغي ، ولا يزال كثير من شعره غير مضمّن في هذين المجموعين وخاصة جانب غير قليل مما أورده ابن بسام .

٢ المسالك : وغاية لا تنالها الوجناء .

٣ راجع القسم الأول : ١٤ ـ ١٥ .

بلاغةٍ وبيان ، وقال أبو علي بن رشيق ، وما أبو عليّ ؟ شعاعُ القمر ، وحديثُ السمر ، ومعجزةُ الخُبْر والخَبر ، فاتَ الأواخرَ والأوائلَ ، وأسْكَتَ المناظر والمماثل .

ولما طلع نجم[١] النحوس ، بملك[٢] المعز بن باديس ، وخرج الى المهدية بسماءٍ كاسفةِ الأقمار ، وَذَماءٍ أقصرَ من ظِمْءِ الحمار ، كان أبو علي ممن انحشر في زمرته المحروبة ، وتحيز إلى فئته المفلولةِ المنكوبة ، فأقام معه بها أَنَفَةً من الجلاء ، وإشفاقاً من فرقة الأحبّةِ والخلصاء ، وغشي المهديةَ أسطولُ الروم فأصبح البحر ثنايا ، تُطْلِعُ المنايا ، وآكاماً تحملُ موتاً زؤاما ، فدخل يومئذ على تميم[٣] حين وضح الفجرُ ، وقد تمَّ الذعر ، وضاق ذاتُ الصدر ، فوجده في مصلاّه والرقاعُ عليه تَرِدُ ، والشمعُ بين يديه يتّقد ، فقام على رأسه يُنشد قصيدتَهُ التي أولها :

تثبتْ لا يخامِرْكَ اضطرابُ   فقد خضعتْ لعزّتكَ الرقابُ

فقال له : مَهْ ، أحال عهدك أم تغير ، أم قد أدبر بك الزمان في ما أدبر ؟ ويلك ! متى عهدتني لا أتثبت ؟ إذا لم تجئنا إلا بمثل هذا فمالك لا تسكت عنّا ؟ وأمر بالرقعة التي كانت فيها القصيدة فمزّقتْ ، ولم يقنعه ذلك حتى أدْنَوْهَا إلى السراج[٤] فأُحرقت ، فخرج ابن رشيق يومئذ من عنده على غير طريق ، لا يعقلُ ما يطأ ، ولا يدري إلى أين ينكفىء ، وكان وجهه إلى صقيلية ، وكان ابنُ شرفٍ قد سبقه إليها ، ووفد قبله عليها ، وكان وقع بينهما بالقيروان ، [ما وقع] بين الخوارزميِّ وبديعِ الزمان ، من مناقضاتٍ ومعارضاتٍ ، شحذتِ الطباعَ ، وملأتِ العيونَ والأسماع ، وتجاوزتِ الإحسانَ والإبداع ، فلما اجتمعا يومئذٍ بصقيلية تنمَّرَ بعضهما لبعض ، وتشوَّفَ أعلامُ البلد لما كان بينهما من إبرامٍ ونقض ، وقصد ابنَ رشيق

١ المسالك : نجوم .
٢ المسالك : بسماء .
٣ المسالك : المعز ؛ وهو أصوب
٤ المسالك : الشمع

بعضُ إخوانه وقال له : أنتما عَلَما الإحسان ، وشيخا أهلِ القيروان ، وقد أصبحتما بحالِ جَلاء ، وبين أعداء[1] ، والأشبهُ بكما ألاّ تَفرِيا أديمَكما ، ولا تُطْعِما الأعداءَ لحومكما ، فقد كان يحميكما السلطانُ ، ويمحو كثيراً من مساويكما الإخوان ، فقال له:إيتِ ابنَ شرف فخذْ عهدَهْ بذلك،فلستُ أنا أراجعُكَ فيما هنالك،فأتاه وكان امرأ صِدْقٍ ، فوجده أجنحَ للسَّلم ، وأدنى إلى الحلم ، بريء إليه من صَبَبِهِ وصَعَدِهِ ، وأعطاه على الوفاء بذلك صفقتيْ لسانِهِ ويده ، فكان ابنُ رشيق بعد ذلك ربما أعرض وعرَّض[2] ، وتحلَّبَ الى شيء من تلك الهنات أو تلمظ ، وأما ابن شرف فلم يحلَّ ما عقد ، ولا حالَ عما عهد .

ولابن رشيق عدة تواليف في النظم والنثر ، نفث بها في عُقَدِ السحر ، ككتابه المترجم بـ « **العمدة** » و « **كتاب الأنموذج** »[3] ، إلى عدَّة رسائلَ رائقة[4] ، وبدائع فائقة . وأما الشعرُ فانهأنسى/[١٧٣] أهلهُ،وملك منه شَخْتَهُ وَجَزْلَهُ ، وقد أُثْبَتُّ من خبره ، وحميدِ أثَره ، ما يملأ الآذان بياناً ، ويبهرُ العقولَ [حسنا]و إحساناً .

جملة من أخباره مع ما يتخلَّلها من أشعاره

حدَّثَ أبو عبد الله بن الصفّار الصقليّ قال : كنتُ ساكناً بصقيلية وأشعار ابنِ رشيقٍ تردُ عليَّ ، فكنتُ أتمنى لقاءه ، حتى استغلبت الرومُ علينا ، فخرجتُ فارّاً بمهجتي ، تاركاً لكلِّ ما ملكت ، وقلتُ : أجتمعُ مع أبي عليّ ، فرقَّةُ شمائلِهِ وطيبُ مشاهده سيذهبُ عنّي بعضَ ما أجِدُ من الحزن على مفارقة الأهلِ والوطن ، فجئتُ القيروانَ ولم أقدِّمْ شيئاً على الوصول إلى منزله ، فاستأذنتُ ودخلت ، فقام

١ المسالك : الأعداء .

٢ المسالك : اعترض وتعرض .

٣ نشر العمدة عدة مرات دون تحقيق ، أما الأنموذج فمنه قطعة صالحة في مسالك الأبصار ، ونقول كثيرة في الوافي والفوات وبعض نقول في معجم البلدان ومعجم الأدباء .

٤ من رسائله : قراضة الذهب ، وقد نشرت بتحقيق جيد قام به الأستاذ الشاذلي بويحيى . (تونس ١٩٧٢)

إليَّ وهو ثاني اثنين ، فأخذ بيدي ، وجعل يسألني ، فأخبرته عن أمري [...و] بعد أن تمكن أنسي بمجالسته قال لي يوماً : يا أبا عبد الله ، إنَّ ها هنا بالقيروان غلاماً قد برَّح بي حُبّه ، واستولى عليَّ كَرْبُهُ ، منذ عشرةِ أعوام ، وأنا إذ عضَّ هواه على كبدي ، وسطا شوقُهُ على جلدي ، ناهضٌ إليه ، وحَسْبُكَ أنني ما اضطربتُ عنكَ منذ حين ، إلا أني أحدِّثُ نفسي بحديثه العذبِ الموارد والمصادر ، وأعلّلها بأخباره المحمودةِ الأوائلِ والأواخر ، فان أنت ساعدتني على الشخوصِ إليه قَدَّمتَ عندي يداً لا يَعْدِلُها إلا رضاه ، فقلت : سمعاً وطاعةً ؛ وصرتُ معه حتى جئنا صناعةَ الجوهريين ، فاذا بغلامٍ كأنّه بدرُ تمامٍ صافي الأديم ، عطرِ النسيم ، كأنما يضحكُ عن درٍّ ، ويَسْفِرُ عن بدر ، قد ركبَ كافورَ عارضيه غبارُ عنبر ، فحكى كتابةَ مِسْكٍ على بياض ، يجرحُهُ الوهمُ بخاطره ، ويدميه الطرفُ بناظره ؛ فلما رآنا الغلامُ عَلَتْهُ خجلةٌ سلبتْ وجَه أبي عليّ ماءه ، فأنشدته قول الصنوبري[1] :

آيةٌ من علامةِ العشاقِ اصفرارُ الوجوهِ عند التلاقي
وانقطاع يكون من غير عيٍّ وولوعٌ بالصمتِ والاطراق

فقال لي: ياأبا عبد الله ، والله ماواجهتُهُ قطّ بِوجهي إلا وَغُشِيَ عليَّ ولكنّي تثبَّتُّ[2] بك،وأنِسْتُ إلى عذوبة لفظك ، مع أني لم أزوَّدْ من وجهه المقمر ، إلا متعةً بقدِّه المثمر ، لتنكيسه رأسَهُ عند طلوعي عليه ، فقلتُ : ولمَ ينكّس رأسه ؟ والله ما رأيتُ أشبهَ بالبدر منه خدّاً ، ولا بالغصن قدّاً ، ولا بالدرّ ثغراً ، ولا بالمسك من رياه نَشراً ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، ما أَبْصَرَكَ بمحاسن الغلمان ، لا سيما من فَضَّضَتْ كفُّ الجمالِ صفحته ، وذهَّبَتْ وجنتَهُ ، وخافت على تفاح خدِّه العيون ، فوكّلت بها الفتون ، يا أبا عبد الله : ينكّسُ رأسه لأني عَلِقْتُهُ وخدُّهُ هلاليّ ، وفرعُهُ ظلاميّ ،

١ ديوان الصنوبري : ٤٣٨
٢ ص : أتثبت .

ولحظُهُ بابليّ ، وقدّه قضيبيّ ، ورِدْفُهُ كثيبي ، وخصرُهُ سابريّ ، وصدرُهُ عاجي ، فكان فمي يشربُ كافوره بالشفق ، فيخرج ذلك صَدْرَ الغسق ، فوكّلَ من بهيمه ، رقيباً على فضّي أديمه ، فتوهّمَ ذلك الطاهرُ الأخلاق ، والطيّبُ الاعتناق ، أن ذلك مما يُضْعِفُ أسباب محبته ، وَيُخْلِقُ رسومَ مودّته . فقلتُ له : بحقّي عليك يا أبا عليّ إلاّ ما قلتَ في هذا المعنى شيئاً ، فأطرق قليلاً ثم قال[1] :

وأسمرِ اللون عسجديّ يكادُ يستمطرُ الجهاما
ضاق بحمل العذارِ ذرعاً كالمهر لا يعرفُ اللجاما
ونكّسَ الرأسَ إذ رآني كآبةً واكتسى احتشاما
وظنّ أن العذارَ ممّا يزيحُ عن قلبي الغراما
وما درى أنّه نباتٌ أنبتَ في جسميَ[2] السقاما
وهل ترى عارضَيْه إلا حمائلاً قُلِّدَتْ حُساما[3]

ومعنى هذا البيت الأخير كقول الآخر :

ومستحسنٍ وصلي جعلتُ وصالَهُ شعاري فما أنفكُّ دأباً أواصِلُهْ
كأنَّ بعينيه إذا ما أدارها حساماً صقيلاً والعذارُ حمائله

قال أبو عبد الله الصقلي : فلم أزلْ أتكرّرُ على أبي عليّ وألاطفه حتى أطلعني على سرائرِهِ مع ذلك الغلام ، فوالله ما اطّلعتُ له معه على ما يحاسَبُ به من قبيح فعلٍ ولا مذمومِهِ . وكنتُ في خلالِ ذلك أختلفُ إلى ذلك الغلام الجوهريّ ، فجلستُ يوماً إليه فجعلتُ أذكرُ له بعضَ ما ذكر لي أبو علي ، فرأيتُهُ قد تغير لونُه ، وأطرقَ ساعةً ، ثم أخذ سحاءةً فكتب فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، كتمانُ السرِّ حليةُ القلب ، فان أزاله بقي عاطلاً » ثم طواها ودفعها إليّ وقال : قد أودعتُ

---

[1] ديوان ابن رشيق : ١٦٨ والشريشي ٢ : ٣٣٥ [2] الشريشي : قلبي .

[3] مرّ هذا البيت من قبل ٣ : ٨٢٢ وروايته « وهل على عارضيه ... حمائل » .

السحاءةَ لفظاً موجزاً/[١٧٤] ومعنى مُحْرَزاً ، فاذا وردتَ على أبي عليّ فأَعْلِمْهُ أنَّ المحبَّ إذا كتم رُحِمَ ، واذا نشر [فُضِحَ] فلا يَعُدْ بعد هذا إلى إفشاء سرّي ، فان نمَّ بحبّي انتهيتُ عن زيارته والإلمام به ، وعوَّضْتُهُ من لذّته بفيض الدموع ، وطولِ الخضوع ، حتى لا يجرعَ كأساً إلاّ مشوباً ، ولا يزرّ[1] ثوباً إلا خضلاً بعبرة مقلته ، وأنا أُقسمُ بحاجته إليَّ ، وإدمانه بالبوح عليّ ، ألاَّ أُخْلي صَدْرَهُ من زفرة ، ولا ضلوعَهُ من جمرة ، ولا جفونَهُ من عَبْرة . فجئتُ أبا عليّ ، فدفعتُ اليه السحاءةَ وقرأها ، وأخبرتُهُ كلامه ، فشهق شهقةً توهمتُ أن ضلوعه تقضقضت ،وقال لي :أبهذا القسم أقسم ؟ قلتُ : نعم ، قال لي : أتريدُ أن أنظم لك منثورَ ما جئتني به حتى تتوهَّمَ أنه كلامه ؟ قلت : بحياتك إلاّ ما فعلت ، فقال[2] :

لمْ باحَ باسمي بعد ما كتمَ الهوى زمناً وكان صيانتي أولى بِهِ
فلأ[منعنَّ] جفونَهُ طيبَ الكرى ولأمزجنَّ دموعَهُ بشرابه
وحياةِ حاجتِهِ إليَّ وفقرِه لأُواصِلَنَّ عَذَابَهُ بعذابه

قال أبو عبد الله : ثم استنشدته من شعره فيه فأنشدني عدة مقطوعات ، منها قوله[3] :

وفاترِ الألحاظِ في وجنةٍ كأنَّها في الحُسْنِ وردُ الرياضْ
قلتُ له يا ظبيُ خُذْ مهجتي داوِ بها تلك الجفونَ المراض
فجاوبتْ من خدِّه خجلةٌ كيف ترى الحمرةَ فوق البياضِ

وقوله[4] :

إن كنت تنكر ما منكَ ابتليتُ به وأنَّ برءَ سَقامي عزَّ مطلبُهُ

---

١ ص : يبرز .
٢ الديوان : ٤٠
٣ الديوان : ٩٦ والشريشي ٥ : ٢٣٠ .
٤ الديوان : ٣٣ والشريشي ٥ : ٦٧

أشرْ بعودٍ من الكبريتِ نحو فمي   وانظرْ إلى زفراتي كيف تُلْهِبُهُ

وقوله :

تمنيتُ تقبيلاً عليه فجاد لي   فقبّلْتُهُ ثنتين في الخدِّ والخدّ
فقلتُ له جُدْ لي بثغرك إنني   [أقولُ] بتفضيلِ الأقاحِ على الورد

ومن جيد قوله[1] :

سقى الله أرض القيروان وصبرةٍ   ففيها ثوى شخصٌ عليَّ عزيزُ
ترى أنني في القربِ ممن أحبّه   على بُعْدِ ما بين الديار أفوز
وإن كان إدراكُ المحبين بغيةً   على مذهبِ الأيام ليس تجوز

وقال فيه :

مُدْمَجُ الخصرِ والحشا   يتثّنى اذا مشى
هو بدرٌ بوجهه   وبأجفانه رشا
ما عليه إذا الضنا   شاع في الصبِّ أو فشا
جار قاضي صبابتي   وهو لا يقبلُ الرّشا

وقال فيه[2] :

ومهفهفٍ يحميه عن نَظَر الورى   غيرانُ سُكْنَى الملكِ تحت قبابِهِ
أوْمَى إليَّ أنِ ائتني فأتيته   والفجرُ يرمقُ من خلالِ نقابه
فلثمتُ خدّاً منه ضرَّم لوعتي   وجعلتُ أُطفي حرَّها برضابه
وضممتُهُ للصَّدرِ حتى استوهبتْ   مني ثيابي بعضَ طيب ثيابه
فكأنَّ[3] قلبي من وراءِ ضلوعه   طرباً يخبّرُ قَلْبَهُ عمّاً به

١ الديوان : ٩٠
٢ الديوان : ٢٧ والشريشي ٤ : ٣٠
٣ ص : فطار.

وينظر في هذا المعنى قول ابن المعتز :

يا ربَّ إخـوانٍ صحبتهمُ لا يـدفعـون لسلـوةٍ قلبا
لو تستـطيعُ قلـوبهـمْ نَفَذَتْ أجسـامَهُـمْ فتعـانقـتْ حبـا

وقال ابن الرومي[2] :

أعانقُـهُ والنفسُ بعـدُ مشوقةٌ إليه وهـل بعـد العنـاقِ تداني
وألثـمُ فاه كي تمـوتَ حرارتي فيشتـدُّ ما ألقـى من الهيمان
كأنَّ الـذي بي ليس يشفـي غليله سوى أن يُرى الروحـان يمتزجان

قال أبو عبد الله : وناولته يوماً تفاحةً فقال[3] :

وتفاحـةٍ من كفِّ ظبـيٍ أخذتها جناها من الغصـنِ الـذي مثـلُ قُدِّهِ
لهـا لمسُ ردفيه وطيبُ نسيمه وطعـمُ ثنـاياه وحمـرةُ خده

قال أبو عبد الله ، وأخبرني أبو عليٍّ قال : وعدني يومَ عيدٍ بالكَوْنِ عندي ، فصليت وارتقبتُ مجيئه ، فاذا بالسماء قد ارعدت وأبرقت فكتبت إليه والغيثُ منهمل[4] :

تجهَّـم العيدُ وانهلَّـتْ مدامعه وكنـتُ أعهـدُ منـه البشرَ والضحكا
كأنمـا جاء يطـوي الأرضَ من بُعُدٍ شوقـاً اليك فلما لم يجـدْك بكى

قال أبو عبد الله ، قال أبو علي[5] : كنت [أوصي] غلاماً وضيئاً كان يختلف اليّ وأحذره من كثرة التخليط ، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه فأُوقِـعَ به ، فأُخبرت بذلك فقلت :

---

١ الشريشي ٤ : ٢٩ وديوانه ١ : ٣٩٦ (بغداد) .
٢ الشريشي ٤ : ٢٩
٣ الديوان : ٦٤ والشريشي ٥ : ٢٥٤
٤ الديوان : ١٤٠ وابن خلكان ٢ : ٨٦
٥ نقلها الشريشي ١ : ٤١٦ ، وانظر الديوان : ١٤٦

يا سوءَ ما جاءتْ بـه الحالُ إنْ كانَ ما قالــوا كما قالوا
ما أحــذقَ النــاسَ بصـــوغِ الخنا صِيغَ من الخاتَــم خَلْخَالُ/[١٧٥]

وهذا المعنى : القولُ فيه طويل ، وقولُ ابنِ المعتز يناسبه في المعنى لا في اللفظ ، وهو قوله[١] :

مضى مالكٌ والمال تسعــون درهماً فآب ورأسُ المالِ ثُلْـثُ الدراهمِ

وقال أبو محمد بن صارة الشنتريني :

مِنْ كلِّ مَنْ نيـكَ حتــى صـار من سعَةٍ
كما تُحَـلُّ يـدٌ من عَقْـدِ تسعينا

قال أبو علي : وكنت أميل إلى قينة من قيان القيروان اسمها ليلى ، فعلقها بعضُ خدّام[٢] الحصون ، وكان يحسبُ خدمتها وكنسها منزلةً لا تثلم جاهَ متوليها ، فنهيته عنها فلم ينتهِ ، فقلت فيه[٣] :

ظنَّ أنَّ الحصــونَ ملكُ سليما نَ وليــلى بجهلــه بلقيسـا
ولــه في العصـا مآربُ أخرى حـاشَ للــه أن تكون لموسى

وهذا كقول إدريس من جملة أبيات :

فقـال وَمَــنْ هذا الــذي جاء طارقاً فقلـتُ أنـا موسى وهــذي هيَ العصا

ما أخرجته من سائر مقطوعاته في أوصافٍ شتى

قــال[٤] :

١ الشريشي ١ : ٤١٦
٢ الشريشي : خالد .
٣ الديوان : ٩١
٤ الديوان : ٧١ والشريشي ٣ : ٣٢٠ وابن خلكان ٢ : ٨٨

يا ربِّ لا أقــوى على دفّــعِ الأذى   وبكَ استغثتُ[1] على الضـعيفِ المؤذي
ما لي بعثــتَ عليَّ ألفَ بعوضةٍ   وبعثــتَ واحــدةً على النمروذ

ولـه في بعض قضاة القيروان :

أقــولها لو بلغــتُ ، ما عسى   والــطبـلُ لا يُضْرَبُ تحـت الكِسا
قاضيكَ إنْ لم تَخْصِـهِ عاجلاً   فامنَعْـهُ أن يحـكمَ بـين النسا

وقــال :

يا سالــكاً بـين الأسنّـةِ والظبا   إنــي أشــمُّ عليك رائحــةَ الدمِ
يا ليت شعــري من رقــاك بِعُوذَةٍ   حتــى وطئــتَ بهــا فراشَ الأرقم
أزحمــتَ آســادَ الشرى في غيلها   وأمنــتَ جهــلاً من وثــوب الضيغم

وأنشدت له :

قبّلــتُ فاهــا على خوفٍ مخالسةً   كقــابسِ النــار لم يشعـرْ من الخجلِ
ماذا على رُصّــدي بالنــار لو غفلوا   عنّــي فقبلتهــا عشراً على مهل
غضّي جفونَــكِ عنــي وانظــري أمماً   فانمــا افتضــح العشــاقُ في المقل

وقــال[2] :

يــا مَنْ يتيه بعــارضــــــيه يريدُ بالعشّــاقِ شرّا
مــا كنــتَ تصــلحُ في الجديــــــدِ فكيف تصلــحُ بالمطرّى

وهذا كقول أبي بكر الخالدي[3] :

ما كان ينفعُــهُ لديَّ شبابُهُ   فعــلامَ يجهــد نفسَــهُ بخضابِهِ

---

[1] ابن خلكان : استعنت .
[2] المسالك : ٢٣٢
[3] لم يرد في ديوانه ، وقد مرَّ منسوباً له ٤ : ٢٥٦ .

وقال ابن رشيق :

حجَّتْ إلى وجهكَ أبصارنا طائعةً يا كعبة الحسنِ
تمسح خالاً منك في وجنةٍ كالحجر الأسودِ في الركن

ولكشاجم في مثله[1] :

فلم يزل خدُّهُ ركناً أطوفُ به والخالُ في خدّه يُغْني عن الحَجَرِ

وأنشدت له[2] :

إن زرتُهُ يوماً على خَلوةٍ أو زارني في موضع خالِ
كنتُ له رفعاً على الابتدا وكان لي نصباً على الحال

وهذا كقول ابن الميكالي[3] :

أفدي الغزالَ الذي في النحو كلّمني مجادلاً[4] فاجتنيتُ الشهدَ من شَفَتِهْ
وأورد الحججَ المقبولَ شاهدُهَا مناظراً[5] ليريني فَضْلَ معرفتِهْ
ثم اتفقنا على رأيٍ رضيتُ به والرفعُ من صفتي والخفضُ[6] من صفته

وقال ابن رشيق ، وهو من أملح ما له[7] :

أومى بتسليمةٍ اختلاسٍ والناسُ في حومةِ الوداعِ
أحلى وان لم تكنْ سماعاً من نَغَم الزُمْرِ والسماع
وافترَّ عن مبسمٍ شنيبٍ تختمه دارةُ الرباع

١ زهر الآداب : ٣٧٩ والحديث فيه عن المؤنث لقوله قبله :

فديت زائرة في العيد واصلة والهجر في غفلة من ذلك الخبر

٢ نسبت الأبيات في زهر الآداب : ٧٢٠ لأبي الفتح البستي .

٤ زهر الآداب : مناظراً

٥ زهر الآداب : محققاً

٦ زهر الآداب : والنصب .

٧ ديوان ابن رشيق : ١٠٩ والمسالك : ٢٣٢

وقـد نَوَتْ مقلتـاه نـوماً وددتُ لو كان في ذراعي
فكان لي موقـفُ افتراقٍ وللهـوى مـوقفُ اجتمـاع

وقـال[1] :

همَّـتْ عـذاراهُ بتقبيـله فاسـتـلَّ من عينيـه سَيْفَين
وذلـك المحمـرُّ من خدِّهِ دمـاءُ ما بـين الفريقيـن

وقـال[2] :

غنِّني يا أعـزَّ ذا الخلـقِ عندي «حيٍّ نجـداً ومـن بأكنـافِ نجدِ»
واسقني ما يضـيرُ ذو البخـل منها حاتمـاً والجبـانُ عمـروَ بن معدي
في أوان الشبـابِ عاجلنـي الشيـب فهـذا من أوّلِ الـدنّ دُرْدي

وقـال[3] :

اشـتـرى خنجـراً لقتـلي وما ذاك يجملُ
فسلـوه فـانَّ عَـنْ مثـلِ ذا الشـانِ يُسْأَلُ
كيـف يمشـي بخنجـرٍ مـن بعينيـه يقتـل

وقـال[4] :

شكـوتُ بالحـبِّ إلى ظالمـي فقـال [لي] مستهزئـاً ما هو
قلـتُ غـرامٌ ثابـتُ قال لي اقـرأ عليه « قـلْ هُوَ الله »

وقال[5] :/[١٧٦]

معتـدلُ القامـةِ والقدّ مورَّدُ الوجنـةِ والخدِّ

---

١ ديوانه : ٢١٤ والمسالك : ٢٣٢ والشريشي ٤ : ٢٩٠
٢ ديوانه : ٦٢ والشريشي ٣ : ٢٠٢
٣ المسالك (الأول والثالث) : ٢٣٢
٤ ديوانه : ٢٢٢ والشريشي ١ : ١٥٣
٥ ديوانه : ٦١ والشريشي ١ : ١٥٣ والأول والثاني في المسالك .

لــو وضــع الــوردَ على خدِّه   ما عُرِفَ الــوردُ من الورد
قـل للــذي يعجــبُ من حسنه   اقــرأ عليه سورةَ الحمد

وقال :

ولقــد قطعــتُ الليلَ في دعةٍ   من غــير تأثيمٍ ولا ذنــبِ
بأعــزَّ من بصري على بصري   وأحــبَّ من قلبــي إلى قلبي

وقــال :

تلفــتُ فمــا أفــرّقُ بــــــيــن قيــراطٍ وديـنــــــارِ
ذهــابَ الــزيـتِ في القنديـــــــل بــين الماءِ والنار

وقال[1] :

ومــن حسنـاتِ الدهــرِ عنـديَ ليلةٌ   من العمــر لم تتــرك لأيامنــا ذنبا
خلونــا بهــا ننفــي القـذى من عيوننا   بلؤلــؤةٍ مملــوءةٍ ذهبــاً سَكْبا
وملنـــا لتقبيل الخــدودِ ولثمها   كمثــلِ جياع الطــيرِ تلتقــطُ الحبّا

وقــال[2] :

يــا من يمــرُّ ولا تمــرُّ   بــه القــلوبُ من الحُــرَق
بغمــامــةً من خــدّهِ   أو خــدُّه منهــا سرق
وكأنــــــه وكأنهـــــا   قمــرُ احــاطَ به شفــق
فـاذا بــدا وإذا مشــى   واذا رنــا واذا نطــق
شغــل الجــوانــحَ والجــوا   رحَ والخواطِــرَ والحدق

وقال من قصيدة[3] :

حسبــي وحسبُــكَ من لومٍ وتثريبِ   بان الـذي كان يغرينـي ويغـري بي

١ ديوانه : ٣٢ والشريشي ٢ : ١٥١ وابن خلكان ٢ : ٨٧
٢ ديوانه : ١٢٨ والشريشي ٣ : ٢٣٧
٣ منها خمسة أبيات في ديوانه : ٣٤

أمـا الشبـابُ فقـد ودعـتُ لذّته ... إلا أبـاطيلَ أحـلامٍ وتشبيب
عرفـتُ حالَ الليالي في تصرفها ... وشافهتنـيُ أفـواهُ التجاريب
وذلّلَ الدهـرُ صعبـي فاستكنـتُ له ... وطـال ما كنـتُ من تلك المصاعيب
قرعـتُ سنّـي على ما فاتنـي ندماً ... من الشبـابِ ومَـنْ باللهـو للشيب
فقـد رددتُ كؤوسَ اللهـوِ مترعةً ... على السقـاة وكانـت جُلَّ مشروبي
وربمـا أذكرتنـي صبـوةً سلفت ... وُرْقُ الحمام إذا غنّـتْ بتطريب
أُنَـزّهُ السمـعَ والعينـين في نَغَمٍ ... ومنظـرٍ غايةٍ بالحسـنِ والطيب
من كلّ لافظةٍ بالـدرِّ باسمةٍ ... عنـه محـلاّةٍ نوعٍ منـه مثقوب
أيام تصحبنـي الغـزلانُ آنسةً ... هذا على أنني أعـدى من الذيب

وقـال[1] :

اختـر لنفسـك من تعا ... دي كاختيارِكَ مَنْ تُصَادقْ
إنَ العـدوَّ أخـو الصديـ ... ـقِ وان تخالفـتِ الطرائق

وأخبرني بعض وزراء اشبيلية قال : جهَّز عباد بعضَ التجار إلى صقيلية ؛ وكان ابن رشيق كثيراً ما يسمعُ بذكر عباد فيرتاحُ الى جَنابه ، ارتياحَ الكبير إلى شبابه ، فلما سمع بمقدم ذلك التاجرِ لزم داره ، وجعل يتردَّدُ إليه ويغشاه ، ويقترح عليه لقاءَ عباد ويتمنّاه ، والتاجرُ يعده ويمنّيه ، ويقـرّبُ له ذلك ويدنيه ، حتـى إذاأسمحتِ الرياح، وأمكن في ميدانِ البحرالمراح، ذهب التاجرُ لطيته، وخلى بين ابنِ رشيقٍ وأمنيته ، وأخبر التاجر عباداً بذلك ، كأنه يتبجح له بما هنالك ، فبالغ عبادُ في نكاله ، وأمر باستصفاءِ أكثر ماله ؛ ثم رام ابن رشيق بعد ذلك ركوبَ البحر فخشن له مَسُّه ، ولم تساعده على ركوبه نفسه ، فقال[2] :

١ ديوانه : ١٣٠ والشريشي ٢ : ٢١٦
٢ ديوانه : ٢٢٦ والمسالك : ٢٣٣

البحرُ صعبُ المذاقِ مُرٌّ لا جُعِلَتْ حاجتي إليهِ
أليس ماءً ونحن طينٌ فما عسى صبرنا عليه

ولأبي [علي] قصيدته المشهورة التي أولها :

من قُضْبِ نَعمان أم من كُثْبِ يبرينِ اللهَ في دمِ عشّاقٍ مساكينِ

يقول فيها :

عيناكَ أمكنتِ الشيطانَ من خلدي إن العيونَ لأعوانُ الشياطين
كم ليلةٍ بتُّ مطوياً على حُرَقٍ أشكو الى النجم حتى كاد يشكوني
وكلما انصدعتْ من لوعةٍ كبدي ناديتُ يا ربَّ باديسَ بنِ ميمون
يا ما اميلحه ظبياً فتنتُ به ....[1]
ووجنتين هما تفاحتا قبلي فاتركْ سوايَ وتفاحَ البساتين
كأنَّ لمس بناني حين يلمسُه يستخرجُ الوردَ من طاقات نسرين
فتورُ عينيكَ ينهاني ويأمرني وورِدُ خديك يغري بي ويغريني
أما لئن بعتُ ديني واشتريتُ به دنيا لقد بعتُ فيك الدينَ بالدون
سبحانَ من خلق الأشياءَ قاطبةً تراه صوَّر ذاك الجسمَ من طين

ومنها :

يا أهلَ صبرةَ والأحبابُ عندكم إن كانَ عندكمُ صبرٌ فواسوني
إني أدينُ بدين الحبِّ ويحكمُ والله قد قال لا إكراهَ في الدين
مولاي [لا] تشمتِ الاعداءَ بي وإذا نسيتَ قوليَ فاذكر قولَ هارون
حاسبْ هواك بما أنفقتُ من عمري والله لو كان عمري كنزَ قارون
لو كنتُ أملكُ نفسي يا معذّبَها قرَّبتها لكَ في بعض القرابين

وكتب إلى المعز بن باديس وقد ولدت له ابنة/[١٧٧]

معزَّ الهدى لازال عزُّكَ دائباً وَزُيّنتِ الدنيا لنا بحياتكا

١ اضطرب الشطر ، وصورته : فم يسقي بمثل نبات الزراجين .

أتتنـــيَ أنثـى يعلـمُ اللـه أنّني سررتُ بهـا إذ أُمُّهـا من هباتكا
وقـد كنـتُ أرجـو أنهـا ذو بلاغةٍ يقـومُ مقامـي في بديع صفاتكا
ومـا نحـن إلا نبـتُ جودِكَ كلنا وكلُّ نبـاتِ الأَرضِ مـن بركاتكا

وقال[1] :

أسـلمنـي حـبُّ سليمانكـم إلـى هـوىً أيسـرُهُ القتـلُ
لما بـدا جنـدُ ملاحاتِـهِ قال الـورى ما قالـتِ النمل
قومـوا ادخلـوا مسكنـكم قبـل أن تحطمـكـم أجفـانُـهُ النجـل

وهو القائل في غلام عذّر يعرف بابن الكناف :

لامُ العـذارِ بخده تحـكـي أصـابـع جدِّهِ
قـد خطَّهـا في حـائطٍ خـوفَ الخـطا من عدّه

ذكر الخبر عن خراب القيروان

والالمام بشيء من أخبار آل زيري الغالبين عليها ـ كانوا ـ وقتهم مع ما يذكر بها ، ويتعلق بسببها

قال ابن بسام : قد قدَّمتُ [أني] أمليت هذا الكتابَ بخاطرٍ قد خمدت جمرته ، وتبلَّدتْ قريحته ، وعلى حالٍ من تصرّف الزمان ، وإلحاحِ الحدثان ، يتسبب تسبُّبَ الهجران ، ويتلوّن تلوُّنَ الذعرِ في عين الجبان ،

وللمـوتُ خـيرٌ من حياةٍ كأنها مُعَـرَّسُ يَعْسُـوبٍ برأسِ سنانِ[2]

مع أني لم آخذ هذا الخبرَ عن سند ، ولا استعنتُ فيه بكتابٍ لأحد ، إنما اختلسته من ذكرة أجريها ، أو أحدوثةٍ إنما لذّتي بين أن اكتبها وأمليها ، والحديثُ

---

١ ديوانه : ١٤٢ وابن خلكان ٢ : ٨٨ (اعتماداً على الذخيرة)
٢ البيت لصخر أخي الخنساء ، انظر الأغاني ١٥ : ٦٣ وابن خلكان ٢ : ٨٤

طويل ، والمحصَّل قليل ، وإنما ألم ها هنا بشيء من أخبار مملكة آل زيري الصنهاجيين : كيف هبَّتْ رياحُها ، وأشرقَ صباحُها ، ثم نشرحُ بعضَ الأسبابِ التي خصَّتْ آثارها ، وأحصتْ ليلها ونهارها :

لما تغلب آلُ عبيدِ الله الناجمين بافريقية على مصر ، فخلص له صميمها ، وأهاب له مُلْكُها ونعيمها ، وأراد معد بن اسماعيل بن عبيد الله ، المتلقب من الألقاب السلطانية بالمعز لدين الله ، اقتعادَ صهوتها ، وإثباتَ قدمه على ذروتها ، دعا زيري بن مناد ، وهو يومئذ من صنهاجة بمكان السنامِ من الغارب ، وبمنزلةِ الوجدان من نفسِ الطّالب ، وكان له عشرةٌ من الولد : آسادُ شرًى ، وأقمارُ سُرًى ، فقال له : ادعُ لي بنيك ، فقد علمتَ رأيي فيهم وفيك ، وكان أصغرهم سناً ، وأهونهم عليه شأناً ، بُلُقّين بن زيري ، فدعا ولدَهُ ما عداه ، والقدر لا يريدُ سواه ، وكانت من المعزّ ـ زعموا ـ اثارةٌ من علم الحدثان قد عَرَفَ بها مصايرَ أحواله ، وأهلَ الغناءِ من أعيانِ رجاله ، وكانت عنده لخليفته على افريقية إذا صار إليه ملك مصر علامةٌ يأنسُ بها أنس الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفانَ العاشقِ لديار أحبابه ، فنظر في وجوه بني زيري فأنكرها ، حين تفقّدَ تلك العلامةَ فلم يرها ، فقال لزيري : هل غادرتَ من بنيك أحداً ، فلستُ أرى لمن ها هنا منهم أيداً ولا يدا ، فقال له : إلا غلام ، وطفق يصغّر شانَهُ ، والمقدارُ قد عناه وأعانَهُ ، ويطوي أخباره والاخبارُ تدور عليه ، فقال المعزّ : لا أراكَ حتى أراه ، فلستُ أريدُ سواه ، فلما رآه عرفه ، وفوّض إليه من حينه واستخلفه ، فاستولى من وقته على الأمور ، وزاحمتْ مهابته الأهواءَ في الصدور ، وبعدتْ أسفارُهُ واشتهرت أيامه ، واشتمل على صرف الأيام والليالي نَقْضُهُ وإبرامه ، بلغ بغزواته سبتةَ ـ في خبرٍ طويل ليس من شرط ما ألّفْتُ ، ولا في معنى ما صنفت ـ ثم أجاب صوتَ مناديه ، وخلعها على أعطاف بنيه ، حتى انتهت منهم إلى* المعزّ بن باديس ، منزف العشيرة ، وآخرِ ملوكها المشهورة ، فأولُ ما افتتح به شانه ، وثبت به ـ زعم ـ سلطانه ، قتلُ الرافضةِ ومراسلةُ أمير المؤمنين ببغداد ،

فبعث إليه بعهدِهِ ، وجاءت الخلعة واللقبُ من عنده ، رأياً اغترّ ببادية ، وذُهِلَ عن عواقبه وبواديه ، واتصلت بالعبيدي وامرُهُ يومئذٍ يدورُ على الجرجرائي ، فاضطغنها عليه ، وفوّقَ سهامَ مكروهه إليه ؛ وكانت بطونٌ من عامر بن صعصعة : زغبة وعديّ والأثبج ورياح وغيرهم من ألفافِ عامر ، تنزلُ الصعيد ، لا يُسْمَحُ لها بالرحيل ، ولا يخلىَّ بينها وبين إجازة النيل ، فأراهم الجرجرائي لحينه ضجَّةَ السوق ، وأفرجَ عن لَقَمِ الطريق ، وأذِنَ لهم في المعز ، أمنية طالما تحلبتْ/[١٧٨] اليها أطماعهم ، وعكفت عليها أبصارهم وأسماعهم ، فغشاه منهم سيلُ العرم ، ورماه بذؤلول ابنةِ الرَّقَم ، وتهاون المعزّ بهم أوّلاً فشغلهم بخدمته ، وحمَّلَهُمْ أعباءَ نعمته ، وهم في خلال ذلك يتمرّسونَ بجهاته ، ويدبّون إلى أنصاره وحماته ، ويطلون على مقاتله وعوراته ، حتى بان لهم شانه ، وهان عليهم سلطانه ، فجاهروه بالعداوة .وأرادوه على الاتاوة ، وجرتْ بينهم أثناء ذلك حروب ، لم يحمدها غالبٌ ولا مغلوب ، ولا أمنها بريء ولا مُريب ، أضربتُ عن خبرها لطوله ، ولأنه لم يبلغني عن مَنْ أثِقُ بتحصيله ، كان من أفراها لأديمه ، وألصقها بصميمه ، وقعةُ حيدران سنة أربعٍ وأربعين ، فانها أوهنت بَطْشَهُ ، وثلَّتْ عَرْشَهُ ، وأرَتْهُ البوارَ ، وضربتْ عليه الحصار ، وأحاط الأعرابُ بالقيروان يطؤون حريمها ، ويستعرضون راحلها ومقيمها ، حتى ماجَ بعضُها في بعض ، وتبرأت منها كلُّ سماءٍ وأرض ، فلما كان سنةُ خمسين أعطى الدنيّة ، وناشدهم التقيّة ، واشترط المهدية ، وقد كان نظر في ماله ، وفكَّر في مَنْ بازائه من أقتاله ، فزفَّ إلى زعمائهم بناته وكن اللآلي وأماني الغالي ، فأصبحوا له أصهارا ، وقاموا دونه أنصارا ، فلما استحكم بأسه ، وأهمّتْهُ نفسه ، استجاش مَنْ قِبَلَهُ ، واحتمل حُرَمَهُ وثَقَله ، وخلىّ الملك لمن حماه وحمله ، وجاء أصهارُهُ فكانوا بحيث يسمعون نئيمه ، ويمنعونه ممن عسى أن يكيده ويضيمه ، حتى بلغ المهديةَ فأقام بها أسقطَ من الشمس في الميزان ، وأهون من الغَفْرِ على القبّان ، ولم يكنْ أحدٌ في زمانه [illegible] بأساً في الملاحم ، ولا أطولَ يداً بالمكارم ، ولا أعنى بلسان العرب ، ولا

أحنى على أهلِ الأدب ، منه . ومن مشهور كرمه أنه أعطى المنتصرَ بن خزرون في دفعةٍ مائةَ ألفِ دينار إلى ما وصله به من مركبٍ ثقيل ، وزيٍّ نبيل . ثم لم يمكثْ بالمهدية إلا نحو عامين ، وانقضتْ أيامُهُ ، وغافصه حمامه ، تعالى من لا ينتقلُ حاله ، ولا يُتَوَقَّعُ زواله .

فصل في ذكر الشيخ أبي الفتيان العسقلاني[1]

واثبات قطعة من شعره ونثره

أخبرني بخبر هذا الرجل الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن الوزير الفقيه أبي محمد ابن العربي ، وأنه فارقه حيّاً يُرْزَقُ وهو بالسنة [...] . وأنا أقول : إنّ أبا الفتيانِ هذا من فرسان هذا الشان ، وممن أُعْطِيَ بسطةً في علمه وبيانه ، وخُلِّيَ بين السحرِ ولسانه ، والذي أثبتُّ من كلامه يضرحُ قذى العيونِ ، ويجلو وَضحَ الصبح المبين .

فصل له من رقعة :

مخايل السؤدد ـ أطال الله بقاء الشيخ ـ تُعْثر على عقبه أخامص الكرام ، وترقم بمناقبه برودَ الأيام . فأدام الله تمكينه حتى يصبح سلك المجرة واهي النظام ، وتغبر في البسيطة جبهة[2] بهرام ، [ولا زال] يعقل بساحته الأمل الجامح ، وتستوقف المراشد والمصالح ، إذ كان مفترق المجد قد أصبح في علائه مجموعاً ، وشامس الفضل سامعاً مطيعاً ، وقد قرن وليُّه هذه الأسطر برقعة سأل عرضها على الحضرة السامية ـ رفع الله منارها ، وعمر بوفود السعادة ديارها ـ وأن يُتبعها من سديد مقاصده ما يهدي من أمّها سبيل النجاح ، ويقضي لها بالمغنم وفوز القداح ، لا زال أفقه بنجوم

١ لعله مفضل بن حسن بن خضر العسقلاني الذي ذكره في الخريدة (الورقة : ٢٠١ من مخطوطة باريس رقم: ٣٣٢٨) وقال إنه قدم مصر في أيام الأفضل وأورد له مقطوعة من أربعة أبيات .

٢ ص : جهات

السعادة منيراً ، وسرب الحوادث عن ساحته مطروداً مدحوراً .

ومن أخرى :

أطال الله بقاء الحضرة السامية تجبر من كَسْرِ الزمان مهيضا ، وتلزم[1] مسنوناً للمكارم [و] مفروضا ، حتى يصبح عقد الكواكب رفيضا ، وكف المقادر مكفوفاً مقبوضاً ،

وتُطلع[2] للعافين في فحمةِ الدّجى ... بوارقَ [جودٍ] تستطيرُ وميضا
وتُودع جأش الدهر عَزْمَيْ مشمّرٍ ... يفلّ صحيحاً أو [يبلّ] مريضا
نُسطاً تسعرُ الآفاقَ ناراً ورأفة ... تردُّ[3] هشيمَ المكرماتِ أريضا
ومقدرةٌ لو زاحم الأُفقَ جَيْشُهَا ... لغُودِرَ مَسْدودَ اللّهاةِ حريضا
شملتَ الورى يا ابن المحسِّن مُسْدِياً ... صنائعَ يبعثْنَ الكسيرَ نهوضا
وأعلمتْ[4] أغفالَ الزمان بأنعمٍ ... أعَدْنَ دُجُنّاتِ الحوادث بيضا
فأوريتَ زنداً للمفاخر مُصلداً ... ورفّعْتَ طرفاً للسماح غضيضا
أقمتَ لنا سوقَ القريض وقد عَفَتْ ... معانيه صوناً أن يعود قريضا
فلولاك لم يلفِ الهدايةَ ناظمٌ ... ولم يتوخَّ المادحون عروضا/[١٧٩]
قضيتَ العلا لما أُضيعتْ حقوقُها ... نوافلَ يُلْوَى دينها وفروضا
منيع المراقي يستجارُ بعزّهِ ... اذا أزِمَ النابُ الضروسُ عضيضا
وتذعر أسرابُ الخطوب أوانساً ... كما ذعر الليث الهزبر ربيضا
تقاضى سؤالَ المستميحين مئ . ... تقضّي ديوناً ملحقاً وقروضا
وتدأبُ في حِفْظِ الرعيةِ ساهرا ... إذا قيّد النومُ الجفونَ غموضا

١ ص : وبلزوم
٢ ص : يتلج
٣ ص : يريد
٤ ص : وعملت

فمثلك في حُكْمِ الرياسةِ معوز	وكم من نقيضٍ لو طلبتَ نقيضا
إذا ما سعى الأملاكُ خلفَكَ للعلا	غدوتَ سماءً والأنامُ حضيضا

وله من أخرى :

شهر الصيام زائرٌ يُستَقبَلُ وفدُ المغفرة باستقباله ، وتنحلُ ذنوبُ الأمّةِ بنحول هلاله ، وآيبٌ تَقْدُمُ غرائبُ الحظ بقدومه ، ويعنق جزيلُ الأجر بين عَنَقه ورسيمه ، جعله الله مطهراً من دَنَسِ الآثام ، وغُرّةً سائلةً في جَبَهاتِ الأيام ، [جالياً] لغَسَقِ المعاصي بوضاءَةِ أيامه ، ومكفراً لما اقترف من الجرائم في عامه ، فطوبى لمن أقضَّ في هذه المدة مضجعَهُ ، واستعملَ منطقَهُ بما يُرضي الخالقَ وَمُسْتَمَعَهُ ، ﴿إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطّيّبُ والعملُ الصالحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠) والله جَلَّتْ أسماؤه يجعلُ الحضرةَ الساميةَ سابقةً في هذا المضمار ، آمنةً من عوارض الكَبوةِ والعثار :

بقيتَ لعقدِ المعالي نظاما	وللأكرمين جميعاً إماما
ويُخْجِلُ جودُك وجهَ السماء	برقاً خَفوقاً وغيثاً سجاما
مقيماً بحيث يضيعُ التلادُ	وتحفظ للمكرماتِ الذماما
وتودِعُ آلاؤكَ السابغاتُ	جيدَ الرياسةِ طوقاً تؤاما
أيا ابنَ المكارِمِ لا يعرفون	عن دِرَّةِ المجدِ يوماً فطاما

ومنها :

وهيجاءَ مثلِ أُوارِ الحريقِ	تصطلمُ الدارعينَ اصطلاما
تلثِّمُ خدَّ الضحى عِثْيراً	وتسفرُ فيها المنايا اللثاما
فجردتَ عزمكَ في النائباتِ	حصناً منيعاً وجيشاً لهاما
مساعٍ تشقُّ جبينَ الضياء	اذا اعتكر الدهرُ طراً ظلاما
ويهدي إليكَ أريجَ الثناءِ	كما خطرتْ في الرياض النعامى

فَعِشْ ممسكاً بعرىً للبقاءِ لا يُحْدِثُ الدهرُ فيها انفصاما

ولا برحَ مَنْ جعلَ الأرضَ قرارا ، وأخرجَ من الشجرِ الأخضرِ نارا ، يُطْلِعُ في سمائها السعودَ [غير] الآفلة ، ويقّر ببابها النعماء [غير] الناقلة ، ويجعلُ لكلّ [ليلٍ] يُمَدّ جناحُهُ ، ونهارٍ تَفَلّقَ إصباحُهُ ، متكفلاً لها بِجَدٍّ يلقي إليه زمامُ القَدَرِ تفويضاً ، ويمنح الصخرةَ الصمّاء ترويضاً .

في ذكر القاضي أبي محمد بن نعمة بن خليل[1]

وإثبات جملةٍ من نثره ونظمه

وبالسَّنَدِ المتقدّم وصلَ إليَّ خبره ؛ وهو أحَدُ مَنْ يتصرَّفُ فيجيد ، ويبدىءُ بيدِ الإحسانِ ويعيد ، جزلُ المقاطع ، سَهْلُ المنازع ، وقد أثبتُّ من كلامه ما تراه، وتستدلّ على غرضه ومنحاه .

فصول من نثره مع ما ينخرط في سلكها من شعره

أطال الله بقاءَ الحضرةِ العالية لغرائبِ مجدٍ تبتدعها ، وفرائضِ جُودٍ تُشَرِّعها ، وحوادثِ أيامٍ تذلّلُ صعابَها ، ومستأنفِ سعودٍ يطرقُ جنابَها ، وأدام أيامها التي هي للدهرِ تمائمُ ، وفي المجد غمائم :

غررٌ من الأيام يوضحُ فجرها والدهرُ من ظُلَمِ النوائبِ قاتمُ
كم صَرَّمَتْ عني حوادثَ لم تكن منجابةً لولا الأجلُّ الصارم

---

[1] أغلب الظّن أنه القاضي أمير الدولة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن خليل العسقلاني (وحدث تصحيف في لفظة « أحمد » فتحولت إلى « نعمة » أو العكس) ؛ ذكره العماد في الخريدة (الورقة : ١٩) من نسخة باريس رقم : ٣٣٢٨ وقال إنه « من الكتاب الشعراء والبلغاء الرؤساء ، إلا أنه مقل مع الاجادة والاحسان ، إنما يصنع ما يصنعه تأدباً لا تكسباً ، وكان في عهد المستنصر » ؛ وأورد له شعراً في صارم الدولة ابن معروف صاحب عسقلان .

ملكٌ تملكه النَّدى وتجمعتْ في راحتيه غمائمٌ وسمائم
فالروضُ يُجْدِبُ وهو روضٌ ممرع والغيثُ يُقْلِعُ وهو غيثٌ دائم

وشتان ما بينهما : تلك سحائبُ قد يُخْلِفُ بارقها ، وتُحْذَرُ صواعقها ، وروضٌ يجفُّ نباته ، وتتصوَّحُ زَهَراته ، ومكارمُ الحضرةِ العالية تزيدُ جدّةً على التكرار ، وتماثلُ الفلكَ الدوّار ، وهي تباري الشمسَ [نهارا] ، وتزورُ مزارَ الطيف سرارا :

منن بعثن أهلة مستورة فطلعنَ في فَلَكِ العلا أقمارا
ومواهبٌ ومناقبٌ ومناهبٌ رَفَعَتْ له فوقَ السماء منارا

ولما كانت الأوقات الشريفة موسومةً بثناءٍ يُسْمَعُ ، ومرسومةً بدعاء يُرْفع ، وأَهَلَّتْ هذه الأشهرُ المكرمة ، وجبَ على من حضر ، بل كافةِ مَنْ يضمُّهُ الثغر ، إخلاصُ الدعاءِ للحضرة العالية ، بأن يمدَّ الله عليها ظلاله المسدلة ، ويديمَ لهم ما شملهم من تمام/[١٨٠] المعْدِلَة ، وأن يُسْعِدَ أنحاءَهَا في طاعة إمامها ، ويصرفَ أعداءَها في حكم حسامها ، ويثبتَ لها من رأي سلطانه ما تستوفي به أقسامَ الفخر جميعا ، ويزيدَ لها أحداثَ الدهر خضوعا :

فلقد خدمتَ بهمةٍ لا ترتضي إلا سميَّكَ صاحباً وضجيعا
والجيشُ [أيْقَنَ] حين عاد بأنه ألفى بربعكَ معقلاً وربيعا
وردوا نميراً من يمينك ريّقاً وثرى محلٌ في ذراك منيعا
وسهرتَ دون هجوعهم بعزائمٍ تقضي وطرفٍ لا يذوقُ هجوعا
هذا وكم من مارقٍ مزَّقْتَهُ بيدٍ تُفيضُ مكارماً ونجيعا

والحمد لله الذي جمع للحضرةِ العالية شرائطَ السؤدد ، وخصَّها بالمجد

الموطّد ، والنسبِ الى أعلى خندف عماداً ، وأوراها في موقفِ الفخرِ زنادا ، أرومةِ الرسالة وجرثومة الخلافة ، إليها انتزع هاشم ، وعنها أخِذَتِ المكارم ، فبعبد مناف بن النضر بن كنانة ذؤابة الفخر :

هنالك أبناءُ الوغى وحماتها وثمَّ العطاءُ الغمرُ والعددُ الدثرُ
لهم أوْجُهُ زُهْرٌ وأنديةٌ خضر وألويةٌ حمرٌ وخطّيةٌ سُمْرُ

فأمّا الفضائلُ المكتسبة فان مولاي الأجلَّ ناظمُ أشتاتها ، ومؤلفُ متنافراتها ، فهو تارةً تحت عَذَبِ الأعلام ، وأُخرى بين طروسٍ وأقلام ، يستصغرُ عظيماتِ التدبير ثقةً بحزمه ، ولا يغفلُ صغيراتِ الامور تمضي إلا عن علمه ، فأما الحلمُ والأناة واستلذاذُ العفوِ مع القدرة والمحافظةُ على سرِّ الخدمة فان الله تعالى وهبَ له من ذلك ما سلَّمه إليه معانده ، وعرف فضيلته فيه حاسدُه :

مناقبُ نُظِمَتْ منها محامدُهُ وشيمةٌ عُرِفَتْ فيها عوائدُهُ
وللندى غير منزورٍ مؤمله وللردى [غير] معصومٍ معانده
يفديه وافدُ ليلٍ آبَ زائره بنجحه وبخيلُ خابَ قاصده

فأما المواقفُ المشهودة ، والآثارُ المؤرَّخة المعدودة ، فانه فيها ملقّى النصرِ ، دائمُ الظفر ، ميمونُ التدبير ، مسعودُ الرأي ، مُبَقٍّ عند الانتقام ، معتذرٌ مع سعة الانعام ، رحبُ الحمايل ، بسام المخايل :

يقصّرُ الناظم عن آلائه فيستعينُ بحلى الوسائلِ
لم يستعرْ فيها له فضيلةً حاشا العلا ولا مقالَ الباطل
وإنما يكتبها عن مجده فيستهلُّ نسخةَ الفضائل
لم نرضَ أنْ أنالنا فصاحةً موهبة إلا ببذلِ النائل

ولا زالتِ الحضرةُ السامية تجدد من رسم الأدبِ داثِرَهُ ، وتلبسُ من الثناء نفائسَهُ وجواهرَهُ .

وله من رقعة تهنئة :

لقد عجبت أيامنا [حين أبصرت] بها أروعاً زِينَتْ بحسن علائِهِ
إذا سهكتْ اعطافهنَّ تضمختْ بِمِسْكَينٍ من أفعالِهِ وثنائه

هذا الشهر ـ أدام الله تمكينَ الحضرة العالية ـ مضاهٍ لها في شرفِ النسب، والطهارة من الريب، والله يكرّرُ عليها مجازَهُ ما ارتقبتْ فيه ليلةُ القدر، وانتشر في السماء شعاعُ البدر، في عزّ تسكن به الخطوبُ العَرمة، وتنتقض معه الأحداثُ المبرمة.

وفي فصل منها : أرواه الله من تسنيم، وجعله من وَرَثة جنّةِ النعيم، يرتعُ في رياض الفردوس النَّضرِ ﴿في مَقْعَدِ صِدْقٍ عند مليكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (القمر : ٥٥) بعد ان يفني مُدَّةَ الزمان عمرا، ويوسعَ بنيه نوالاً غمرا، ويحوزَ من المحامد ما تتطرز به أردان الأيام، وتتقوض فيه هَضَباتُ شمام.

ومن أخرى في مثله :

أجزل الله بالحضرة الاثيرية بركاتِ هذا الشهر الشريف الذي تُقْضَى فيه المناسكُ بالبيت العتيق، وتردُ بعده أيامُ التشريق، ولا زال يُلْقي رحاله، ويواصل إلفهـا بكره وآصالهُ، في عزٍّ رفيعٍ سماكه، حاكمة بالبقاءِ أفلاكه، ومجدٍ راسيةٍ جباله، وسعادةٍ مقرطسةٍ [بـها] نباله.

اذا انقضبت يوماً حبالُ سعادة غَدَتْ مُحْصَداتٍ كيف شاءت حبالُهُ
يضيء وصرفُ الدهر داجٍ هلالُه ويعرف في قحط السنين انهماله
وجاهٌ نضير لا يخافُ ذبوله ولا ينطفي بالعاصفاتِ ذباله

والأرض [في] قبضته يقبض عنها أيدي العوارض، ويُسبِغُ عليها ملابسَ إنعامه الفائض.

ومن أخرى/:[١٨١]

ولـو علـمَ الطِّرْسُ الـذي قد حَبَوْتَهُ قلائـدَ من درِّ الـكلام المنضَّدِ
لقـاد إليك الشـكر حتـى تملَّه وحتـى يقـول السامعـون له قَـدِ

طلعتْ عليَّ من الحضرةِ ـ لا زالتْ نجومُ السعد بآفاقها طالعة ، وركائـبُ الحوادثِ عن ساحتها ظالعة ـ رقعةٌ كريمة أجلتُ ناظري في سطورها فقلت : سوسنٌ نُثِرَ على أقحوان ، أو قلائدُ عنبرٍ نُظِمَتْ في أجيادِ غزلان ، وراودتُ خاطري على بروز ذلك المرموز فقال : أما تستحي ان تسومني ذلك ، وقد أثْمَدَتِ الخطوبُ ينبوعي ، ومحتِ الحادثاتُ ربوعي ، فقلتُ : خيرٌ لا بدّ من تأمله ، وأمرٌ مطاعٌ لا مندوحةَ عن تقبله .

وله من أخرى :

شهـادةُ الخادم ـ حرس الله أيام الحضرة ـ شهادةٌ بسعادةٍ مستخدمه،ودلالةٌ على تواصلِ فضلِ الله وكرمه،كالأصل إذا زكا أورقت فروعُهُ،والماءِ اذا استجمَّ فاضت ينابيعه . وعرفتُ في هذه الساعة وفودَ قادم على عبدها الأمير شبلِ الدولة يثري من إنعامِ الحضرةِ العالية يده ، ويؤرخ بأيّامها الزاهرةِ مولده ، فشـاركتُ المذكورة في المسرّة بهذه النعمة ، اشتراكنا معاً في الخدمة ، وإني وإياه فيها فرسا رهان ، او كالأناملِ ضمَّها اليدان ، والذي له الأسماء الحسنى يضاعفُ إحسانه لديها ، ويجعل عواقبَ أمورها أحسنَ من مباديها ، حتى يلوذَ الكرمُ بجنابها السبعيد ، ويعيشَ الأحرارُ في فضلها كما يعيشُ العبيد .

وله من أخرى :

يا ليتَ أنَّ سوادَ طَرْفِي نائلُ ما نال من شَرَفٍ سوادُ مدادي
فعسـاه يطفـي لوعـةً مشبوبةً ألقـت عصاهـا في صميم فؤادي

وأقول حينئذ : أسعدَ الله الحضرةَ الساميةَ بهـذا الشهـر الميمـون ، وشحن صحيفتها بأجرٍ غير ممنون ، ولا زالتِ الأيامُ تمُرُّ بها جديدةً وترجع عنها بالية، وهي في أثناءِ ذلك ضامنة لها عزاً ينشر في الأفق ذوائبه ، ومجداً يحلي بالقمرين ترائبه ، وسعداً لا تخطىء سهامُهُ ، ولا يُفَضّ أبداً ختامه ، ورزقاً تعذبُ نطافه ، وتدرّ طولَ الزمانِ أخلافه ، ورضًى من الله تعالى يورثُ جنّاتِ النعيم ، ويهدي إلى صراط مستقيم .

ولما وصلتُ الى هذا المكان من هذه السطور سُلِّمَتْ إليَّ تحفةٌ من الحضرة السامية كأنّها لونُ المحبِّ قُصِدَ بالهجران ، أو نهودُ الكواعبِ ضُمِّخَتْ بالزعفران ، وحين شممتها وجـدتُ ذاتَ طيبيـن : طيبُ الأرومـةِ ، وطيب استفادتـه من اليد الكريمة ، وأستغفرُ الله ، أين البِرْسُ من الحرير ، والملابُ من العبير .

وفي فصل من أخرى :

المكارمُ ـ أطال الله بقاءَ مولاي الشيخ معمـورَ الفنـاء ، ممتعـاً بدوام العـزّ والنعماء ـ فروضُ مُهْتَبلات ، ومساعٍ على الدهر مُنْجِحات ، وبضائعُ في اكتسابِ الشكرِ مُرْبحات ، ولم يزلِ الحمدُ أكبـر تجائره ، وتقليدُ المنـنِ للأعنـاقِ أنفسَ ذخائره ، ومن تدرَّعَ أسبابَ رياسته ، وبهر الأَلباب بباهر فضيلةِ نباهتـه ، وبـذَّ الأضرابَ بكمالِ ورعه ونزاهته،[و]دنا من قديم فخرِ آبائه،وطبّقَ الأرضَ بفيضِ بحرِ عطائه ، وطاولَ بطولِ باعِ مُرُوَّتِهِ ، وتصدَّر بواسعِ صدرِ همّته ، وأصبح حليةَ الزمن القديم ، وغرّةً لامعةً في وجه الدهر البهيم ، عمَّ الأنام نفعا ، وأتى الجميلَ خلقاً وطبعا ، وتدارك بقيةَ الأزمانِ المشفية ، وجدَّدَ ما أَخلقَ من الآمال المتعفّية ، فلا زالتْ قَدَمُهُ محـذّوةَ رفاتِ الاعداء ، ويدُهُ مضمومة أزمّةِ العلاء :

ولا زالَ محروسـاً من الخطـب بالغاً ... الى غايةٍ تجـري فيقتصرُ المجري
ولا فقـدتْ عـينُ الرياسـةِ شخصه ... ومتّـع بالتـأييد والنهـي والأمر
وأدركَ من دنياه غايةَ سُؤْلِهِ ... ونـال المنـى في الآلِ والمالِ والعمر

وقد تعرضتُ لواسع رأفته ، فاستعطفتُ كريمَ عاطفته ، واسترجعتُ فائتَ حظي بمراجعته . وأعوذُ بالله أن أستنصرَ به على الزمان فيخذلني ، وإلى جوره بعد الاستسلام بعدله فيسلمني ، ويطرحني معتمداً من يده ، ويسقطني بالجملة عن عدده ، ويصرفني عن باب تصرُّفِهِ بالحرمان ، ويذودني عن بحرِ جودِهِ العذب مشتملَ الجوانح على غُلَّةِ الظمآن ، ومتقدمُ المعرفةِ رحم ، والوفاءُ بالذمم كرم ، وقد ناديتُ من نداه ـ دام علاه ـ سميعاً ، وسألتُ منه جواداً لأمرِ الجود مطيعاً ، واستمطرتُ من/[١٨٢] جوده غماماً غيرَ جهام ، وهززتُ منه حساماً غير كهام ، ومن أقعدته نكايةُ الأيام ، أقامته إغاثةُ الكرام .

ومن شعره

قد صار يختلق المحالَ وَيُبْطِلُ — من قال ليس على الثرى مَنْ يَكْمُلُ
حكمتْ عليه معجزاتُكَ أنَّه — متمحِّلُ فيما حكى مُتَقَوِّلُ
لا زلتَ في كَنَفِ السّعودِ وظلها — أبداً تحلُّ بحيثُ شئتَ وترحل
مثلَ الهلالِ يسيرُ في درجاته — والشمس في أبراجها تتنقل
أصبحتِ يا دارَ المظفر كعبةً — للمجد يُلْثَمُ ركنها ويقبل
فالشهبُ ليس يُغَمُّ[١] مطلعها ولا — جيدُ السماءِ من الغزالة يعطل
يا صارمَ الملك الذي أيّامُهُ — أبداً تزان بمجده وتجمّلُ
صقلته أيدي المكرماتِ ولم تخل — أن الصوارم بالمكارم تصقل
ملكٌ طفيليّ السماح يضيفُ مَنْ — لم يستضف وينيلُ من لا يسأل
مذ ورَّخوا عهدَ المعالي باسمه — ذهبَ التنازعُ واستبانَ المشكل
لو أنَّ مطبوعاً يفارقُ طَبْعَهُ — لحلا إذا شربَ الزلالَ الحنظل
ولما رأينا النحلَ تقضمُ علقماً — هواتُها فيعودُ وهو معسَّل

١ ص : ثم .

وهذا كقول المعري[1] :

والنخــلُ يجنــي المرَّ من نَوْرِ الربى[2] ... فيصــيرُ شَهــداً في طريقِ رُضابِهِ

يثنــي الرجــالُ على القتيل بسيفه ... فكأنمــا يُحْيي به مَنْ يقتلُ

وإذا لظــى الهيجــاءِ لثَّــمَ وَجْهَهُ ... أبصرتَــهُ تحــت القنــا يتظلَّلُ

حيثُ المغــاويرُ الــكماةُ تميد من ... نشــواتِ ما اعتصر الــوشيجُ الذبَّلُ

خمــر ترى مُهَــجَ الرجــالِ دنانها ... لكنّهــا بالســمهــرية تبــذل

و[زعــاق] ملــحٍ لا يســوغُ لشاربٍ ... كــدرٌ وأنــت السلســبيــلُ السلسل

يا عادلاً في كلٍّ ما هو فاعلٌ ... ما بال كفّــك في اللــهــا لا تَعْدِلُ

أفنــى تلادَ يديك عِلْمُــكَ أنَّهُ ... لا يَفْضُــلُ الأقــوامَ من لا يُفْضِــلُ

القاضي جلال الدولة بن عمار[3]

فصول من رسائله

مرحباً بطليعة السرورِ ، ومساعدةِ الدهور ، وبشير النُّجْح والبركة في جميع الأمور ، هذه صفةُ تخصُّ كتاباً وردني من مولاي الأمير ـ أطال الله بقاءه ، وأدامَ تأييده ونعماءه ـ على بُعْدِ عهدٍ بكتبه وأنبائِهِ ، بمعاندةِ الزمانِ لي فيه ، إلى أن أحكمَ أسباب البعدِ بيني وبينه ، مع تقاربُ قلوبنا وامتزاجها في حالي القربِ والبعد ، كما قال الباهلي :

وعــاندنــي فيه ريــبُ الــزمــانِ ... كــأنَّ الــزمــانَ له عاشــق

[1] من قصيدة له في جواب شاعر مدحه اسمه محمد بن علي بن محمد أبو الخطاب الجبلي ؛ انظر شروح السقط : ٧٢٠ .

[2] ص : يجني السور ... الورى .

[3] هو القاضي جلال الدولة (أو جلال الملك) أبو الحسن علي بن عمار تولىّ أمر طرابلس بعد وفاة عمّه القاضي أبي طالب ابن عمار سنة ٤٦٤ فضبط البلد أحسن ضبط ، ولما توفي المستنصر الفاطمي (٤٨٧) وانقسم الولاء بين نزار والمستعلي ، كان جلال الدولة في صفّ نزار ، فلما استتب الأمر للمستعلي قتل القاضي جلال الدولة بن عمار ومن أعانه (ابن الأثير ١٠ : ٧١ ، ٢٣٨)

وإنّي لأتذكّرك وأتذكّرُ أوقاتَ المسرَّةِ بقربـك ، والأنس بالاجتماع بك ، كما يتذكرُ الشيخُ الهمُّ شبابَهُ ، والعاشقُ المفارقُ أحبابَهُ ، وأرغبُ الى الله في تسهيل أمرِ تجمّعنا كما نحبّ ، وأدعوه ربي ﴿عسى ألاّ أكونَ بدعاءِ ربي شقيّا﴾(مريم: ٤٨) وما ذلك على الله بعزيز.

نعم سررتُ والله يا مولايَ بكتابك وأَنِسْتُ بقراءته ، وأوجبتُ حقّاً لحامله وهششتُ والله إليه ، كما قال قيس[١] :

إذا ذُكِرَتْ ليلى هششـتُ لذكرها · كما هشَّ للثّـدي الـدَّرورِ وليدُ

وفي فصل :

وأما ما ذكرتَهُ من التحرّكِ إلى جهتنا ، فهلُمَّ ، قرَّب الله دارَكَ ، وأدنى مزارَكَ ، ورعى الله جواداً يحملك ، وطيَّبَ ريحاً تُوصلك ، وبارك اللهُ في ليلٍ أو نهارٍ يفترُّ عن لقائك ، ويبسمُ عن شهيٍّ مشاهدتك .

وله من أخرى :

وافى كتابُـكَ مطـوياً على نُزَهٍ[٢] · تَقَسُّمَ الحسـنِ بـين السمع والبصرِ
جزلُ المعانـي رقيقُ اللفـظ مونقه · كالمـاءِ يخـرج ينبوعـاً من الحجر

وصل كتابُكَ يومَ عيد النحر فكان عيداً ثانيا ، وصادف أُنسي واهيا ، فكان له مسنداً بانيا ، فارتحتُ له ارتياحَ الروضِ للمطر ، ولم أملَّ بتكريرِ قراءتَهُ وهل تملُّ عينُ من النظر ، فكم من معنىٍ بديع ، ولفظٍ مُحْكَمٍ صنيع ، وبراعةٍ أتى بها [قلمـه] شَرْعاً ، وبلاغةٍ جاشَ بها بحره طبعاً لا تطبّعا ، « وليس بمنكرٍ سبقُ الجوادِ » ولا بمتدعٍ جَوْدُ العهاد ، وأمّا النظمُ فنظـمَ صفـاتِ الإحسـان ، واستدعـى نوافـج

١ لم يرد في ديوان قيس (مجنون ليلى) .

١ ص ، وافانى ... برة .

الاستحسان ، وأما النثر ، فأبهى من منثور الزَّهْر ، وأغلى قدراً من الدرّ والجوهر ؛ ولقد هزَّتني إلى لقاء مولاي لواعجُ شوقٍ تالد ، وبواعثُ وجدٍ خالد ، ودواعي أسفٍ متضرّم ، لم يُخْلِقِ البعدُ جديده ، ولا أذوَى طولُ العهد عُودَهُ ، ولا أنسى تقلّبُ الأحوالِ جهوده ، ولا نقض مرورُ الأيام مرائره ، ولا كدَّر تكدُّرُ العيش /[١٨٣] سرائره .

..........[١]

[المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني] [٢]

....

... الجاذبُ أشطانَه ، وإنّما هو الآن يُرْخي حتى يجذبَ ، ويجتمعُ لكي يثبَ .

وله من أخرى :

المودّاتُ إذا كانت متينةَ العقود ، صادقةَ المشهود ، موضوعةً على أصلٍ عريق ، وأساسٍ وثيق ، لم تُجْزِعْهَا[٣] الشُّبْهَةُ المُرْمِضَةُ ، ولم تُزَلْزِلها الأباطيل[٤]

---

١ سقطت هنا ـ فيما أعتقد ـ صفحة ـ ضاعت بها بقية ترجمة جلال الدولة ابن عمار وأول ترجمة المجيد بن أبي الشخباء .

٢ هو الحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبي الشخباء أبو علي العسقلاني (ياقوت ٩ : ١٥٢) والحسن بن عبد الصمد (ابن خلكان ٢ : ٨٩) وقد أشار كلاهما الى ترجمته في الذخيرة وأثبت ياقوت نقلاً عن ابن بسام أنه توفي سنة ٤٨٢ (وقع خطأ في الطبعة المصرية من معجم الأدباء : ٤٣٢) وكان يلقب بالمجيد ذي الفضيلتين ويقال إن القاضي الفاضل استمد من رسائله ؛ وذكره العماد في الخريدة في العسقلانيين في القسم التابع لشعراء مصر الورقة : ١٤ (نسخة باريس رقم : ٣٣٢٨) فقال : « مجيد كنعته ، قادر على ابتداع الكلام ونحته ، له الخطب البديعة ، والملح الصنيعة ، وكان قبل عصرنا في أيام الأقسيس سنة سبعين وأربعمائة » وذكر العماد أنه رأى ديوانه عند صديق له بدمشق ؛ وللمجيد مختارات من شعره في الخريدة ومجموعة من رسائله وخطبه في الريحان والريعان وفي جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام ؛ وقال ياقوت إن اكثر رسائله إخوانيات واورد جملة منها ؛ وجعل المقريزي وفاته سنة ٤٨٦ (اتعاظ ٢ : ٣٢٨)

٣ تجزعها : تدخل عليها الجزع .

٤ ص : الأباطل ؛ وجمع باطل عند سيبويه « أباطيل » ، وعند غيره أن أباطيل جمع أبطولة ؛ وقد تردّ « أباطيل » إلى « أباطل » لحاجة الشاعر ، ولا ضرورة لذلك هنا .

المعترضَةُ ، وإن تناقلتها ألْسُنٌ مختلفة ، وعَلَتْها برودٌ من اللفظ مُفَوَّفة ، ولما رأيتُ زيارةَ مولاي قد صارت مُرَقَّعة ، وَجَنوبَ[1] موَدتِهِ قد عادتْ مُرَوَّعـة ، وصرتُ أرى قَوْلَـهُ متناقضاً ، وماءَ البِشرِ من وجهه غائضاً ، من بعد ما عهدتُهُ[2] :

تنبـي طلاقـةُ وجهِـهِ عن وجهه[3] فتـكاد تلقـى النُّجْـحَ قبـل لقائِـهِ
وضيـاء وجـهٍ لو تـأمَّلَـهُ امرؤٌ صادي الجـوانـح لارتـوى من مائه

لم أتجـاسرْ على سؤالـه عن العلّـة خوفـاً أن يعيبَ عليَّ الارتيابَ بودّه ، وَتطرُّقَ سوءِ الظنِّ على عهده ، فسألتُ من يعلم دفائِنَهُ ، ويَخْبُرُ ظاهرَهُ وباطنَهُ ، فأخبرني أنَّ بعضَ الناسِ ـ ولم يُسَمِّهِ ـ نقل إليه عنّي ، فشنَّ الغارة على وفائه ، وزلزل أواخي ودِّه وإخائه ، فقلت : عَتْبٌ واللهِ ولا ذَنْب ، وشكايةٌ ولا نكاية ، وأنا أُحاكمُ مولاي إلى إنصافِهِلا إسعافِهِ[4] ،وعدلِهِ لا فَضْلِهِ ، وما كان أجْدَرَهُ برفضِ قولِ الماحل[5] ، وتغليبِ الحقِّ على الباطل ، ولا يرى نَفْسَهُ بصورةِ مَنْ تَسْتَخِفُّ حصاتَـهُ الـريحُ الخافقة ، وتشعِّثُ من مودّته الأقوالُ الماذقة . ولو انتقضتْ عندي المعاقد ، وقامت عليّ ـ وأعوذ بالله ـ الشواهد ، لكان مولاي حريّـاً أن يجري في كرم اللقـاءِ على العادة ، ويتأدَّبَ بقولِ أبي عبادة[6] :

أَبَيْـتُ علـى الخـلاّنِ إلا تحنّيـاً يلينُ لهـم قلبـي[7] ويصفـو لهـُم شِرْبي
وإنـي لأستبقـي الصـديقَ إذا نبـا علـيَّ وأهنـا من خلائقِـهِ الجُرْبِ[8]

---

١ ص : وشيوب ؛ وتقول العرب للاثنين اذا كان متصافيين ريحهما جنوب ، قال الشاعر :
لعمري لئن ريح المودة أصبحت شمالاً لقد بدلت وهي جنوب
٢ ورد البيتان التاليان في الخريدة :١٥
٣ الخريدة : وده .
٤ ص : لاسعافه
٥ ص : القول الماجل ؛ والماحل : الساعي ، ومحل به : كاده بسعاية الى السلطان .
٦ هو البحتري ؛ والبيتان في ديوانه : ١٠٥
٧ الديوان : عطفي .
٨ أهنا : مخفف من أهنأ أي أطلي بالقطران .

والآن فقد أوْضَعْتُ وأوْجَفْتُ ، وتألّفْتُ مولاي واستعطفت ، فان عادتْ ظلالُ ودِّه مديدة ، وحبالُ كَرَمه مَحْصوفةً[1] جديدة ، فَحَسَنٌ بتلك الشمائِل ، أن تجمع شَمْلَ الفضائل ؛ وإن تمادى على هذه الهجرة ، ولم يصحُ من نَشَواتِ تلك السَّكْرة :

فما ذاك من ذنبٍ عليَّ اجترمتُهُ إليه فيجزيني به حيثُ أعلمُ
ولكنَّ إنساناً إذا ملَّ صاحباً وحاول صَرْماً لم يزلْ يتجرَّم

واللهُ جلَّتْ قدرتُهُ يجعلُ حفظ المودةِ عنده أوجبَ الحَقّينْ ، وأنفعَ العِلْقَين ، ويرفَعُهُ عن السِّمَةِ بنقضِ المرائر ، وحليةِ الجائرِ الغادر .

وسافر بعضُ أخوانه فَشُغِلَ عن وداعه فكتب إليه : ما أخَّرني عن خِدْمَةِ مولاي بالوداع أنّي متأخّرٌ في حَلْبَةِ ولائه،ولا عارٍ من ملابس إخائه وآلائه،ولوددتُ لو صحبتُ ركابَهُ السعيدَ إلى الصعيد ، وقطعتُ معه عرضَ المهمهِ البعيد ، وَزَوَّدْتُ من مجاورته قلباً معموراً بودّه ، ومِنْ مشاهدته طَرْفاً لا صَبْرَ له مِنْ بَعْدِهِ . وإنما حجزني أمران كلٌّ منهما يمهّدُ العذرَ ويبسُطُهُ ، [ويمحو][2] الذنبَ ويحْبِطُهُ ، وهو شغلي في إنشاء التقليد [العليّ][3] وتحريره ، وفعل ما أمرتْ به الحضرةُ السامية وتقريرهِ ، ثم خوفي أن أرى مولاي وقد حلَّ انطلاقُه ،وأسمعَ [أن قد حان فراقه] ، ونَعَقَ غرابُ بَيْنِهِ فقضَّ أضلعاً ، وأفاض نفوساً وأدمعاً ، فضعفتُ عن مشاهدةِ ذلك المقام ، وقصرت [عن تحمل ذلك] الداءِ العُقام ، وظللتُ أُنشِدُ ، والدموع هُمَّعٌ ، والفؤادُ مُصَدَّع :

وأخرني[4] يوم انطلاقك أن أرى على جمراتِ البين [قلبي يُلذَّع]
فؤاد إذا قيل الفراقُ تساقطتْ خُفوقاً أواخي صبرهِ[5] تتقطّعُ

١ ص : مقصوفة ؛ والحبل المحصوف أو المحصف هو المحكم الفتل .

٢ بياض في ص .

٣ ما يرد بين معقفين حتى آخر القطعة سببه عدم ظهور الكلمات في أواخر الأسطر ، في هذه الصفحة .

٤ ص : وأخبرني ، ولعلها أن تقرأ أيضا « وأحزنني »

٥ صبره : قراءة تقديرية ، وصورة الكلمة في الأصل تشبه « هزة » .

وإنـــي صليبُ العـــودِ في كلِّ حادثٍ ولكنَّ أعوادي [لنأيــكَ خِرْوَع]

وإذا استنقـذ البـينُ هذه النوبـة ، وخفقـتْ بمشيئـةِ اللــهِ رياحُ الأَوْبة ، وهبتُ وجهي للشحوب ، وجسميَ للنَّصَب واللغوب ، وهتمتُ ثنايا الأرضِ إيضاعاً وإرقالاً ، وجعلتُ مسافةَ اللقاءِ لمسافة الوداع أميالا ، وأطلتُ شكرَ الزمانِ على ما يجدّدُه لي من مسرَّةٍ قد خَلَعْتُ بردها ، واستطلتُ عهدها ، وأنشدت :

طربــتُ وقـد جـاء البشـــيرُ بقربكم وذو الشوقِ عند اسم الحبيبِ طَروبُ
وقمـتُ إليـه راشفـــاً من ترابـه ثرىً لك يحلــو رَشْفُـــهُ ويطيب

وما يَبْعُدُ ذلك في قدرةِ الله الذي يُخْرِجُ من الشجرِ الأخضرِ جذوةَ نار ، ويهبُ القمرَ كمالاً بعد نقصٍ وسرار .

وله من أخرى/[١٨٤] يعاتبُ بعضَ القواد[١] :

رأيت فلاناً[٢] عند نظرته لي بالأمسِ قد قطَّبَ حاجبَهُ ، وزعزعَ مناكبه ، وأوسع الغلام من [.. .. ..] ذيل كمّه ؛ فقلت : ماله ؟ أأُنزلَ إليه وحيٌ، أم عُصِبَ به أمرٌ ونهيٌ ، أم حصل من الخلافة على وَعْد ، أم أنسيء له الأجلُ مُدَّةَ العهد ، أم قلَّ عَقْلُهُ فعقَّ نفسَهُ وظلمها ، وجهـل مقاديرَ الأشياءِ وقيمها ، واعتقد أنَّ الدنيا طوعُ حكمه ، والقطرَ صائبُ فهمه ، أم رأى الملائكةَ المقرّبين تتشفَّعُ به ، والحورَ العينَ تشكو لاعجَ حبّه ، وثمارَ الجنّةِ تدلتْ إلى يده ، ونارَ جهنم تقتبسُ من زنده ، والكوثرَ يمدُّ من مَعينه ، والسمواتِ مطويّاتٍ بيمينه ، والبراقَ قد امْتُطِيَ لحضرته ، والفراقَ [...] قوّته ، فأُجِبتُ بأنّ شيطانَ ظنّي مارد ، وتصوّري فيه ـ أعزه الله ـ فاسد ، ولا حقيقةَ لشيءٍ مما توهمته ، وسددته من القولِ وأقمته ، فقلتُ : إذا لم يكن ذاك فما

١ الشق الأيمن من هذه الصفحة أكثره مطموس ، ولذلك تعذرت قراءة بعض العبارات ، كما أن بعض القراءات المثبتة مما لا أقطع بصحته .
٢ ص : فلان .

ذلك ؟ قيل : سَفَهٌ في الرأي وأَفَن ، وتغيّرٌ في الطينةِ وعَفَن ، ظـن أنَّ الأحرارَ مِلْكُ عُهْدته ، والعالَمَ مجموعٌ في بُرْدَتِهِ ، فحين سمعتُ ذلك أَخَذَتْني لمولاي الحميّةُ ، وهزَّت رأسي الأَرْيحيةِ وقلتُ : معاذَ الله ، إنَّ دونه في الحَصَاةِ[1] والكيس بطليموس ، وفي الحكمةِ ارسطاليس[2] ، وان الحكمةَ تُسْتَنْجَحُ من ظنّه ، والغيثَ يرشحُ من شَنِّه ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه﴾ [البقرة : ٢٥٥] وإنه بحمدِ اللهِ كما قيل :

خِـرْقٌ إذا أفضـى السماطُ به   كَثُـرَ العثـارُ وطبَّـقَ الزللُ
وإذا السـريـرُ سما بقعدتـه   غَـرِيَتْ بظـاهِـر كفـهِ القُبَلُ

فهناك سكنتِ الألسنُ الهادرة ، ووقفتِ المَرادةُ[3] الغادرة ، وعاد مَنْ حَضرَ يُثْني على مولاي ويقرِّظُهُ ، ويحملُ من شكره ما يؤوده ويبهظه[4] ، فإن كانت هذه الوكالةُ واقعةً منه بالوفاق ، فيجعلُ ثوابي عليها انحلالَ العقدةِ من جبينه ، وزوالَ التارضِ من جفونه ، وخفضَ الإصبعِ من سلامه ، وتركَ النزوة على غلامه[5] .

وله من أخرى في مثله :

أرى[6] سلامَ سيّدي قد تقاصرَ طويلُهُ ، وروضَ جوِّهِ قد زاد ذبولُهُ ، وماءَ بشرهِ قد غاضتْ بحورُهُ ، ونشاط لقائه قد استمرَّ فتوره ، وما عهدتُهُ ـ أعزَّه الله ـ تزدهيه الشبهة وتستخفُّهُ ، وتصدُّهُ عن كَرَم العهدِ وتكفُّه ، وينزلُ المَيْنُ من سمعِهِ بالمكانِ المهيب ، ومن قلبه بالقابلِ المستجيب ، بل هو يَرْحُبُ إذا حَرِجَ المضيق ، ويرطبُ وقد عَصَبَ الريق ، وتمرُّ به المُحفِظاتُ وهو راضٍ ، وتوقظُهُ المغايظُ وهو متغاضٍ .

١ الحصاة : العقل والرزانة .
٢ ص : ارطاليس
٣ ص : الموادة ؛ والمرادة : العتو والتمرد .
٤ ص : وينهضه
٥ ص : أعلامه .
٦ ص : أي

إذا أمرته مِرَّةٌ من حفاظِهِ   بسوءٍ نهاهُ خُلْقُهُ الباردُ العذبُ

فما الذي أعاد فَلَقَهُ غاسقاً ، وصريحَهُ ماذقاً ، فان يكُ عن مللٍ[1] فؤادِهِ ، وتشعّبِ ودادِه :

فكم أخٍ غيّره يوميَ الـ   ـمقبلُ عن أمسي به الذاهبِ
ملَّ فلم يعطفْ لحبِّ الصبا الـ   ـحاني ولا حقّ العلا الواجب

واستقرّت الوزارةُ لبعض أصحابه ثم توقف الأمرُ بعدُ فيها فكتب إليه : الخِيَرَةُ ـ أطال اللهُ بقاءَ سيدنا ـ تجيءُ من غيرِ الأمرِ المختار ، و[هي] مخبوءَةٌ تحت أستارِ الأقدار ، فكمْ سببٍ اجتمعتْ فيه شواردُ الآمال ، ولبسَ ظاهرُهُ مسحةً من الجمال ، كان المكروهُ منظوماً في تاجه ، منطوياً في أثنائه وأدراجه ، وآخر ظهر للنّاسِ بلونٍ شاحب ، ووجهٍ قاطب ، كان ضامناً لابتسام الزمن ، وكافلاً بالأجمل الأَحْسَنِ ، وبهذا أدَّب تعالى عباده ، وقال في الكتاب المكنون ﴿وعسى أن تَكْرَهُوا شيئاً وهو خيرٌ لكم ، وعسى أن تحِبُّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم واللهُ يعلمُ وأنتم لا تعلمون﴾ (البقرة : ٢١٦) فلمح أبو عبادة هذا الأسلوب فقال في معناه[2] :

والشيءُ تُمْنَعُهُ يكونُ بفوتِهِ[3]   أحظى[4] من الشيء الذي تُعْطَاهُ

واذا تُصُفِّحتِ الأمورُ بعينِ البصيرة ، ونُظِرَتْ بالخواطر المستنيرة ، ونُفِذَتْ بالألبابِ الصَّيْرَفيّة لا الزائفيّة ، عُلِمَ أنّ هذه الرتبةَ زليقةُ الصراطِ ، سريعةُ الانحطاط ، يعلو الانسانُ صهوتها ثم هو بعدُ راجل ، ويتحلىَّ بها وقتاً ثم هو مسلوبٌ

١ ص : ملكه .
٢ ديوان البحتري : ٢٤٠٣ وقبل البيت .

والعيش ما فارقته فذكرته   لهفاً وليس العيش ما تنساه
ولو أنني أعطي التجارب حقها   فيما أرت لرجوت ما أخشاه

٣ ص : يمنعه يكون بقربه ، والتصويب عن الديوان .
٤ الديوان : أجدى .

عاطل ، وما لم يُوسَمْ بها فالخطط تعتقبُهُ ، والمنازل ترتقبه ؛ أجلْ ، وهذه الدرجةُ كلما خبرت الأقوامُ ،وتمادتِ الأيّام[1] ، غاضَ معينها ، وزاد حنينها ، فمنها الكمدُ ، ومن سيدنا الصَّيِّدُ، ومنها الكَلَفُ، ومنه/ [١٨٥] التّيهُ والصَّلَف ، حتى إذا نَغِلَ الأديم ، ورُعِيَ الهشيم[2] ، وتشاقَّتِ[3] الخططُ ، وجار الحكمُ وَقَسطَ ، دُعِيَ سيدنا لِشعْبِ المنصدع ، ووَصْلِ المنقطع ، وإيجادِ الممتنع ، فهناك يَقومُ بالأمر ، ويسهل الحَـزْنُ والوعر :

مُبارِكٌ[4] تطردُ اللأواءَ رؤيتُهُ طردَ الظلامِ فرندَ البُلْجَةِ الواري[5]
صحيفةُ الملكِ في عدلِ سيرته وزيرُ مُلْكٍ خَلَتْ[6] من إثمٍ وأوزار
برأيه المكتسي أو سيفِهِ العاري يذبُّ عنه وقد رِيعَتْ جوانبه

وكان يوماً المجيدُ بمجلسِ الأُنسِ ، ودَعَوْا بعضَ أصحابِ القلانس فلم يحضرْ لأجلِ الغناءِ فكتب إليه : عجبتُ لمولاي كيف أسْنَدَ في التخلّفِ إلى عذرٍ هَلْهَال ، وسلك طريقاً صعبةَ المجال ، وجعل المانعَ له من الحضور أمراً يقوّي على الهموم ، ويَقُوتُ النفوسَ فكيف الجسوم ، ويمتزجُ بالقلب امتزاجَ تامورِهِ ، ويُطْلِقُ شكائمَ بهجتِهِ وسروره ، فان يكُ ذلك لدينٍ وثيق ، وخُلُقٍ بالتقوى خليق ، فما بلغ مولاي من حِفظِ الشريعة إلى هذه الرتبة ، ولا وُضِعَ قِدْرُهُ بعدُ على هذه الهضَبة[7]. وإنما هو

١ ص : الأنام .

٢ نغل الأديم : فسد الجلد ؛ ورعي الهشيم : مثل على اللجوء إلى غير ذي الكفاية لعدم وجود من هو كفؤ ، كما قال الشاعر :

ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوّح نبتها رعي الهشيم

٣ ص : وساقت .

٤ ص : منازل .

٥ فيه قلب ، اذ حقه أن يكون طرد فرند البلجة الواري للظلام .

٦ ص : جلت .

٧ كناية عن أنه لم يصبح بعد مشهوراً .

الآن يُحْكِمُ أمراً ، ويصيد بها إذا تعقَّلَ عمراً[١] . وإن كان لخوفٍ[٢] من ثقيل ، وحذرٍ من غلول ، فما كان هناك إلاّ مَنْ يَفْـرَقُ السَّوْرَةَ[٣] ، ويستُر العَوْرَةَ ، فان حضر طُويَ هذا البساط ، وتوفَّرَتْ للمسرَّةِ أقساط ، وإن تفادم وتغاتم دلَّكَ[٤] عليه شرحُ أمورٍ قديمة ، وظهورُ أنباء مكتومة ، وجاءنا من حديثِ البستانِ الحيريّ ما يَغُضُّ من الطيالسِ والقلانس ، ويُنْسي يومَ الغبراء وداحس .

وله من أخرى في مثله :

لما هجر مولاي مجالسنَا في الجامع وأَوْحَشَهـا[٥] ، وأطـالَ إليه ظمأ النفـوس وعَطَشها ، وأخلى مكانَهُ من طلعته التي تُطْلِعُ علينا من السرّورِ ما غرب ، وتؤنسُنا بغرائبِ الأُنْسِ والطَّرب ، وتصرَّفَ فكري في ما اقتضى ذلك فلم أعْثُرْ على أمرٍ عاذر ، ولا ظفرتُ بسبب ناصر ، ذهب وهمي إلى أنه استحدث ودوداً ، واستطرفَ [خِلاًّ] جديداً ، فترك هذا الأنام[٦] حتى ينقعَ أُوامَهُ ، ويبرّدَ غرامه ، وحين ثَوَتْ هذه الظِنَّةُ في نفسي أنْفَذْتُ فلاناً لاستيضاح الخبر ، فحكى أنه الفى مولايَ في الطبقة الدهيشية(؟)فَدَهِشَ لما رآه من مجلسٍ حسنٍ ، ومقامِ صبوةٍ وَفِتَن ، وأمورٍ بديعة ، وأحوالٍ وسيعة، وفاكهةٍ لا مقطوعةٍ ولا ممنوعة ، وظبيٍ قد كَحَلَ بالسِّحْرِ لَحَظَاتِهِ ، وأطلق العقاربَ على وَجَنَاتِهِ ، ونظم السلوكَ في ثغره ، وأنبتَ ثَمَرَ الصِّبا في صدره ، يدير على مولاي كأساً :

اذا أَخَـذَتْ أطرافُـهُ من بحورها رأيتَ اللجـينَ بالمدام يُذَهَّبُ

---

١ ص : اذا لفعل ؛ ولعلّ معناه : إنه يدير خطة لنيل منزلةٍ يصبح بها عمرو رغم دهائه دونه . ولفظة « يصيد » قد تقرأ « يصير » ، رغم وضوح الدال في الأصل .

٢ ص : للخوف .

٣ يعني يتجنب سورة السكر ، أي لا يعربد ؛ وفي ص : لعدف السررة .

٤ ص : ان تعادم وتفاتم وذلك ؛ والتفادم : التظاهر بالفدامة ، والتغاتم : التظاهر بالغتمة أي العجمة .

٥ ص : وأوحشنا .

٦ ص : هذه الأيام .

كأنَّ بخدَّيْهِ الذي جاءَ حاملاً   بكفَّيه من ناجودها [بات] يُقْطَبُ

فطفقتُ متعجباً لما وصفه المخبر ، وحمد[ت] الله على صِدْقِ الحسِّ والتقدير ، وعذرتُ مولاي في التخلُّفِ عن الجامع ، واستيفاءِ النّهْلَةِ من هذه المشارع ، وأوْسَعْتُهُ ملاماً على التفرّدِ بهذه الحسنة ، والفاحشة المتبينة ، دون الشيخ أبي الحسن ، الذي ينحاز في فعله الحسن ، ويضلُّ في أدْنى ذلك السَّنَنِ ، اللهمَّ إلاّ أن يكونَ خاف أن يجريَ هذا الصديقُ على طاعةِ شيطانِهِ ، والبذاءِ على إخوانه ، والتدحرجِ عن موضعه ومكانه ، ليتأبَّطَ في الليل شرّاً ، ويسيرَ إلى حيث تسكنُ الغزلانُ سرّاً ، وقد قرَّت أعضاؤُهُمْ نوماً وسُكْراً ؛ ومع هذا فأُوثِرُ من مولاي أن يُقْبِلَ على شانِهِ ، ويخفضَ قليلاً من عِنانه ، فانَّ الجاهَ صَدْعُهُ لا يُجْبَر ، والملقي بيده إلى التهلكة لا يُعْذر ، وقد شببنا عن هذه الحال ، فيحسنُ المتاب ، ويسمحُ بردّ الجواب[1] .

وله من أخرى :

لو رآني مولاي وقد أُرْشِفْتُ الخمرة فوجدتها مرارةً تُذَمُّ ولا تُحْمَدُ ، وتثيرُ كامنَ الحزن والكَمَد ، وتصفحتُ النِّدامَ فعدمتُ منهم أُنساً عن الناظر دونَ الخاطر ، وعدم تلك المحامد والمآثر . فأمّا الماءُ فالله يعلمُ أني اتجرَّعه ولا أكاد أسيغُهُ شوقاً إلى تلك الخلال التي هي أنقى منه أديماً ، وأرقُّ نَسيماً ، وأمسكُ للنفوس رَمَقاً ، وأكثر لذوي[2] الحاجات تدفقا :

خلائقُ : إمّا ماءُ كرم[3] ترقرقا   أُغادَى به أو ماءُ مُزْنٍ[4] تصفَّقا
كأنَّ الصَّبا جَرَّتْ عليه ذيولَها   أصيلاً وفأرُ المسكِ عنها تفتَّقا

١ ص : وقل شيئاً من هذه الحال .. ويسمح برب الحراب .
٢ ص : ذوي .
٣ ص : إما ماؤكم .
٤ ص : موت .

وأما ارتياحي إلى الموالي السادةِ ـ حَرَسَ الله مُدَدَهم ، وكثّر بساحةِ المكارم عَدَدَهُمْ ـ فارتياحُ مَنْ رحَل وترك قَلْبَهُ عندهم ، وإني وإياهم لكما قال [الأول][1] :

لم ألـقَ بعدهـمُ قومـاً فأُخْبِرَهم ... إلاّ يزيدهُـم حبّـاً إليَّ همُ

وعلى القاضي السـيد منهم السلام [١٨٦] خصوصاً ، لانّي أعلمُ عن صورةِ حاله في هذا الشهر ، واحتباس يده عن كأسٍ يحلبها ، وفمه عن قبلةٍ يَسْلُبُها ، وقدَمِهِ من الحانة الخمرية ، وزيارةِ الغيد الحورية ، فاذا حُلّتْ بمشيئة الله أنشوطةُ هذا العِقال ، وأطلعَ الله سبحانه عليه هلالَ شوال ، فأَنِسَ وسْطَ القوم ، وأخذ بثأرِهِ من أيام الصوم ، فليذكرْ هناك صديقاً لم يَنْسَهُ وقد ضرب البينُ رواقَهُ ، وأطالَ الفراقُ اعتياقه . وأؤمل من الله تعالى أن يسهّـلَ من قُرْبِ الـدار ما يُعيدُ سِلْكَ المسَرَّةِ منظوماً ، والشملَ بحضرته السامية ملموماً ، فهي الحضرة : تهبُّ منها رياحُ العلاءِ ، وتحطُّ بها حقائبُ المدح والثناء ، وتُبدعُ في إسداءِ المِنَح والآلاء .

والبيت الذي أنشده لزياد بن منقذ الحنظلي أخي المرار العدوي .

قال ابن بسام[2] : وأراه أوّلَ من استثار معناه ، ومنه قول الآخر مما أنشده

---

١ سيذكر ابن بسام في مايلي أن قائل هذا البيت هو زياد بن منقذ الحنظلي أخو المرار العدوي ؛ ونسبه البغدادي في الخزانة (٢ : ٣٩٤) إلى المرار نفسه ، وروايته :

ومـا أصاحـب من قـوم فاذكرهم ... إلا يـزيدهـم حبـاً الـيّ هم

وزعم الحصري أن المرار هو نفسه زياد بن منقذ ، ونقل ذلك البغدادي عنه (٢ : ٣٩٥)، وجاء في بعض أصول زهر الآداب أنه أخو المرار ، حسبما ذكر ابن بسام ، وروى البيت كما جاء في الذخيرة (انظر زهر الآداب : ١٠٦٤) قال البغدادي (٢ : ٣٩٦) وزعم أبو تمام في الحماسة أن القصيدة التي منها البيت لزياد بن حمل بن سعيد بن عميرة (الحماسة رقم : ٥٧٧) وزعم الاصفهاني في الاغاني (١٠ : ٣٣٠) والخالديان في شرح ديوان مسلم ابن الوليد أن هذه القصيدة للمرار بن سعيد الفقعسي ، والصواب انها لزياد بن منقذ العدوي ، قاله ياقوت في معجم البلدان (مادة : صنعاء) قلت : ما ذكره عن الحماسة ثابت عند التبريزي ، وفي شرح المرزوقي : قال زياد بن حمل ، وقيل زياد بن منقذ ، وكذلك هو عند البكري ، في شرح الأمالي : ٧٠ ، وانظر العيني ١ : ٢٥٧ وشرح شواهد المغني : ٤٩ وحاشية البكري : ٧٠ ؛ وكان من مناسبة القصيدة أن زياد بن منقذ رحل الى صنعاء فلم يحمدها ، فقال ذلك الشعر يذمها ويتشوق الى وطنه .

٢ يعتمد ابن بسام في اكثر هذا التعليق على زهر الآداب : ١٠٦٤ ـ ١٠٦٥ .

حبيبٌ في حماسته ، ويزعم دعبل أنّ هذا الشعر له[1] :

ولما أبـى إلا جماحـاً فؤادُهُ ... ولـم يَسْلُ عن ليلى بمـالٍ ولا أهلِ
تسلى بأخـرى غيرهـا فاذا التي ... تسلى بهـا تُغْـري بليلى ولا تُسلي

وكان[2] ابن عرارة[3] السعدي مع سَلْمِ بن زياد بخراسان ، وكان له مكرماً ، فتركه وصحب غيره فلم يحمدْ أمرهُ ، فرجع إليه وقال[4] :

عتبـتُ على سَلْـمٍ فلما فقدتُهُ ... وجرَّبـتُ أقوامـاً بكيتُ على سلمِ
رجعـتُ إليه بعـد تجـريب غيره ... فكان كبـرءٍ بعـدَ طولٍ من السقم

وأنشد المبرد[5] :

أخٌ لـيَ عاداه الزمـانُ فأصبحتْ ... مـذمَّمةً فيما لديـه المطالبُ
متـى ما تُذَوِّقْـهُ التجـاربُ صاحباً ... من النـاسِ تَرُدُدْهُ إليكَ التجارب

وأنشد أيضاً[6] :

حياةُ أبـي العبـاسِ[7] زينٌ لقومِهِ ... لكلِّ امـرىءٍ قاسى الأُمـور وجرَّبا
ونعتـبُ أحيانـاً عليه ولـو مضى ... لكنَّا على الباقـي من النـاسِ أعتبا

١ الحماسية رقم : ٤٩٧ (١٢٩٢) في شرح المرزوقي ؛ وشرح المضنون : ٢٤٩ والزهرة : ٣٤ وأمالي القالي ١ : ٢١٠ والحماسة البصرية : ٢ : ١٧٣ وديوان ابن الدمينة : ٩٤ واللآلي في شرح الأمالي : ٥٠٢ (للحسين بن مطير) وديوان دعبل (تحقيق الأشتر) : ٣١٩ وديوان الحسين بن مطير (جمع محسن غياض) : ٧٠ وفي المصدرين الاخيرين تخريجات أخرى .
٢ النقل عن زهر الآداب : ١٠٦٤
٣ زهر الآداب : ابن أبي عرادة .
٤ هما في زهر الآداب ، والأول منهما في عيون الأخبار٤ : ٤ لنهار بن توسعة ، واعتاب الكتاب ، ١٧١ (دون نسبة) والمستطرف ١ : ٢٣٣ لابن عرارة ؛ وبهجة المجالس ١ : ٦٥٧ (دون نسبة)
٥ زهر الآداب : ١٠٦٥ ونسبه للبحتري ، ولم أجده في ديوانه .
٦ زهر الآداب : ١٠٦٥ والكامل ٤ : ١٢٦ والثاني في عيون الاخبار٤ : ٤ والعقد ٣ : ٤٥٥ وبهجة المجالس : ٦٥٧
٧ الكامل : أبي العوام .

وقال مسلم بن الوليد[1] :

حياتُكَ يا ابنَ سعدانِ بنِ يحيى حياةٌ للمكارمِ والمعالي
جلبتُ لك الثناءَ فكان عفواً ونفسُ الشكر مُطْلَقَةُ العِقَالِ
ويُرْجعني إليك وإن تناءَتْ[2] دياري عنكَ تجربةُ الرجال

ويتطرَّفُ هذا المعنى أيضاً قولُ ابنِ الرقاع[3] :

وإذا نظرتُ إلى أميري زادنيَ كلفاً به نظري إلى الأمراءِ

ومنه قول الرضي[4] :

ما ساعدتني الليالي بعدَ بينكمُ إلاّ ذكرتُ[5] ليالينا بذي سَلَمِ
ولا استجدَّ فؤادي في الزمانِ هوىً إلاّ ذكرت هوى أيامنا القُدُمِ

ومن أخرى له عن الوزير الناصريّ[6] إلى بعض القبائل : معلومٌ أنَّ الله تعالى قد يأذَنُ للنِّعَمِ إذا خُصَّتْ بالشكرِ أن تستدني البَعيدَ القصي ، وتستأنسَ النافرَ الوحشي ، وإذا قُرِنَتْ بالكُفْرانِ يرحلُ منها القاطنُ ، وتستوحِشُ المعاطن؛ووصل إليَّ ما كان منكم من الانحرافِ عن الحضرةِ السامية والتظاهرِ بالخلاف عليها ، فتحقَّقْتُ أنَّ الشيطانَ قد أعملَ فيكمْ كَيْدَهُ ، واستنفدَ في إضلالكم قُوَّتَهُ وَأَيْدَهُ ، وأوْضَعَ بكم في مراعيَ وَبِيَّة ، ودبَّ إليكم من طريقٍ خَفِيَّةٍ ، فزيَّنَ لكم غيرَ الحَسَنِ ، وأوطأكُمْ الجانبَ الأخْشَن ، ووسمكم في أحياءِ العربِ بإخفار الذِّمَمِ ،

١ زهر الآداب : ١٠٦٤ ـ ١٠٦٥ والكامل ٤ : ١٢٦ وديوان مسلم : ٣٣٦ والثالث في المستطرف ١ : ٢٣٣

٢ الكامل وزهر الآداب : وإن نأت بي

٣ البيت في الشعر والشعراء : ٥١٧ وتمام المتون ، ٣٣٩ ـ ٣٤٠ وقد أورده ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة : ١١٦

٤ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٥ وقد ذكر ابن بسام أبياتاً من هذه القصيدة ١ : ٢٣٦٥ ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٩

٥ الديوان : ما ساعفتني ... بينهم إلا بكيت

٦ لم يتوجه لي على وجه الدقة من هو الوزير الناصري ، ومما يزيد الأمر تعقيداً أنه يذكر « اللواء الحمداني » في هذه الرسالة ، ولعله ناصر الدولة الحمداني الذي استولى على اكثر أمور مصر أيام المستنصر ، وقتل سنة ٤٦٥ .

وكُفْرانِ النّعم . وأقولُ ما يجبُ أن يفهم : ألمْ تصِلوا إلى هذه البلادِ فتعرفوا[1] بها العيشَ الوحشي ، وتحلُّوا فيها محلَّ الغريبِ الأجنبيِّ ، وتعيشوا عيشَ الغرثان الخميصِ ، وتخَطَّفَكُمُ العربُ تخطُّفَ الأجدلِ للقنيص ، فجمعتِ الحضرةُ شتيتكم ، ووصلتْ مبتوتكم ، فليتَ شِعْري ما الذي سوَّلَتْهُ لكم أوهامُكُمْ ، وحدَّثتكم به أحلامُكُمْ ؟! وايمُ الله لئنِ انقلبتم على الجَنَابِ الناصريِّ ، وانحرفتم عن اللواءِ الحمداني ، لتصبِحُنَّ أكلةً للعربِ ، يَحُطُّونَ أعلامكم ، وَيُزَلْزِلونَ أقدامَكُمْ ، ويحمونكم ورودَ الماءِ المباح ، ويمنعونكم حَلاوةَ النِّعمِ المُرَاحِ ، فراجِعُوا حلومكم العازبةَ ، وتجافوا عن ذنوبكم اللازبة ، وارْجِعُوا[2] إلى من امتدَّ عليكم ظلُّهُ والزمنُ هجير ، وصفا لكم وِرْدُهُ والعيشُ كدير ، فلو قد فارقتم جَنَابَهُ الفسيحَ لتفرقتم في الأرض شِيَعاً ، ونبتْ بكم مقرّاً وَمضجعاً ، وعثرتم عثرةً لا يقالُ لها [لَعَا] . وقد قلتُ ونصحتُ ، وبيَّنْتُ وأَوْضَحْتُ ، وسلكتُ مسلكَ الحَدِبِ الشفيق ، وبقي أن يمنحَ اللهُ حُسْنَ التوفيق .

ومن أخرى :

ما اعْتَمَدَهُ سيِّدُنا بالأمسِ معَ عَبْدِهِ من الإكرام خارقٌ للقضيَّةِ العادلة[3] ، ومحسوبٌ في الأوْضَاعِ الحائلة ، وذلك أنْ كان مما [لا] يرفعُ الصيتَ وَيُبْعِدُهُ ، وَيُعْلي الجَدَّ وَيُسْعِدُهُ ، وَيُشْجي الحاسدَ وَيُغِصُّهُ ، وَيهيضُ جناحَ العدوِّ/[١٨٧] وَيَقُصُّهُ ، فان الرضى به[يعد] افصاحاً بالفهم القليل[4] ، ونكوباً عن محجّةِ التحصيل ، وما إخالُ سيِّدنا يَرْضَى لعبدِهِ بالدُّخولِ في هذا الحيِّز ، والخروجِ عن سِمَةِ المحقّقِ المميّز ، وليس يحبُّ ـ وإن اشتهر بالعلم شَغَفُهُ ، وزاد [على] ذوي الآداب حُنُوُّهُ وتعطُّفُهُ ـ أن يشيمَ لهم حَدَّه ، ويهضم علاه وجهدهْ[5] ، فان استهام بحب المآثر

---

١ ص : فتعدموا

٢ ص : وتصاموا عن ذنوبكم الكاذبة وراجعوا .

٣ ص : العادية .

٤ ص افصاحا بالعيم العليل .

٥ ص : وجحده .

والمساعي ، وقويتْ منه في إكرام أوليائِهِ الدواعي ، وأنشدَ عند قراءة هذا الفصل :

* لقد حِكْتَ الملامَ لغير داعِ[1] *

ثم تجاوزتْ هِمَّتُهُ النهجَ البعيدَ ، وفرع ذؤابةَ الطَّوْدِ المشيد ، واستحسن قولَ الوليد[2] :

يُنْزِلُ أهلَ الآدابِ منزلةَ الـ أكفاءِ إن ناهَزُوه[3] في أدَبِهْ
لم يُزْهِهِ عنهمُ وهمْ سُوَقٌ في العينِ وطءُ الملوكِ في عَقِبِهْ

فعبدُهُ يسألُ أن يختصرَ عليه في الاكرام ، ويقفَ به دون ذلك المقام ، فاللمحةُ في البدرِ تضيءُ السبيلَ ، والقطرةُ من الماءِ تبرّدُ الغليل .

ومن أخرى :

معلومٌ أنَّ الزمانَ قد عادانا بِعُجابه[4] ، ونهَشنا بأنيابه ، وأدار علينا من صرُوفِ أحداثِهِ كؤوساً ، وجعل كلَّ غريبٍ لنا أنيسا ، ولما خرج عن حُكْمِ العادةِ ، وسلكَ في مولايَ غيرَ الجادَّة ، وأودعه عوارفَ يضيقُ عنها باعُ الكتاب ، وقذف إليه أقاصي خطوبِ الخطاب ، علمنا أنه قد أصاب رُشْدَه ، وأوجبَ حمده ، وأطلعَ شمسَ النهارِ من مشرقها ، ووضع تاجَ الرياسةِ على مَفْرِقِها .

ومن أخرى :

خلَّد اللهُ أيامَ الحضرةَ الأفضلّيةِ[5] ، ما فَضَلَتِ الأسماءُ حروفاً ، وتقدَّمَتْ واوُ

---

[1] ص : واع .
[2] ديوان البحتري : ٢٤٣
[3] الديوان : شاركوه .
[4] ص : بعجائبه
[5] يعني بالحضرة الأفضلية : الافضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي ، تولى الوزارة حين مرض والده سنة ٤٨٧ زمن الامام المستنصر ، وظل على الوزارة في أيام المستعلي ثم الآمر إلى أن اغتيل سنة ٥١٥ (الإشارة الى من نال الوزارة : ٥٧ ـ ٦٤ وابن خلدون ٤ : ٧٠) فان كان ابن أبي الشخباء قد توفي سنة ٤٨٦ فهذه الرسالة مما أنشأه في الأفضل قبيل توليه الوزارة ، يهنيه بابلاله من مرض .

العطفِ معطوفاً ، ولزمتِ الأفعالُ اشتقاقاً وتصريفاً :

يُلْفَى عليها الحمدُ موقوفاً وفي عَرَصاتها شُمُّ الملوكِ وقوفا
وتعيد سطوتُهَا سماءَ عداتها كِسَفاً وبدرَ سُعُودِهِمْ مكسوفا

ولَجَ سمعَ العبد في هذه الساعةِ نبأٌ جمحَ عن أقماعِه ، وتصامَمَ عن استماعه ، تعاشياً عن صُبْحِهِ المبين ، وتغليباً للشكِّ على اليقين ، وخوفاً على العزِّ الشامخ أن يُصْحِبَ شَموسُه ، والمجد [الباذخ] أن تكوَّرَ شُموسُه ، والمحامدِ أن تُنْثَرَ كواكِبُهَا ، والمناقبِ أن تَتَزَلْزَلَ مناكبها . ولما تلاهُ الخبرُ بما أصمتَ ناعقَهُ ، وكذَّبَ بارقَهُ ، ونطق بأنَّ الجسم الشريفَ قد التفعَ شملةَ الإبلالِ ، وعاد مزاجُهُ الى الاعتدال ، أطال العبدُ في التُّرْبِ تعفيرَ خدِّه ، وبالغ في شُكْرِ الله وَحَمْدِهِ ، فيا لها نعمةً عَدَلَتْ بها أحكامُ الزمانِ الجائرة ، واهتدت ركائبُ الآمالِ الحائرة ، وأصبحَ الملكُ المستنصريّ سائلَ الغرة ، ضاحكَ الأسرّة ، [والحضرة] قد تمكنت في خطابها ، وما نزعت بُرْدَ شبابها ، وامتدَّتْ بعدَ القُلُوصِ أفياؤُهَا ، وأضاءَتْ في ظُلُماتِ الخطوبِ آناؤها :

واللهُ أكرمُ أنْ [يعذّبَ مهجةً] غُذِيتْ بأخلاطِ العلا أعضاؤها
فاذا طمت جسم الخطوبِ [عرامةً] [أربى على] فيض الحياء حباؤها
لو كان يُنْكِرُ ملكَهَا [رُتَبَ] العلا أحدٌ لكان شهودَها أعداؤُها
ثابتْ بك الأيامُ عن جهلاتها وتوقَّرتْ من أهلها سُفَهاؤها
وبعدلِ حُكْمِكَ زالَ عنّا ظلمها وبنورِ مجدك أشرقتْ ظلماؤها
نارُ اعتزامك ما يبوخُ -ذَكاؤها وسماءُ عزِّك ما تغيبُ ذُكاؤها[1]
وعِراصُ فَضْلِكَ لم تضقْ أرجاؤُها وعفاةُ جودِكَ ما يخيبُ رجاؤها

فالحمدُ لله الذي منح الأمّة من نعمةٍ أصبحت النوائبُ بها قد دَرَجَتْ أيامها ،

١ هذا البيت والتالي له وردا في الخريدة : ١٥/أ

وَهُدَّتْ من المخاوفِ أعلامُها[1] ، والبخلُ قد هُدِمَ بنيانُهُ المرصوص ، والكرمُ قد ريشَ جناحُهُ المقصوص . ولم يبقَ له سحاب إلا وهو يُغْدِقُ ويَهْمَع ، ولا مناديً إلاّ وهو يلبّي وَيَسْمع[2] :

يا مـاجـداً نَصرَ الشريعـةَ حيثُ لا ... بيضٌ تُشـام ولا ذوابـلُ تُشْرَعُ
والنَّصـبُ منصوبُ اللـواء وشائعٌ ... في أهلِـهِ بُغْضُ الـذي يتشيّع
عَمَّـت عوارفُـهُ[3] فما من موضعٍ ... إلا ونـائلُـهُ إليـه مُوْضِعُ
سائـلْ به ودمُ الفـوارس سائلٌ ... يُسقـاه ظمآن التـرابِ فينقع
واليومُ قد كتبـتْ[4] سنابـكُ خيلِهِ ... نَقْعـاً جبـينُ الأُفـقِ منـه مُقَنَّع
فهنـاك تلقـى الصـدر لا متضايقٌ ... والـرَّوْعَ لا نخـب الضلـوعِ مروَّع
والشَّـمْسُ تهـوى أنْ تقبّـلَ كفَّه ... فتُـذَادُ بالسُّـمـر اللـدانِ وتمنع
فاقنـعْ بمـا ملكـتْ يداكِ من العُلا ... إن كنـتَ بالشهـب الثواقـب تقنع

فأما حال العبد فعلى الحالة التي يؤمِّلُ من الحضرةِ العلية كشفَ ضبابها ، وانتكاثَ أسبابها ، وكأنه من العبودية يقتضي ألا يُغِبَّه مُزنُ مكارمها ، ولا تتجاوز عنه جفونُ مراحمها ، فيصبح وقد حفَّتْ به الشدائد/ [١٨٨] وضاقـت عنـه المصـادرُ والموارد ،

أتتركنـي يا دهـرُ في البـؤس مفرداً ... ومـالِكُ رِقّـي مُفْـرَدٌ فيكَ واحـدُ
إذا هِمَـمُ الأقـوامِ شابَـتْ وأظلمتْ ... فهمّـاتُـهُ بيضُ الوجـوه خرائدُ
فيا قاضي الـدِّين الـذي قام حَافظاً ... حِمـاهُ وكلٌّ واهـنُ العـزم[5] قاعدُ

---

١ ص : وصدت في ... عيانها .
٢ الأبيات ٣ ـ ٧ من هذه المقطوعة وردت في الخريدة : ١٥/أ ـ ١٥ ب
٣ الخريدة : مواهبه .
٤ الخريدة : نسجت
٥ ص : الحزم .

ومــن سادَ أهــلَ العصر طُرّاً وألقيتْ له في عِراص الفرقــدين وسائد
أنــاديك في نادٍ يحفُّ بيَ الرَّدَى وتنــزلُ فيـه النـازلاتُ الشدائد
تخاطبنــي فيـه الخطــوبُ فصيحةً ويُسـهـرُ عينــي ضيّقُ العــين باردُ
يطارحنــي صوتــاً ، سروريَ ناقصٌ إذا هو غنّانــي وهـمّــيَ زائـد

وللحضرة العالية الأفضلية ، الرأيُ العالي في انتياش العبدِ من هذه الغماء ، وكأنَّ ما تهبُ له من العنايةِ زكاةٌ عما ملأّها الله من رزق الزمان ، ومكَّنَهُ لها من قواعد العزِّ والسلطان ، وتقرباً إليه جلَّ اسمه اذا انشقت [السماء] فكانت وردةً كالدهان .

قوله : فهناك تلقى الصَّدْرَ .. البيت ، كقول المعتمد بن عباد[1] :

وأردتــمُ تضييقَ صَـدْرٍ لم يَضِقْ والسُّــمْـرُ في ثُغـرِ الصـدورِ[2] تَحَطَّمُ

وقال المعتمد أيضاً في صفة [مجلس] ، من شعر قد تقَدَّمَ إنشاده[3] :

هذي المدامُ وهـذا النقـلُ من جَسَدي غنّ لنفسـكَ أشعــاري بألحاني

وله من أخرى :

أطال اللهُ بقاءَ الحضرةِ السامية الصارميّة[4] ، ما عُظِّمَ رجب في الإسلام ، وولجَ الضياءُ في الظلام ، وَوُشِّيَتِ الطروسُ بأسنة الأقلام :

تَرِدُ العُفــاةُ شرائعــاً من جودها نُسِخَــتْ بهــنَّ شرائــعُ الإعدامِ

١ ديوان المعتمد : ٦٧ وقلائد العقيان : ١٦ والذخيرة ٢ : ٥١
٢ القلائد : النحور .
٣ لا أراه تقدَّم في الذخيرة ، كما أنه ليس في ديوان المعتمد .
٤ يريد بالحضرة الصارمية : صارم الدولة بن معروف ، وقد أورد ياقوت (٩ : ١٧٥) رسالة أخرى من ابن أبي الشخباء اليه افتتحها بقوله : أطال الله بقاء الحضرة الصارمية ، يجري القدر على حسب أهويتها ، ويعقد الظفر بعزائم ألويتها .. الخ .

وتــرى قلائــدَ حَمْدِهَــا وثنائها منظــومــةً بتــرائــب الأيــام
وإذا عَصَــتْ نُوَبُ الزمــانِ وخالفتْ وقفــتْ لديكَ مواقــفَ الخدّام

إذ كانت أيامُ الحضرةِ العاليةِ شاهدةً لها بجـودٍ يريشُ أجنحـةَ الـكرامِ المقصوصة[1] ، ويقومُ بفرائضِ المجدِ المنصوصة ، وحلـمٍ تُطْلِـقُ القـدرةُ عنانَـهُ ، ويستعيرُ الجَنَانُ رُجْحَانَهُ ، ووفاءٍ يعلّمُ الدهرَ حفظَ العهود ، وينقلُ طَبْعَهُ إلى الخلقِ المحمود ، ورأيٍ يقطعُ والسيوفُ مُغْمَدَةٌ ، ويسري والعُوذُ العتـاقُ مقيَّدة ، وبشر يُخْجِلُ ضوءَ الشارق ، ويضيءُ في جبينها إضاءَة البارق ، وجودٍ[2] تأمرُ مكارمُهُ الزمانَ لينتصرَ بالصارم ذي الفضائل ، لا الصارم ذي الحمائل ، وينتجعَ الأنواءَ المظفرية ، فَيَهتَبِنُها لها بالشهرِ والسنة حفظاً للسنَّة المرتّبة ، لا اعتماداً على القضيّةِ المستوجَبَةِ ، والله تعالى يديمُ أيّامَهَا الزاهرة ، دوامَ نِعَمِها المتظاهرة ، فانّ ذلك يَرْوِيه القريبُ والشاطِنُ[3] ، ويتمثّلُ به المقيمُ والظّاعِنُ :

ومــرَّتْ بكَ الأيامُ وهــي كوافلٌ بنَيْلِ الــذي ترجــوهُ منهــا ضوامنُ
فيا صارمــاً أثنــتْ عليه عُدَاتُهُ وأَصْــدَقُ مَنْ يُثْنــي العــدوُّ المباين
وفــتْ بشروطِ الجــودِ في المحــلِ كفُّهُ ومزنُ السَّحــابِ الجَـوْدِ للأرضِ خائن
يُضيفُ إلى إنعامِــهِ بشرَ وجهه كما جمــع الحكمــين في الحــجِّ قارِنُ
ولــولا الــذي قدمــتُ من حسناته لما وُجِــدِتْ للــدَّهْرِ فينــا محاسن
فلا سرُّه ما بيــن عينيــه ظاهرٌ ولا حقــدُهُ ما بــين جنبيه كامن
صفــتْ لك من صَفْــوِ السُّعــودِ مواردٌ وجــادَتْ عليك المُعْصِرَاتُ الهواتن
تُقَسِّــمُ طولَ الدهــرِ أمنــاً وخيفةً فمالــك مرعوبٌ [وعِرْضكَ آمن]

١ ص : المخصوصة .
٢ ص : ووجد
٣ الشاطن : البعيد النائي

وله من أخرى :

أطال اللهُ بقاءَ الحضرةِ السَّاميةِ معمورةً بوفود السعادةِ ديارُها ، مشـ[ـدودة الى] قَصدِهَا أنساعُ العِيرِ وأكوارُهَا ، مفلولةً عنها أنيابُ النُّوَبِ وأظفارُهَا ، ولا زالَ من مدَّ الظلَّ ولو شاء جعله ساكناً[١] ، يمدُّ عليها الظلَّ ما سرى في الليل سَفْر ، وطلع في السَّماءِ غَفْرٌ[٢] ، وخرج عن أيدي الكرامِ وَفْرٌ ، وأنِسَ بالركبان مهمهٌ قفر :

يَطُوعُ لها العاصي من الخطبِ عِزَّةً ... وَيَدْخُلُ قَسراً تحت أحكامِهَا الدهرُ
ولا زال يُعلي في الخليقةِ أمْرَها ... على كلِّ أمرٍ مَنْ له النهيُ والأمر

وفي فصلٍ منها :

يا صارماً حازَ الثناءَ بأنْعُمٍ ... لا تنقضي أوقاتهنَّ فتنقضي
لما انْتَضَتْهُ يدُ الإمام تحقَّقتْ ... هذي البريّةُ حُسْنَ رأي المنتضي
متواهنٌ عن كل جُرْمٍ طَرْفُهُ ... فاذا رأى أكرومةً لم يُغْمِضِ
علقتْ يداهُ بكلِّ لدنٍ أسمرٍ ... يومَ اللقاءِ وكلِّ عَضْبٍ أبيض
وتراهُ حين تضيقُ أثوابُ العلا ... متايساً في السؤدد المتفضفض/ [١٨٩]
يا عاشقَ العليا وَمُبْغِضَ مالِهِ ... نفسي فداؤُكَ من محبٍّ مبغض
لا تسألنّي عن زماني هل بَدَتْ ... ليَ منه صفحةُ مُقْبلٍ أو مُعْرِضِ
أنت الزمانُ فإنْ وَجَدْتُكَ ساخطاً ... يسخطُ عليَّ وإنْ رضيتَ فقد رضي
كم قَوَّضَتْ يمناكَ عنّا شدةً ... لولاك بعدَ الله لم تتقوض
ونهضتَ من ثقلِ المعالي بالذي ... لو سيم يَذْبُلُ بَعْضَهُ لم ينهض
[وبقيت تُسْهِرُ][٣] كلَّ طرفٍ للعدا ... وتحلُّ هَضْبَ سعادةٍ [لم تُخْفَضِ]

---

١ من قوله تعالى « ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظلَّ ولو شاء جعله ساكناً » (الفرقان : ٤٥)

٢ الغفر : منزل من منازل القمر ، ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان .

٣ بياض في ص .

[وتقطف][1] من إنعام الحضرتين ثماراً ، وتعيدُ جَدْبَ[2] الزمانِ ربيعاً ، وَتُفيضُ على بني الآمالِ ربيعاً ، فقد وَفَتْ لها حين خانتِ اليدُ بنانَها ، وسئمتِ الضلوعُ جَنَانَها ، وصدحتْ بالكلمةِ العَلَوِيَّةِ على المنبر ، وسهامُ العدا تقع خلفاً وأماماً[3] ، ورهجُ خيولهم يَسْحَبُ على الموت غماماً ، وكم لها من مقامٍ نتقَ قلوبَ العداةِ نتقاً ، وجمع قُطْري الرسالة فتقاً ورتقاً ، فلا قلَّص الله ظلَّها عن هذا الثغر الذي يكادُ ترابُهُ بكرمها يورق ، ونبتُهُ[4] بحسنها يُشرِق .

ومن أخرى له :

شهرُ الصيامِ [ذو] فضلٍ مشهور ، ورتبتُهُ عَلَتْ[5] جميعَ الأيامِ والشهور ، فما تُنْتَهَكُ للشرع فيه حُرُماتٌ ، ولا تُسْمَعُ للأوتارِ نَغَماتٌ ، ولا تنطقُ باللغو أفواه ، ولا ترشفُ رُضابَ الكؤوس شفاه ، وإذا اعْتُبرتْ أوقاتُ الحضرةِ المنصورة ، وُجِدَ أكثرها على هذه الصفةِ المذكورة ، إلاّ أنّ الشهر اختصَّه الله بشرفِ القضية ، وفرض صيامَهُ على جميع البريّة ، فلا زال على الحضرة العالية عائداً ، ولها للأعمال الصالحةِ شاهداً : تطلعُ في لياليه الحسناتُ شموساً ، وتجمعُ بين الشفقِ والفَلَقِ تسبيحاً وتقديساً ، خاطرةً[6] في جلابيب عزٍّ يعتلقُ الدهر بأسبابه ، وكرمٍ يَغْرَقُ البحرُ في عبابه ، ومجدٍ تعشو النيراتُ إلى أنواره ، وتعتصمُ الملوكُ الخائفةُ بجواره ، وتترّبُ بمكارمها الأيدي التربة ، وتثبتُ بسعدها بروجُهُم المتقلّبة ، ويجدون ترابها في أفواههم عسلاً ، وفي أجفانهم كَحَلاً ، ويرون وظائفَ النُّوبِ عنهم تُرْفع ، وأنفَ الحوادثِ تُجْدَع :

١ يبدو أنه وقع في هذه الصفحة تقطيع تداخلت فيه نهايتا سطرين ، مما أحدث خللاً واضطراباً في النصّ
٢ ص : تعيد أحدب .
٣ ص : وأما .
٤ ص : ونبتها .
٥ ص : على .
٦ ص : ناظرة .

قد ودَّ هذا الشهرُ أنّ هلالَهُ   أضحى على غُرَرِ الشهور [يُرَفَّعُ]
أَلْبسْتَه تقوى وأَلْبسَ حُلَّةً   من سرمدٍ وكلاهما لا ينزع
وبرزتَ في جيشٍ تَغَصُّ به الفلا   وترى ذُكاءَ بنقعه تتقنَّعُ
لجبٍ شكتْ كفُّ البسيطةِ ثِقْلَهُ   حتى لكادتْ تحته تتصدَّع
لا بدّ تُعْرَفُ بالعراقِ[1] جيادُهُ   ونسيمُ ذكركَ فوقها يتضوع
وعلى مَطَاها دارعون سيوفُهُمْ   تدعُ السَّرابَ كأنما هو أَيْدَع[2]
وتقيم شرعَ بني النبيِّ بأرْضِهِ   والبيضُ تُرْعَفُ والذوابلُ تُشْرَع
لم ترْضَ معروفَ العوارفِ نفسُهُ   فتراه يُغْرِبُ في السَّماح وَيُبدع
واذا تمنَّى المالُ يُودَعُ كفَّهُ   خابتْ أمانيه وباتَ يُوَزّع[3]
تركتْ سيوفُكَ كلَّ خالعِ طاعةٍ   وفؤادُهُ من خوفِ بأسك يُخْلَعُ

ومن أخرى :

لقد أسعد الرحمنُ مَنْ بات ثانياً   إليكَ عنانَيْ رغبةٍ وثناءِ
اذا ما الحيا جاراكَ في حَلْبَةِ الندى   رمى فوق فَوْدَيْهِ قناعُ حياء
وما يتساوى قطُّ بحرٌ وجدولٌ   ولا كلُّ أعضاءِ الفتى بسواء
وأنت سماءُ الملك وابنك شمسُهُ   وهل نُظِرَتْ شمسٌ بغير سماء
إذا لم تحطْ نظماً ونثراً بمدحِهِ   فما حيلةُ الكتاب والشعراء
فككتَ إساري مُنْعِماً وتركتني   لآلائك الحسنى من الأُسرَاء

والذي جعلَ الأرضَ بساطاً يبسطُ قدرها في الآفاق ، ويجعلُ أيامها ينابيعَ الارزاق ، حتى لا ينطق بسوى شكرِها لسان ، ولا يُرَى لغيرها على أحدٍ إحسان .

[1] ص : بالفراق .
[2] الأيدع : صبغ أحمر .
[3] ص : يودّع .

وفي فصل من أخرى :

وحضر فلان ، وعليه من نعمته آثار قد حلّتْ عَطَلَه ، وسَدّتْ خَلَلَهُ ، وظهر في زيٍّ يكبتُ كلَّ عذولٍ وشامت ، وينطقُ بالمنّةِ عنه وهو صامت ، وقد سيّر من ذلك ما سيّـر غوراً ونجداً ، ونظم في ترائبِ الأيامِ منها عِقْداً . ولا زالتْ مننه لذوي الآداب قاطِرَة ، وعِراصُهُ بلطائمِ الثناء عاطِرَة ، يتغايَرُ النثرُ والنظمُ على مدائحهِ ، وتفيض على العافين غروبُ مواهبِهِ ومنائحه . ولما اعتزم العودةَ إلى ذلك الظـلِّ المديد ، والعيش الرغيد ، زوَّدْتُهُ هذه الرقعةَ مستدعياً له الزيادةَ من كرم العادة ، والحظوظ السَّنِيةَ المستفادَة .

ومن أخرى :

أُنبئتُ ـ أطال الله بقاءَ مولاي ـ بشيءٍ أنا فيه مكذّبٌ ومصدّقٌ ، ومدافِعٌ ومحقّق ، واحتجت بحكم ذلك الى مطالعته ، وعلم كنه حالته[1] ،

فالخِـلُّ كالماء يُبـدي لي ضمائرَهُ   مع الصـفـاءِ وَيُخْفيهـا مع الكَـدَرِ

عرفتُ أن هذا الراقصَ البغدادي قد رفض مودته خَلْفا ،وسلك به من الخلافةِ[2] عسفا ، فوصله وهجر ديوانَهُ ، وأرضاهُ وأسخطَ خِلاَّنه ، واستبذل فيه مصوناً من قدره ، واستذلَّ عزيزاً من تأتّيه وَبِرِّه ، وصار يهبُ النفس بلمسةٍ [من] إهابه ، وجميعَ سَقْـي النيل برشفةٍ من رضابه ، وينشدُ إذا تراكضت خيولُ اللهوِ واللعب ، وغلظ عليه قولُ اللاحي المؤنب :

غـزالٌ تمتعـتُ فـي قُرْبِـهِ   ونـازعنـي الـكـاسَ حتـى غَلَبْ
إذا مـا تَنَفَّـسَ فـي نَوْمه   تَنَفَّـسَ عن مثـلِ ما قد شرب

---

١ كنه حالته : قراءة تقديرية ، اذ هذا الجانب من الصفحة قد طمس .

٢ الخلافة هنا بمعنى الخلاف .

فيا ليلُ ليتكَ لا تنقضي ويا صبحُ ليتك لا تقترب

فوجدتُ والله من إشاعةِ هذه الحال ما يجدُهُ الخائفُ غاب واقيه ، والسليمُ عَدِمَ طبيبه وراقيه ، خوفاً على جاه مولاي أن يميل ، وَيَشْنُعَ فيه القالُ والقيل ، فيصلَ إليَّ من المصاب بذلك ما يُعْشي الناظر ، ويخذلُ الناصر ، لاسيّما والنسبُ حظُّهُ من الشرف الخطير ، وقسطُهُ من الإعظام والتوقير ، والصغيرُ يُعَدّ به كثيراً ، والحصاةُ تُحْسَبُ معه ثبيراً ، ولو كان مولاي مدَّ على هذه السقطة سَجْفاً ، وشرب ذلك العُقارَ مَزْجاً لا صِرْفاً ، لجاز أن تخفى القِصَّة ، وتَنْساغَ قليلاً هٰذه الغُصَّةِ ، فالعقلُ نعمَ الرقيب ، والليلُ نهارُ الأديب[1] . ويجبُ أن يتحقّقَ مولايَ أني ما أطلقتُ هذه اللفظة إلا وقد حَصرَ الكتمان ، والتقتْ حلقتا البطان ، وسَمِعْتُ ما يُصِمُّ الآذان .

وله من أخرى[2] :

ما زال يختارُ الزمانُ ملوكَهُ حتى أصابَ المصطفَى المُتَخَيَّرا
قل للأُلى ساسوا الورى وتقدّموا قُدُماً هلموا شاهدوا[3] المتأخرا
تجدوه أوسعَ في السياسةِ منكمُ صدراً وأحمدَ في العواقب مَصْدَرَا
إن كان رأياً شاوروه أحنفاً أو كان بأساً[4] نازلوه عنترا
قد صام والحسناتُ ملء كتابِهِ وعلى مثالِ صيامِهِ قد أفطرا
ولقد تخوَّفَكَ العدوُّ بجهده لو كان يقدرُ أن يردَّ مقدَّرا

---

١ قوله « الليل نهار الأديب » فيه إشارة إلى قصة ليحيى البرمكي حين بلغه أن ابنه الفضل قد تشاغل باللذات عن النظر في امور الرعية ـ وكان والياً بخراسان ـ فكتب إليه يلومه ، وضمن رسالته أبياتاً يقول فيها :

فكابد الليل بما تشتهي فانما الليل نهار الأديب

انظر ابن خلكان ٤ : ٢٨

٢ منها ثلاثة عشر بيتاً في الخريدة : ١٦ ب وأحد عشر في ابن خلكان ٢ : ٩٠ وقال ابن خلكان : وقد اقتصرت منها على هذا القدر خوفاً من التطويل .

٣ الخريدة : هلم فشاهدوا .

٤ الخريدة والوفيات : رأي ... بأس .

إنْ أنـت لم تبعـثْ إليه ضُمَّراً جُرْداً بعثـتَ إليه كيداً مُضْمرا
تسري ومـا حملت رجـالُ أبيضاً فيه ولا ادرعـت[1] كمـاةٌ أسمرا
خطـروا إليـك فخاطـروا بنفوسهم وأمَـرْتَ سيفـك فيهـمُ أنْ يخطرا
عجبـوا لحلمـك أن[2] تحـوَّل سطوةً وزلالِ خُلْقِـكَ كيف عادَ مكدّرا
لا تعجبـوا من رقـةٍ وقساوةٍ فالنـارُ تقـدحُ من قضيبٍ أخضرا
فلـذاك عدَّكَ حـين يعـرضُ عارضٌ وُسْطَـى البنـانِ وعـدَّ غـيرك خنصرا
لـو رام قُسْطَنْـطينـةً لا جلّقـاً[3] بك لم يَدعْ في أرضـهـا متنصّرا
ولقـد قضـتْ آيُ الكتـابِ لكلِّ مَنْ نصر الشريعـةَ أن يعـانَ وينصرا

فلا برحتِ الحضرة ـ حرس الله أيامها ـ تفترُّ[4] عن مباسمها الحسان ، وتفتخرُ بمناقبها قبائلُ غسَّان ، فلو شاهد أهلُ جفنةَ[5] جِفانَهَا ، وأهلُ جَبَلَةَ بـنِ الأيهـم ضِرابَهَا وَطِعَانَهَا ، لعلموا[6] أنَّ الله أتاحَ السماحةَ والبسالة ملكاً منهم يحفظُ ما ضيَّعَهُ الناسُ من عهودها ، ويسرِّحُ ما ذَخَرُوهُ من نقودها ، فما يزيدُ المدحُ مناقبَهُ ضياءً ، ولا مراتِبَـهُ اعتـلاءً ، وإنمـا هو في ذلك كالمسـكِ يطيبُ بنفسـه[7] طبعـاً ، ويزيد المحارض[8] تضوعاً ونشراً ، وإن أطال العبدُ في نشر فضائلها مِقْوَدَه ، واستخدمَ في ذلك لسانَهُ وَيَدَهُ ، فانما هو كَمَنْ يوقدُ في الشمسِ ذُبَالاً ، وَيُهْدي الى الفراتِ نطافاً أَوْشـالاً ، والذي مدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ، يجعلُ أمدادَ[9] النعيم على

١ ص : ادعرت ؛ والتصويب عن ابن خلكان ، وفي الخريدة : اعتقلت ؛ وهو أدق .
٢ الخريدة : عجباً لحلمك إذ .
٣ ص : لا حلعاً . ولم يرد هذا البيت في الخريدة
٤ ص : تعبر
٥ جفنة : الغسانيون .
٦ ص : لعلم
٧ ص : لنفسه .
٨ كذا في ص ، ولعله : ويزيد في المجامر.
٩ ص : امتداد .

الحضرةِ مُغْدِقَةٌ ، ووفودَ المواهبِ بساحاتها مُحْدِقَة ، ويمتّعُ الدنيا بمحاسنها التي يتطامَنُ لها ذوو الأبصار ، وتتأرّجُ تأرُّجَ القَطْرِ في جميعِ الأقطار.

وله من أخرى :

فولجتُ منزلاً قد استعار من قلبِ العاشق حَرّاً وَرَهَجاً، ومن أخلاقِ مالكِهِ ضيقاً وحَرَجاً[1] ، كأنما زَفَرَتْ فيه النار ، ونُقِّطَ على جُدْرَانِهِ[2] بالقار ، فجلستُ طويلاً إلى أن حضر الإخوان ، وقُدِّم الخوان ، فرأيتُ أرغفةً قد أُحْكِمَتْ في الصِّغر والإلطاف ، ولم تتعوَّدْ قطُّ من الأضياف ، قد مرَّت عليها أيام ، وعُنِيْت بقولِ ابن بسَّام[3] :

أتـانـا بخبـزٍ له يابـسٍ كمثـلِ الدراهـم فـي خِلْقَتِهْ
إذا ما تنفَّسْـتُ عنـدَ الخوانِ تطـايرَ في البيْتِ من خفَّـتِـهْ

وثلاثةِ صحافٍ ، واسعةِ الأكناف ، بعيدة الأوساط من الأطراف ، قد جُعِلَ في قرارةِ كلٍّ منها ما [لا يَدْفَعُ السَّغَبَ ،ولا تجدُهُ/[١٩١] اليدُ إلاّ بالتَّعَبِ ، فجُلْنا جَوْلَةً وعينُهُ تطرف علينا شمالاً ويميناً ، وتتفقَّدُ منا حركةً وسكوناً ، وقمنا ولم نقاربْ الكفافَ ، وقد ظَنَّ بنا الإسرافَ ، فحضرنا مجلسَ المعاقرة فأُديرتْ علينا قهوةٌ قد خُصَّتْ باللون الكدر ، وكُثِّرتْ بالماءِ الخَضِرِ[4] ،

كالمُهْـلِ تَغْلي في البطـونِ لو أنها يَوْمـاً تُعَـدّ لكافـرٍ لم تَحْرُمِ

فَحَسَوْنَا أوّلاً وثانياً ، وَكَرَعْنَا منها حمِيماً آنياً ، وقلنا لعلَّ ما يحضر من الملهيات يُصْلِحُ فاسِدَهَا ، ويُنفِّقُ كاسِدَهَا ، ولم يكنْ بأسرعَ من أنْ افتتحتْ قَيْنَةٌ يَحْرُمُ لها السماعُ ، وتستلذُّ الصممَ الأسماعُ :

---

١ ص :. وحربا .

٢ ص : ولقط على جدراته .

٣ هو عليّ بن بسام البغدادي (ـ ٣٠٢ أو٣٠٣) وقد مرَّ ذكره في عدة مواطن من الذخيرة ، انظر مصادر ترجمته في

٤ القسم الأول : ١٤٢ (الحاشية : ٣)

٥ الخضر : يريد ماء فيه طحلب ، للمبالغة ، والا فقد تقرأ « الخصر » .

تُكْدِرُ صَفْـوَ الـراحِ في شَذْوِهَا وتنفـرُ الأنقـارُ[1] من ضَرْبِهَا
لم تكـنِ العلجـةُ مطبـوعةً بل كان مطبـوعـاً على قلبها

فسمعنـا ولأمـرِ الله سَلّمنـا ؛ فحـين جرَّ الظـلامُ علينـا الذَّيْلَ[2] ، وغشّى النهارَ الليلُ ، زُفَّتْ إلينا خريدةٌ رأسُهَا مقطوع ، ووسطها مشغوبٌ مرقوع[3] ، قد حَفِظَتْ عن عادٍ عَهْدَهُ ، واستعارتْ من يأجوجَ قَدَّهُ ، تبص كعيونِ الجنادب ، وتضيء في الظلماء كنارِ الحباحِبِ ، فقوَّضنا خياماً ، وسكرنا همّاً لا مُداماً ؛ فالحمدُ لله الذي صدَّ مولاي عن هذا المقام وَمَنَعَهُ ، وحَمَى عمَّا حضرناهُ مُسْتَمَعَهُ .

وله من أُخرى إلى نفيسِ الدولة يستدعيه :

أنا ـ أدام الله تمكُّن مولاي ـ كالماء تتفرّقُ أجزاؤُهُ فيلتئم، وكَعِرْقِ الفصادِ تُمَزِّقُهُ المباضعُ[4] فيلتحم ؛ وذلك أنه ـ أدامَ الله عزَّهُ ـ ارتدَّ عن شريعة الوداد ، ودانَ في دينِ المحافظة بالإلحاد ، واستعمل [من] الجَفْوةِ ما ينفّـرُ الطَّـرفَ عَن هُجُوعِـهِ ، وَيُوحِشُ الصدرَ من صُحْبَةِ ضلوعه ، فقسوتُ عليه أيّاماً ، وأوسعتُـهُ[5] في النفسِ ملاماً ، ووجدتُ طعمَ السلوة طيّباً ، والصبرَ من الصَّبِرِ عنه ضَرَباً ، وتشخَّصَتْ لِيَ أخلاقُهُ مُرَّةَ المقاطف ، خَرِبَةَ المكاسرِ والمعاطف :

وإذا أفـاق الجحـدُ وانـدمـلَ الهـوى رأتِ القلـوبُ ولـم تَرَ الأحداقُ

فما هو [إلا] أن اجتمعتُ به اليومَ في المجلسِ المعمور حتى هبَّتْ عليَّ رياحُ صفاتِهِ فطبَّتْ تلك الكلومَ ، وجدَّدَتْ تلك الرُّسُومَ ، وأَرَتْني المُخْفَر من عهوده مخفوراً،

١ ص : الأنفار .
٢ ص : جرى ... الليل .
٣ ص : مشغوف مرفوع .
٤ ص : المضابع .
٥ ص : وأزمعته .

والمُحْصَى من ذنوبِهِ منسيَّاً مغفوراً ، فاستحال السلوُّ شَوْقاً مبرِّحاً ، والناضرُ[1] من المَعْتَبة هشيماً مُصَوِّحاً :

وما زال داعـي الشـوقِ حتـى أجَبْتُهُ   بمطـروفـةٍ تَدْمَـى لواهـي الأناملِ

وَصَدَرَتْ هذه الرُّقْعَةُ وأنا أَوَدُّ كَلَفاً ، لو كنتُ فيها أَلِفَا ، تفاؤلاً بعودةِ رياحِ الأُلْفَةِ ، وتسكيناً للقلب من نَزَواتِ الرَّجْفَةِ :

من الـوفـاءِ وفـاءٌ لا يُغَيِّـرُهُ   مَرُّ الزمـانِ بإعـراضٍ وإقبالِ

وعندي الآن ذاك الصديقُ الذي يخطفُ العقـولَ ويُذْهِبهـا ، ويُغـيرُ على الألباب وينتهبها ، ويحطِّمُ الرماحَ كِرانُهُ ، ويؤمَنُ في مضمارِ المسرَّةِ خوانُهُ ، وليس والله تُتَصَوَّرُ لي الأقداحُ ، وَتُلْثَمُ مراشفُ الراح ، إلاّ ومولايَ يحاسيني كؤوسَها ، ويجهِّز إليَّ خميسها ؛ وأسألُهُ أن تكونَ قراءَةُ هذه الرقعةِ وقد ركبَ سَمْتَ الطريقِ ، وقابل الأَمْرَ بالتحقيق .

وله من أخرى ، وقد قُبِضَ على الوزير وقتَ الظهر ، وأُفْرِجَ عنه في العشاء الآخرة :

من كَرَمِ اللهِ وجزيلِ إسعافِهِ ، وجميلِ صُنْعِهِ وألطافِهِ أنْ جُعِلَ سيدنا كالنُّجوم تغيبُ ثم يرتفعُ في غدٍ سَمْتُها ، أو كملكةِ الشطرنج يقال : قد فاضَتْ ثم تعيشُ لوقتها ؛ وقُضِي لحضرته بأنْ تزلَّ الخطوبُ عنها زليلَ التراب عن مَتْنِ الصَّفا ، وتتحاماها النوائبُ [في هبوطها] وطلوعها ، منذ خَطَرتِ الشمسُ في الحللِ الجلّنارية، إلى أنْ صارت في [الثياب] السُّوسيَّةِ . ونزل سيّدنا إلى دارِهِ بالسَّعدِ المُصْحِب ، وفي

---

[1] ص : والناظر .

الموكبِ المتلاغط اللجب ، وترك الوزارةَ تدعو[1] مَنْ زانَها وجمَّلها ، لمن رفع هَلْهَلَهَا وَسَمَلَها[2] ، وإن أكتأبَتْ لِبُعْدِهِ ، وَعَبَقَتْ أعطافُها بلطائفِ مجده :

يضــوعُ ثَرَاهــا بالنَّــدى فتخالُها ... رياضــاً وكانــت قبــلُ وَهْــي صوائحُ
صفــا جوُّهــا بعــد الــكدورِ بِعَدْلِهِ ... وطابـت حشاياهــا الـظماءُ القوامح[3]

فالحمدُ لله على مـا منَّ من سُرْعةِ الإقالة ،وانقضاب تلك الحبالة، وتفضَّلَ به من حُسْنِ الرعاية والكفالة ، ولا زالت مواهِبُهُ ـ جلَّت آلاؤُهُ ـ تقعُ عند سيدنا من وراءِ الاقتراح ، وتسخّرُ له أعطافَ الغدوِّ والرواح .

وفي فصل من أخرى[4] :

وصلتْ رقعةُ مولايَ والصبحُ قد سلَّ على الآفاق مِقْضَبهُ ، وأزالَ بأنوارِ الغزالة غَيْهَبَهُ ، فكانت بشهادة [الله][5]/[١٩٢] صُبْحَ الآدابِ ونهارَهَا ، وثمارَ البلاغةِ وأزهارها ، قد توشَّحَتْ بضروبٍ من الفضل تعطيه[6] قاصية المدى ، وَتُجْرِيهِ[7] في مِضْمارِ الأدب مُفْرَداً :

فكأنَّ روضَ الحَـزْنِ تنشره الصَّبا ... ما ظلــتُ من قِرْطَاسِهَــا أتصفَّحُ

فأمّا ما تَضَمَّنَتْهُ من وصفي فقد صارت حضرته [السامية][8] تتسمَّحُ في الشهادةِ بذلك مع مناقشتها في هذه الطريقة ، وأنها لا تُوقِعُ ألفاظَها إلاّ في مواضع الحقيقة ،

---

١ كذا في ص ، ولعله « تدع »
٢ ص : وشملها .
٣ الظماء القوامح : قراءة تقديرية ، فالخط باهت كثيراً تصعب قراءته .
٤ أورد ياقوت (٩ : ١٥٧) هذه الرسالة وقال ان ابن ابي الشخباء كتب بها إلى أبي الفرج الموفقي جواباً عن رقعة.
٥ الكلمة مطموسة في الأصل ، واعتمدت في اثباتها على معجم ياقوت .
٦ ياقوت : تقصر .
٧ ياقوت : ويجري به .
٨ زيادة من ياقوت .

فإن كنتُ قد بَهْرَجْتُ عليها فلتراجعْ[1] فـيَّ نقدها[2] ، تجدني لا أستحـقُّ من ذلك الإسهاب فَصْلاً ، ولا أُعَدُّ لكلمةٍ واحدةٍ منكم أهلاً ؛ والله يُنْهِضُني لشـكرِ هذا الإنعامِ الذي يقفُ عليه[3] الثناء ويظلَعُ ، ويَحْصرُ دونه البليغُ[4] المِصْقَعُ :

هيهـات: تُعْيي الشـمسُ كلَّ مرامقٍ ويعـوقُ دون منـالِـهِ العيُّـوقُ

وفي فصل[5] :

وأما الفصلُ الذي ذكر أنه ألفـاه في رسائل الكتاب وهو[6] : « وأمّا فلان فيحلُّ في قومِهِ محلَّ العميد ، ويفرحُ بالضيوفِ فَرَحَ حنيفةَ بابن الوليد ، قدوُرُهُ عَمّارية ، وَعَطَساتُ جواريه أسديّة ، تراهُنَّ أبداً يمشين في حُلَلِ الشباب ، ويهوين لو خُلِقَ الرجالُ خَلْقَ الضِّباب ، يتضوَّعْنَ عن النشر العبقَسِّي ، ويرتضعن مراضعَ ثُعالـةَ المجاشعي » . [وما أمَرَتْ حضرتُهُ السامِيةُ من ذكرِ ما فيه عندي ، فقد تأمّلتُـهُ طويلاً ، وعثر الخادم فيه بما أنا ذاكره ، راغباً في الرضى بما بلغت اليه المقدرة وتجليلِ ذلك بسجوفِ الصَّفح][7] .

قوله : « فَرَحَ حنيفة بابن الوليد » أشـار الى ما قتـل خالد بـن الـوليد المخزومي من بني حنيفة ؛ وقوله : « قدوره عمّارية » أشار الى قول الفرزدق[8] :

---

١ ص وأصل ياقوت : فتراجع

٢ ص : بعدها .

٣ ياقوت : عنده

٤ ياقوت ، الخطيب .

٥ انظر ياقوت ٩ : ١٥٨ ـ ١٦٣

٦ ياقوت : الذي أودعه الرقعة الكريمة .

٧ هذه الزيادة من ياقوت ضرورية للربط ، وتوثيق نسبة الشرح إلى ابن أبي الشخباءلا الى ابن بسام ، وفي ايراد هذه الشروح يعتمد ابن بسام الايجاز .

٨ ديوان الفرزدق ١ : ٣٢٦

لو أن قِدْراً بكتْ من[طولِ ما] حُبِسَتْ على الحفـوف[1] بَكَتْ قدرُ ابـنِ عمّار[2]
ما مسَّها دَسَمٌ مذ فُضَّ مَعْدِنها ولا رأتْ بعـد نار القَـينِ من نار

وقوله : « عَطَساتُ جواريه أسدية » فأراد قولَ الأوّلِ في هجاء بني أسد :

إذا أسَـديةٌ عطسـتْ فنكها فان عُطاسَـهـا طَرَفُ الوداق[3]

وقوله : « يهوين لو خُلِقَ الرجالُ خَلْقَ الضباب » فذكر الجاحظُ أنَّ للضب أيرينِ وللضبّةِ حِرَيْن[4] ، وأنشد قول النميري[5] :

تفرقتـمُ لا زلتـمُ قِرْنَ واحدٍ تفـرُّقَ أيرِ الضـبِّ والأَصْـلُ واحدُ

وأنشد قول القائلة[6] :

وددتُ بـأنَّـه ضـبٌّ وأنـي ضُبَيْبَـةُ كُدْيَةٍ وَجَدَتْ خلاءً

وأمّا قوله : « يتضوَّعْنَ عن النشرِ العبقسّي » فانَّ من أمثال العـرب : هو أخسرُ صفقةً من شيخِ مهوٍ[7] ، ومهوٌ بطنٌ من عبدِ القيس ، وكان من خبره أنَّ إياداً كانت أفْسَى العرب ، فوفد وافدُهُمْ إلى الموسم بسوقِ عكاظ ، ومعه حُلّةٌ نفيسـة

---

١ على الحفوف : قلة من الدسم ؛ وفي ياقوت : عن الحقوق (مع أن أصله : على)

٢ الديوان : ابن جيار ، وبهذه الرواية يضطرب الاستدلال اذ يجب ان يقول « قدوره جيارية »

٣ البيت في الاغاني ١٢ : ١٨١ منسوب لكثير عزة (ديوانه : ٣٨٩) وروايته : اذا ضمرية عطست .

٤ انظر الحيوان ٦ : ٧٢ وانظر أيضاً ٤ : ١٦٣ ـ ١٦٤

٥ ص : قول البحتري ؛ وأورده الجاحظ (الحيوان ٦ : ٧٢) دون نسبة ؛ وإنما رواية الخبر كله عن أبي خالد النميري لا البيت وحده ؛ وقال الجاحظ ان البيت مما أنشده الكسائي . وفي ياقوت (٩ : ١٦١) وأنشد الأصمعي لابن درماء فيما رواه أبو خالد النميري .

٦ هي عند الجاحظ وياقوت حبّى المدينة .

٧ المثل في الدرة الفاخرة : ١٤٠ (أحمق من ..) والعسكري ١ : ٣٨٨ والزمخشري ١ : ٨٢ وثمار القلوب : ١٠٦ واللسان(فسا) ؛ واسم الشيخ عبد الله بن بيدرة ، وفي نقل ابن بسام إيجاز مخلّ ؛ فان الايادي نادى ألا إني رجل من اياد فمن ذا الذي يشتري عار الفسو مني ببردي هذين فقام الشيخ العبديّ فقال: هاتهما ، فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ، وحينئذ أشهد عليه الايادي من شهد الموسم بعكاظ .

فقال : يا معشرَ العرب إني قد بعثُ فساءَ إيادٍ لوافدِ عبد القيس بحلتي هذه ؛ وافترقا راضيين ، وقد شهد عليهما أهلُ الموسم ، فصارت عبدُ القيس أفسى العرب .

وقيل لابن مناذر[1] : كيف الطريقُ إلى عبد القيسِ ؟ قال : شمَّ ومُرَّ ،

فانَّ عبـدَ القيسِ من لؤمها تفسـو فُسـاءً ريحُـهُ يَعْبَقُ
من كان لا يـدري لهـا منزلاً فقـلْ له يمشي ويستنشق

وأما مراضع ثعالة فيقال : هو أعْطَشُ من ثعالة[2] ، رجلٍ من بني مجاشع ، كان ضلَّ الطريقَ هو وابنُ عمٍّ له ، فعطشا ، فالتقم كلُّ واحدٍ منهما أير صاحبه يشربُ بوله ، فلم يُغنيا عنهما شيئاً وماتا عطشاً ، فوجدا على تلك الحال ؛ ولذلك قال جرير يعيرّ بني دارم[3] :

رضعتُـم ثم بال على لحـاكم ثعـالةُ حـين لم تجـدوا شرابا

وقيل : ثعالة : الثعلب ، في تفسير هذا الخبر عن ابن حبيب ، وخالفه ابن الأعرابي وحكى ما ذكرناه ، وأنشد أيضاً قول جرير[4] :

ما كان يُنْـكَرُ في غَزِيّ[5] مجاشعٍ أكلُ الخـزيرِ ولا ارتضـاعُ الفَيْشَلِ

وله من أخرى يعزِّي بموتِ ولدِ فخرِ الدولة غريقاً[6] :

---

١ هو محمد بن مناذر شاعر بصري مات في أيام المأمون (الأغاني ١٨ : ١٠٣ والشعر والشعراء : ٧٤٧ وطبقات ابن المعتز : ١١٩ ومعجم الادباء ١٩ : ٥٥)

٢ ورد المثل في الدرة الفاخرة : ٣٠٩ والعسكري ٢ : ٧٠ والميداني ٢ : ٤٩ والزمخشري ١ : ٢٤٨

٣ ديوان جرير : ٨١٨ وروايته « ثم سال »

٤ ديوان جرير : ٩٤١ والدرة : ٣٠٩ والنقائض : ٢٢٣ والمعاني الكبير : ٥٨٥ واللسان والتاج (فشل)

٥ الديوان : نديّ ؛ ص : عديّ

٦ وردت هذه الرسالة في جمهرة الإسلام ، الورقة : ٦٨ وأنها في رثاء ولد كافي الكفاة وبين النصين اختلاف ، كما ان الرسالة في الجمهرة اوفى مما هي في الذخيرة .

غيرُ بِدعٍ من الزمان ـ أطال الله بقاء[حضرة][1] سيدنا ـ أن تُنْكَثَ حبالُهُ، وتَصرَّد نبالُهُ، وتراشَ في قصدِ الكرام سهامه [وتُزْهَفَ نصالُهُ] وتفهقَ بالغَدْرِ فجاجُهُ، ويمزجَ[2] بالسُمِّ أُجَاجُهُ، ويُثارَ في النفوس عجاجه[3]. ولذلك عرفتِ النفوسُ مواقعَ نُكْرِهِ، وأنِسَتْ بغرائبِ[4] غَدْرِهِ ومكره، واطمأنَّتْ الضلوعُ وقد أصمت ضرائبه[5]، وهجعتْ العيونُ وقد استيقظتْ نوائبه، فقلَّ ما يُرَاعُ رَوْعٌ بما جناه، وتجذلَ نفسٌ/[١٩٣] بما منحه وأقناه. فاذا اصطلم [يوماً] أنف المجد [و]جدع، [وفطر قلوب المكارم وصدع]، وخرج عن العادةِ المألوفةِ فابتدع، فهناك يحسنُ أن تُطْلَقَ بذمِّه الألْسُنُ، ويجبُ أنْ يُلْقَى بجيشِ اللَّوْمِ اللَّجِبِ.

ولما طرق الفادحُ بمن لا أسميه تفادياً[6] من تحقيقِ الخبرِ بمصرعِهِ، وصوناً له من مَوْرِدِ الحمامِ وَمَشْرَعِهِ، رأيتُ[7] المحامدَ ذات نورٍ خامد، والمآثر ذاتَ عِقْدٍ متناثر، والقمرَ قد سئم هالَتَهُ، والصُّبْحَ قد خلع[8] الليلُ عليه غِلالَتَهُ، وشاهدتُ الكتابة مقصورة المدود، والبلاغة مخموشة الخدود[9] والأدبَ قد اسودَّتْ سِحْنَتُهُ، واشتدَّتْ على الزمن[10] وامتدت إحنته، إذ طرق بما يتجاوزُ القدرَ، ويُوحِشُ الأضالعَ من صحبةِ الصَّدْرِ.

---

١ زيادة من جمهرة الإسلام.

٢ الجمهرة: وتجدع (اقرأ: وتجدح)

٣ قدمت هذه العبارة وقد تأخرت عن هذا الموضع في ص، اعتماداً على جمهرة الإسلام وحفاظاً على تسلسل الاسجاع وكانت في الاصل: ويثار في قصص الكروس عجابه.

٤ الجمهرة: وأنس بعرف.

٥ الجمهرة: صوائبه.

٦ الجمهرة: تباعداً.

٧ الجمهرة: رأى

٨ الجمهرة: ألقى.

٩ الجمهرة: شواهد البلاغة متصرمة المدود والكتابة مرسومة الحدود.

١٠ الجمهرة: على الدهر

شمسُ العــلا غَرَبَــتْ بحيثُ ترى أبـداً غروبَ الشــمـس والبدرِ
من بـرِّه بكَ أن يُخَـطَّ له جَنَـنٌ بقـربِ عطائـكَ الغمرِ[1]
وكأنمـا هـو دُرَّةٌ دُفِنَـتْ في جَنْـبِ ما ولـدت من البحرِ[2]
وتنـزَّهَـتْ عن أنْ يصـافحهـا سَـمْـكُ[3] الصـفيح وظلمـة القبـرِ

فتعالى الله كيف اسْتُرِدَّ ذلك البدرُ قبل تمامِهِ ، وذبل ذلك الزَّهرُ في كمامه[4] ، قبل أن تشرف بموكبه الأعلام ، وتَرْوَى من بنانِهِ الأقلام ، ويَعْبَقَ دَسْتُ الوزارةِ بنشره ، وَيُنْشَرَ رميمُ السيادةِ بطيّه ونشره ، و[يتاح] للطروسِ من ألفاظه الدريّة ما يَفْضَحُ[5] العقودَ الدريّةَ ، وَتُعَيْسِعِسُ معه الليالي البدريّة .

وقبـلَ يُرى من جودِهِ ما رأيتَهُ ويسمـعَ فيه ما سمعـتَ من العذلِ

هذا والله هو المصابُ الذي تستعذِبُ فيه الحلومُ هَفَواتِها[6] ، وتفارقُ له القلوبُ سُوَيداواتِهَا ، وتستخفُّ النفوسُ حَمْلَ الأوزار ، وتأنف العيون[7] من لقائهِ بالدموع الغزار ، حتى تجعل ذلك دابَها ، وتخضبَ بالنجيع [أهدابها ، إلا] أنه نزل بالحضرة[8] ممن شُدَّت بالتقوى[9] مريرتُه ، وتساوَتْ في طاعة الله علانيته وسريرته ، فالجزع لا يصبحُ مالكَهُ ، والخطوبُ لا تخطبُ تهالُكَه ، والنازلُ يُطيفُ منه بالعَوْدِ البازل ، الذي يتحقّقُ أنَّ الدنيا نسيمُها شرَار ، وطعمهَا مرار ، والمقيم فيها مُوجِفٌ ، والرائد مُنْبَتٌّ مُعْجِفٌ .

١ لم يرد هذا البيت في الجمهرة
٢ الجمهرة : ما وليت من النحر .
٣ الجمهرة : صمّ
٤ الجمهرة : قبل إكمامه .
٥ الجمهرة : وتتيه الطروس من الفاظه الدرية بما يفضح .. الخ
٦ الجمهرة : النفوس فواتها
٧ الجمهرة : الجفون
٨ الجمهرة : نزل من الحضرة العالية .
٩ الجمهرة : شزرت (أو سورت) من التقوى .

وذكرتُ بهذا الفصل ما أنشدته لبعضِ أهلِ عصري يصف غلاماً وسياً [عامَ فانحسر منه العزم ونجا][1] بعد أن أشرف على الموت من جملة أبيات :

شجاني المقام الصَّعْبُ لما شهدتُهُ ... وقد ضاقتِ الأنفاسُ والنفسُ تذهبُ
وقد بهُتت فيه اللواحظُ إذ رَنَتْ ... إلى درَّةٍ تطفو[أواناً] وترسب
كأنَّ خليجَ الماء كان مجرَّةً ... وأنت بها شمسٌ تلوحُ وتغرب
كُسيت اصفرار الروضِ عند ذبوله ... ولكن على الحالين مرآك أعجب[2]
عدا الماء من ماءِ الصبا فيكَ غيرة ... وما خلتُ أن الماء للماءِ يَغْضَبُ
ستبقى بهذا النهرِ للناس عبرةٌ ... مؤرّخةٌ في الكتب تتلى وتكتب
وتبنى على شاطي نجاتك كعبةٌ ... يحجُّ لها بالحبِّ مَنْ يتقرب

وله من أخرى :

لديّ[3] ـ أطال الله بقاء مولاي الشيخ ـ نفسٌ ترى النِّعَمَ مع المهانةِ نِقماً ، وتجدُ طَعْمَ العيشِ مع عَدَمِ الإنصافِ عَلْقَماً ، ولو سُمْتها خروجاً عن هذا الأسلوب ، ونزولاً عن ذلك الظهر المركوب ، لرأتِ الخروجَ من الصدرِ أخفَّ عليها محملاً ، وأعْذَبَ لديها مَنْهَلاً :

* لكل امرىءٍ من دهرِه ما تعوَّدا[4] *

وهذا بثٌّ اقتضاه كثرةُ تعجّبِ مولايَ من انقطاعي عن الحضرة التي بأنوارِ مجدها تَوَضّحْتُ ، وفي بحبوحة عزِّها دُرْتُ وَسَرَحْتُ ، وما أطلقَ من الألفاظِ التي لو حاسب لسانَهُ عليها لأنِفَ من ذكرها ، واستغفر من إثمها وَوِزْرِهَا ، وقبيحٌ بمثله ممن

---

١ هذه القراءة بحسب المعنى لعدم وضوح الالفاظ في ص .
٢ هذا الشطر غير واضح في ص .
٣ ص : لسيدي
٤ صدر بيت للمتنبي ، عجزه : وعادة سيف الدولة الضرب في العدا .

أعطاه السؤدَدُ مقادَتَهُ ، وركبَ مَتْنَ الشرف وجادّته ، أن يأكلَ لحم أخيه حيّاً ، ويرى غِيبةَ خُلْطانِهِ طعاماً مريًّا ، ولو عرف أصلَ ذلك وَفَرْعَهُ ، وناجتْ به الحقيقةُ لسانه وَسَمْعَهُ ، فكيف أن يُزْري وهو لا يدري ، ويتكلم وهو لا يعلم ، ويستحسن قواريضَ من القريض تترك شملَ المحامدِ مُفَرّقاً ، وأديمَ الأعراض ممزقا . ولقد كنتُ مُزْمِعاً على فراق العادة ، واتباعِ قولِ ابن ميادة[1] :/[١٩٤]

وحِـكْتُ لهـم ممـا أقـول قصائداً تخبُّ بهـا صُهـبُ المهـارَى وَجُونُهَا

ورأيتُ أنْ أنبّهَ مولاي على ما أنكرته : أن يكونَ بين أمرين : إمّا أن يسأل عن السببِ الموجبِ لبعدي عن تلك الحضرة ، أو يمسكَ عن الخوضِ في مالا تحيطُ به الخِبْرة ، فلعلَّهُ إذا علم الحقيقةَ مهّد المعذرَةَ ، وبرَّد لَفَحاتِ اللومِ المستعرة ، وتبين[2] أني ما ثنيتُ عناني عن هذا المورد إلا وقد ترنَّقَتْ مشارِعُه ، ولا زويتُ وجهي عن ذلك المنتَجع إلاّ وقد ذوتْ مراتِعُهُ ؛ وبعد ذلك فبين أضلعي ولاءٌ تشتبكُ أواصرُهُ والأنسابُ منفصمة ، ويشرقُ صباحُهُ وأَسِرَّةُ الشمس مُظْلِمَةٌ ، اذا حفَّتْ به الحفائظ رقَّ نسيمه ، وتساوى في الإخلاص حديثُهُ وقديمه :

فان أُنْصَفْ فان يداً تولَّتْ كسـوري تهتـدي لمكانِ جبـري
وإن أُحْـرَمْ قضـاءَ العـدلِ أرْجِعْ إلـى كَنَفَيْـنِ من هجرٍ وصبر

---

١ من قصيدة له أورد أبو الفرج أبياتاً عديدة منها (الأغاني ٢ : ٢٦٣ ـ ٢٦٤) ومطلعها :
ألا حييا الأطـلال طالـت سنينها بحيث التقت ربد الجناب وعينها
إلا أن البيت لم يرد في الأغاني وانظر شعر ابن ميادة (جمع الدليمي) : ١٠١ (رقم : ١٥٣)
٢ ص : ويتبين .

انتهـى

القسم الرابع من كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وبكماله كمل جميع الديوان ، والحمد لله على ذلك كثيراً وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وسلم تسليماً . وذلك ضحوة يوم الأحد السابع من شهر ربيع الثاني سنة ست وعشرين ومائة وألف عرفنا الله خيرها ، ووقانا بمنه سوء كل ضير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

والحمد لله رب العالمين

فهارس الكتاب

فهرس الأعلام

- أ -

- ح -

- خ -

- ش -

- ص -

- ظ -

- ع -

ـ ف ـ

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

فهرس القبائل والأمم والطوائف

ـ أ ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

فهرس الأماكن

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

فهرس الكتب المذكورة في المتن

فهرس القوافي

ـ الألف المقصورة ـ

ـ الهمزة ـ

ـ ب ـ

- ح -

- د -

مصادر التحقيق [1]

كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة ، القاهرة ، ١٩٣٠
الابانة عن سرقات المتنبي للعميدي تحقيق ابراهيم الدسوقي البساطي ، القاهرة ١٩٦١
ابن حمديس للسقا والمنشاوي ، القاهرة ، ١٩٢٠ .
ابن حمديس للمستشرق فرانشسكو جبرابيلي (بالايطالية) ، روما
الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبدالبر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة
أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، طهران ١٣٤٢
الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي تحقيق عبدالله مخلص ، مصر ١٩٢٤
أنساب الاشراف للبلاذري (١/٤) تحقيق كستر ، القدس ١٩٧٢
الإيجاز والاعجاز للثعالبي (ضمن خمس رسائل) ط . الجوائب ١٣٠١
البحر المحيط لأبي حيان الجياني (جـ ٢) مصر ، ١٣٢٩
بغية الطلب لابن العديم (صورة عن نسخة خطية بمكتبة الجامعة الاميركية في بيروت)
تاريخ المسبحي (جـ ٤٠) نسخة الاسكوريال
تبصير المنتبه لابن حجر العسقلاني تحقيق البجاوي والنجار ، مصر ١٩٦٤
التبيان في شرح ديوان المتنبي للعكبري ، القاهرة ١٩٣٦
التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبدالله محمد تحقيق محمد بن شريفه (الرباط)
الثعالبي ناقداً وأديباً لمحمود عبدالله الجادر ، بغداد ١٩٧٦
جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس لابن القاضي (الرباط ١٩٧٣)

(١) لا يرد هنا إلا المصادر التي لم تذكر في المجلدين الثاني والثالث .

الخريدة للعماد الاصفهاني (مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٣٣٢٨)
دراسات في الأدب الاندلسي لاحسان عباس ووداد القاضي والبير مطلق (الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس) ١٩٧٦
الدرجات الرفيعة لعلي خان بن أحمد بن محمد الحسيني ، النجف ١٩٦٢
الدرة المضية لابن أيبك الدواداري (جـ ٦ من كنز الدرر) تحقيق صلاح المنجد القاهرة ١٩٦١
دمية القصر للباخرزي (ط . حلب)
ديوان ابن المعتز (١ ـ ٣) تحقيق الدكتور يونس احمد السامرائي ، بغداد ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ .
ديوان ابن هرمـة تحقيق محمد جبار المعيبد ، النجف ١٩٦٩
ديوان امية بن ابي الصلت جمع وتحقيق عبدالحفيظ السطلي ، دمشق ١٩٧٤
ديوان الحسين بن مطير جمع الدكتور محسن غياض ، بغداد ١٩٧١
ديوان دعبل بن علي الخزاعي تحقيق محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٢
ديوان دعبل بن علي الخزاعي تحقيق عبدالكريم الاشتر ، دمشق ١٩٦٤
ديوان الشريف المرتضى (١ ـ ٣) تحقيق رشيد الصفار ، القاهرة ١٩٥٨
ديوان المزرد بن ضرار تحقيق خليل ابراهيم العطية ، بغداد ١٩٦٢
ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ، بيروت ١٩٠٨
رسالة اعلام الكلام لابن شرف (في سلسلة الرسائل النادرة) القاهرة ١٩٢٦
رسالة الاعلام الكلام لابن شرف تحقيق وترجمة شارل بلا ، الجزائر ١٩٥٣
رسالة الغفران لابي العلاء المعري تحقيق بنت الشاطىء ، القاهرة (الطبعة الثانية)
رسائل ابي العلاء المعري تحقيق مرجوليوث ، اكسفورد ١٨٩٨
رسائل البلغاء جمع محمد كرد علي ، القاهرة ١٩٤٦
رجال النجاشي طهران
روضات الجنات للخوانساري ، طهران ١٣٦٧

ريحانة الالبا للخفاجي (جـ ٢) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٩٦٧
سحر البلاغة للثعالبي ، وقف على طبعه احمد عبيد ، دمشق .
شرح ديوان زهير، دار الكتب المصرية ١٩٤٤
شرح العكبري = انظر التبيان
شرح المضنون به على غير اهله لابن عبدالكافي ، القاهرة ١٩١٣
شرح المقامات للشريشي (جـ ٥) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٦
شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (ط مصر ، ١٣٢٩)
شعر ابن اللبانة جمع محمد مجيد السعيد ، الموصل ١٩٧٧
شعر ابن ميادة جمع محمد نايف الدليمي ، الموصل ١٩٦٨
شعر عروة بن حزام جمع ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب بمجلة كلية الآداب ـ العدد الرابع ، بغداد ١٩٦١
صبح الأعشى للقلقشندي (جـ ١٤)
صوان الحكمة المنسوب لابي سليمان المنطقي تحقيق عبدالرحمن بدوي ، طهران ١٩٧٤
طبقات الفقهاء للشيرازي تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠
طيف الخيال للشريف المرتضى تحقيق الصيرفي والابياري ، القاهرة ١٩٦٢
العرب في صقلية لاحسان عباس ، بيروت ١٩٧٤
عيار الشعر لابن طباطبا العلوي تحقيق زغلول سلام وطه الحاجري ، القاهرة ١٩٥٦
عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي (جـ ١٢) تحقيق فيصل السامر ونبيلة عواد ، بغداد ١٩٧٧
عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي (مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٤١)
غرر الخصائص الواضحة للوطواط ، القاهرة ١٢٩٢
فقه اللغة للثعالبي تحقيق السقا والابياري وشلبي ، القاهرة ١٩٣٨

الكشاف في التفسير للزمخشري (جـ ١ ، ٢) ط . مصر . ١٩٦٦
مجالس ابي العباس ثعلب تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة
مذكرات الامير عبدالله تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥
مرآة الجنان لابي محمد اليافعي ، حيدر أباد الدكن ١٣٣٧ ـ ١٣٣٩
المرقبة العليا للنباهي تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨
المستطرف للابشيهي ، مصر ، القاهرة ١٩٥٢
معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي ،القاهرة ، ١٩٤٧
معجم الفاظ الحديث لفنسنك وآخرين ، لندن ١٩٣٦ ـ ١٩٦٩
مفاتيح العلوم للخوارزمي (ط . مصر)
المقترح في جوامع الملح (نسخة جامعة برنستون)
المكتبة الصقلية جمع أماري ، ليبسيا ١٨٥٧
المنازل والديار لاسامة بن منقذ ، موسكو ١٩٦١
منتهى الطلب لابن ميون (النسخة الاستانبولية)
النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف لعبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٣٤٣
الهفوات النادرة للصابي تحقيق صالح الاشتر ، دمشق ١٩٦٧
الوحشيات لابي تمام ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ١٩٦٣
الورقة لابن الجراح تحقيق عبدالوهاب عزام وعبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٥٣

محتويات الكتاب

بعونه تعالى
نجز طبع هذا الجزء من الذخيرة
على مطابع بيروت كومبيوتر برس
هاتف : ٣١٣٥٣٠ . ص.ب : ٢٠٣
في آذار (مارس) ١٩٧٩